الشارع المغاربي

أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 422 - من الثلاثاء 10 إلى الاثنين 18 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

افتتاحية

الشغل...والحرية...والكرامة الوطنية شعار محوري... ولكن متى وكيف يتحقق؟

بقلم : جمال الدين العويديدي

الانتخابات الرئاسية :

المقاطعة أو المشاركة ؟

إعلام عبد الوهاب دون عبد الله

المجلس الوطني لاتحاد الشغل:

عودة الروح أم رقصة الموت؟

الشغل...والحرية...والكرامة الوطنية شعار محوري...ولكن متى وكيف يتحقق؟

بقلم : جمال الدين العويديدي

الشعار الذي أطلقه الشباب التونسي في ثورة الكرامة لخّص المطالب المادية والمعنوية الأساسية التي تطمح لها الغالبية العظمى للشعب التونسي بكلمات مُوجزة وعميقة. المُلفت في هذا الشعار أنه يستمد أهميته من مؤشرات اجتماعية واقتصادية خطيرة وصادمة. من ذلك أن الاحصائيات الأخيرة تبين أن 22% من السكان التونسيين تتراوح أعمارهم بين 15 و29 سنة. وأن 47% من إجمالي السكان تقل أعمارهم عن 30 عامًا.

كان من الممكن أن يكون هذا المدّ الشبابي الكبير فرصة جيّدة لتونس حيث يُوفّر طاقات شابة للتشغيل. مما يعني انخراط هذه الطاقات في بناء تونس المستقبل خاصة وأنها أصبحت ذات مستوى علمي مرموق. كما أنها سوف تساهم في دفع النمو عبر خلق القيمة المضافة وتعبئة مداخيل الصناديق الاجتماعية والجباية ورصيد العملة الأجنبية عبر المساهمة في نشاط دفع التصدير للمنتوج التونسي. علاوة على ترسيخ السلم الاجتماعي والرفع من المستوى العام المعيشي في البلاد.

غير أنه مع الأسف هذه الفرصة للدفع نحو حركية اقتصادية مُهمّة لم يكتب لها أن تُحقّق أهدافها خاصة على مستوى دفع النمو والتشغيل. ذلك أن الاقتصاد التونسي دخل أو بالأحرى تم إدخاله في حالة سبات منذ أواخر الثمانينات. بمعنى أنه أُدمج في اقتصاد العولمة التي مكنت الدول الغربية من تفكيك الدولة الوطنية واستباحت السيطرة على مفاصل الاقتصاد الوطني ليصبح اقتصاد غير منتج، يعتمد على التوريد المفرط مثلما هو الشأن منذ ثلاثة عقود.

لقد تحوّل الاقتصاد الوطني التونسي حاله حال كل البلدان التي وقعت في فخ المؤسسات المالية إلى اقتصاد لا يُنتج القيمة المضافة، علاوة على أنه في حالة ركود بمُعدل نمو سنوي لا يتعدى واحد ونصف بالمائة، لأنه فرّط في قطاعاته المنتجة مثل قطاع الاسمنت مما قلّص من مداخيله الربحية وتقلصت مداخيله الجبائية وارتفع مستوى نسبة القطاع الموازي.

كما فرّطت الدولة في استخلاص المعاليم الديوانية عند التوريد بمقتضى اتفاقات شراكة غير متكافئة وتم تحميل جزء من مداخيلها عن طريق الأداء على القيمة المضافة التي يتكفل بدفعها المواطن التونسي على حساب قدرته الشرائية.

كل هذا التسلسل الرهيب الذي فُرض عبر سياسات تقشّف التي تم الطعن فيها من طرف خبراء صندوق النقد الدولي بنفسه، أدى إلى تقلص ميزانية الدولة مما اضطرها إلى التراجع عن القيام بدورها في المرافق العمومية الأساسية والحيوية مثل الصحة والتعليم والنقل العمومي. مما فسح المجال للاستحواذ عليه من طرف القطاع الخاص الخارجي والداخلي وأصبح مصدر تحويل مرابيح الاستثمارات الخارجية بالعملة الأجنبية التي تقترضها الدولة بكلفة باهظة.

إضافة إلى ذلك إذا ما علمنا أن تدفق عدد طالبي الشغل السنوي في تونس يفوق طاقة استيعاب الاقتصاد التونسي بشقيه العمومي والخاص حيث الفارق السنوي يفوق 35 ألف شخص في أقل تقدير أي تراكم 350 ألف عاطل عن العمل على مدى عشر سنوات (2014-2024). نتحسس حينئذ خطورة الوضع وصعوبة المعادلة ومدى الاحباط لدى الشباب خاصة الذي يئس من إمكانية الحصول على شغل مما جعله يتوجه بالضرورة إلى الهجرة السرية أو الهجرة المنظمة هجرة الأدمغة وكلاهما مرا للمواطن وللوطن.

من هذا المنطلق يتبين بوضوح كيف أن مطلب الشغل تصدّر شعار الثورة لأنه الباب الذي يفضي إلى الحرية والكرامة الوطنية ولأنه مفتاح باب الحصول على أحقيّة المُواطنة لينعم بحق الشعور بالعزة في وطن يضمن العيش الكريم في كنف الحرية والكرامة الوطنية.

لذلك هذا الشعار يبقى مطروحا بكل قوة لأنه المدخل المحوري لتحقيق السلم الاجتماعية ولتوثيق روابط الوحدة الوطنية التي اصبحت مهددة. يبقى السؤال كيف ومتى يتحقق هذا الشعار؟

قبل الجواب على هذا السؤال من الضروري أن نتساءل كيف تم التغافل والتلاعب بشعار الثورة خاصة في محور التشغيل الذي أصبح متناسيا بطريقة عجيبة وغريبة غير مسؤولة توحي وكأنه يمكن العيش بدون شغل في تونس. عدة أسباب أدت إلى هذا الوضع المتردي والغريب. نذكر من بينها الصراع واللهفة على السلطة التي أصبحت غاية لجميع الأحزاب والتيارات السياسية والاجتماعية وليست وسيلة لتحقيق امنية الشعب في العيش الكريم. هذه اللهفة جعلت من كل الأطراف لقمة صائغة للأطراف الخارجية حيث شهدنا تداول الزيارات الغربية والشرقية لرموز المعنيين بالسيطرة على الفريسة التونسية. القابلية التي أبدتها تقريبا كافة الأطراف السياسية والاجتماعية للتجاوب مع مطالب الأطراف الخارجية نذكر من أهمها استعداد حكومات ما بعد الثورة لتفويض صندوق النقد الدولي للتدخل في تونس منذ سنة 2013. كذلك الاستعداد للتوقيع على مشروع اتفاق "التبادل الحر الشامل والمعمق"، تمرير القانون الأساسي للبنك المركزي عدد 35 لسنة 2016، تمرير قانون الاستثمارات لسنة 2015 الذي فسح المجال للمستثمرين الأجانب للدخول إلى كل النشاطات الاقتصادية مثلا بعدما كان منحصرا في القطاعي الصناعي فقط تقريبا.

كل هذه القوانين والقرارات المتداولة التي تم اتخاذها سعيا لتلبية شروط المستثمرين الأجانب لم يكن لها اي تداعيات على خلق مواطن الشغل في البلاد. خاصة إذا ما علمنا أن الأطراف الاجنبية وخاصة منها الأوروبية لم تعد مستعدة للاستثمار الخارجي إلا في مجالات حيوية بالنسبة لها والتي تنحصر في مجال الطاقة والطاقات المتجددة وهو ما نشهده اليوم. حيث نلاحظ إغلاق نهائي لعدد 433 مصنع (موزعة بين فرنسي وإيطالي والماني) بين سنة 2019 وسنة 2022 فقط حسب الإحصائيات الرسمية. كما أنه يبدو من الضروري مراجعة قانون المنافسة والأسعار الذي كرس مبدأ "الأسعار حرة" والذي تبين أنه أفضى إلى غلاء فاحش في الأسعار وانفلات أنهك طاقة المواطنين.

كما تبين بالكاشف أن كل الأحزاب التي تداولت على السلطة منذ الثورة لم يكن لها أي برامج اقتصادية واجتماعية قابلة للتنفيذ تمكن من خلق مواطن شغل جدية ومستدامة يتم متابعتها وتقييمها سنويا حرصا على الإنجاز.

رغم هذا التنصل وهذه المبالاة لم نرى أي حزب سياسي اعترف بتقصيره الخطير وقدم اعتذاره للشعب التونسي وخاصة للشباب الذي خاب ظنه من كل الأحزاب السياسية.

هذا الوضع الصعب والمحبط يتجلى اليوم على الساحة السياسية والاجتماعية في تونس. حيث تزامن فشل الأحزاب السياسية وصراعاتها مع أزمات المنظمات النقابية بطرفيها نقابة العمال ونقابة الاعراف. وهي صراعات يطغى عليها طابع التمسك بالسلطة. مما فوت الفرص للعناية بمشاغل البلاد خاصة على مستوى التشغيل والذي يعتبر مسألة محورية للنقابتين. هذا الانفلات الاجتماعي عمّق الأزمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد.

من هذا المنطلق نعتقد أن طرح موضوع تحقيق شعار الثورة المتعلق بالشغل والحرية والكرامة الوطنية في إطاره الجيواستراتيجي الحالي يمكن أن يكون محور توافق بين الشعب التونسي وبين كل الأطراف السياسية والاجتماعية عبر تقديم برنامج أساسي تلتزم به كل الأطراف في البلاد.

هذا البرنامج نعتقد من جهتنا أنه سوف يطرح شروط لنجاحه تمر أساسا عبر ضرورة التمسك بحق الشعب التونسي في تقرير مصيره وهو حق مُعترف به دوليا، وفي مقدمته حقه في اختيار منوال تنموي يتجاوب مع تطلعاته في التنمية الشاملة وخلق مواطن شغل مستدامة وذات قيمة علمية هامة.

من ذلك نعتقد أن يكون هذا المدخل يفوض كل من يعتلي السلطة أن يلغي كل القوانين التي صادرت المؤسسات الكبرى في البلاد وفي مقدمتها إلغاء القانون عدد 35 لسنة 2016 حتى تتمكن الدولة من التحكم في المؤسسات المالية طبقا لمخطط تنمية وطنية علاوة على ضرورة الكشف عن كل الإخلالات المتعلقة بالتحويلات إلى الخارج والكشف على كيفية التصرف في الثروات الوطنية وإصلاح ما تم تجاوزه في حق الشعب التونسي في التمتع بثرواته.

التوافق حول تحقيق شعار الثورة في الشغل والحرية والكرامة الوطنية يمكن ايضا أن يكون مدخلا لرأب الصدع السياسي الذي يجري اليوم حول الانتخابات الرئاسية المقبلة في كنف الحرية والاحترام المتبادل سعيا لوضع حد لهذه الأزمة التي تشغل بال الشعب التونسي.

الانتخابات الرئاسية :

المقاطعة أو المشاركة ؟

كوثر زنطور

تنطلق الحملة الانتخابية للانتخابات الرئاسية المزمع تنظيمها يوم 6 أكتوبر 2024 ، يوم السبت 14 سبتمبر الجاري في أجواء مشحونة لم يسبق لها مثيل خلال مختلف الاستحقاقات الانتخابية التي عاشتها البلاد منذ الثورة، كما لم يسبق خاصة في أي استحقاق بمثل مصيرية انتخابات رئاسية ، أن ارتكزت النقاشات داخل الفضاء العام حول المقاطعة او المشاركة .

رسميا سيخوض ثلاثة مترشحين فقط السباق الرئاسي القادم هم الرئيس المباشر قيس سعيد ومرشح حركة الشعب زهير المغزاوي والنائب السابق ورجل الاعمال الموقوف العياشي زمال . ويتنافس الثنائي زمال والمغزاوي على خزان انتخابي واحد يضم مجموعات من المعارضات المتناقضة سياسيا وايديولوجيا من مختلف العائلات السياسية غير الممثلة بمرشحين في هذه الانتخابات .

هناك رهان واحد لهذا الاستحقاق هو بقاء منظومة حكم 25 جويلية او رحيلها ، المترشح قيس سعيد اسماها صراحة بمعركة بقاء او فناء ويخوضها باستراتيجية واحدة هي الحسم من الدور الأول . ومع ما شاب مسار الانتخابات من اخلالات وانحرافات مثلما وصفها أساتذة وخبراء في القانون ، اصبح مطروحا خياران ، الأول المقاطعة مثلما حصل مع الاستفتاء والانتخابات التشريعية ، والخيار الثاني الحشد لمشاركة واسعة والتصويت لمرشح واحد .

المقاطعة

تعد الانتخابات الرئاسية رابع دعوة للمواجهة مع الصندوق منذ 25 جويلية 2021 . وكانت الدعوات للمقاطعة خلال الثلاث محطات السابقة محل اجماع تقريبا بين مختلف مكونات المعارضة ، وذلك أولا في الاستفتاء على الدستور الجديد ثم في الانتخابات التشريعية وأخيرا في انتخابات المجالس الجهوية والمحلية .

حجج الأحزاب والشخصيات الداعية والداعمة لخيار المقاطعة كالية ديمقراطية للاحتجاج ، هي نزع الشرعية عن العملية السياسية والانتخابية بنتائجها ومخرجاتها رفضا للنهج الأحادي الذي اعتمده رئيس الجمهورية قيس سعيد ولـ"منع تكريس منظومة القمع والاستبداد" .. واعتبرت نسب المشاركة الهزيلة جدا في الاستفتاء ثم في الاستحقاق التشريعي والمحلي ، تأكيدا على نجاح خيار المقاطعة.

فقد سجلت نسبة المشاركة في الاستفتاء على الدستور27.5 في المئة ، ولم تتعد النسبة في الانتخابات التشريعية 11.22 في المئة فقط وتجاوزتها بقليل في الانتخابات المحلية . وترفض السلطات وحتى هيئة الانتخابات اعتماد المقاطعة ضمن المعطيات الموضوعية لقراءة نسب المشاركة الضعيفة .

لكن السلطة القائمة لم تتجاهل في المقابل دعوات المقاطعة في الانتخابات الرئاسية وقد تكون حتى حاولت دفع داعمي هذا الخيار الى تجديده في هذا الاستحقاق بداعي موجبات الانسجام في المواقف . وانتقد قيس سعيد الطامحين الى الترشح ممن قاطعوا المحطات السابقة والمح الى ان الترشح بعد المقاطعة هو بمثابة ادانة .

هذا الهجوم الرئاسي نجح نوعا ما في احراج بعض القوى والأحزاب التي كانت تدافع بقوة عن المقاطعة ، على غرار جبهة الخلاص او النهضة وأيضا الحزب الدستوري الحر . وتمسك حزب العمال بالمقاطعة ورفض ترشيح شخصية للمشاركة فيها ودعا الى عدم المشاركة فيما اعلن التيار الديمقراطي الذي كان في صف المقاطعين عدم ترشيح اية شخصية لخوض السباق الرئاسي دون ان يعني ذلك الدعوة الى عدم المشاركة .

ولم يعد خيار المقاطعة محل اجماع مثلما كان الحال في الانتخابات السابقة ، ربما لمصيرية هذا الاستحقاق وباعتباره قادرا على احداث تغيير سياسي شامل . واليوم تناقش دوائر المعارضة جدوى خيار المقاطعة الذي لم يمكن بالنسبة الى بعض منها تكتيكا ناجحا ، باعتباره قد يكون مثلا حال دون التمكن من تصعيد نواب قادرين على تزكية مرشحين للانتخابات الرئاسية في ظل صعوبات تجميع التزكيات الشعبية .

الى ذلك ، تبدو المقاطعة بالنسبة الى جزء من المعارضة ، بمثابة الخدمة الجليلة الى المرشح قيس سعيد الذي قد تخدمه نسب مشاركة ضئيلة . ولا تبدو المقاطعة ايضا الخيار الأنسب اليوم ويدفع داعموها نحو خيار جديد وغير مسبوق يتمثل في انسحاب المترشحين زهير المغزاوي والعياشي زمال بما يعني نهاية السباق قبل بدايته .

ولا يعلم ان كان مثل هذا الخيار ، الذي يبدو مستحيلا حسب تصريحات الثنائي المغزاوي والزمال المتمسك بحقه في المنافسة ، يعني اسقاطا للعملية الانتخابية او فوز دون عناء للمرشح الباقي بلا منافس قيس سعيد .

المشاركة

تزامنت الانتخابات الرئاسية ، صدفة او بسابق اضمار ، مع تتبعات وايقافات وترهيب في حق تقريبا جل الشخصيات التي أعلنت او كانت تستعد لخوض غمار هذا السباق . وفشلت المعارضة في رص صفوفها وتوحيد قواها لاختيار مرشح واحد يمثلها . وقد تكون هناك أسباب لهذا الفشل منها الموضوعي ومنها أيضا ما يتعلق بالمناخ العام وبالتضييق الذي افرغ ساحة كاملة من لاعبيها السياسيين ، وفرض الاستقالة على الشخصيات القادرة على إعادة تشكيل المشهد .

كانت النتيجة ، قائمة مترشحين لا تضم الأفضل بما جعل عملية الفرز او الاختيار في ما بينهم تتم في الاغلب على قاعدة من الأقل سوءا . ومع ذلك ظل خيار المشاركة الحل الممكن .اما الرهان فهو الحشد للوصول الى مشاركة واسعة تمكن من فرض دور ثان ، يعاد فيه سيناريو 2019 الذي صعّد الأستاذ قيس سعيد الى رئاسة الجمهورية في مواجهة منافسه نبيل القروي رئيس حزب قلب تونس آنذاك .

فاز سعيد بفضل التصويت العقابي ، الذي جعله مستفيدا من اكثر من ماكينة انتخابية ، ومن اكثر من خزان انتخابي ، ومنحه شرعية انتخابية تاريخية .

وتراجع الحماس لدعوات المشاركة بانحسار عدد المنافسين الى ثلاثة فقط تنضاف اليها القراءات التي قدمها أساتذة القانون لرفض هيئة الانتخابات تنفيذ احكام المحكمة الإدارية ، والتي تضع نتائج الانتخابات على المحك وتفتح الباب امام إمكانية اسقاطها والتشكيك فيها ورفضها وعدم الاعتراف بها ، خاصة ان قدم أي من المترشحين المرفوضين (عبد اللطيف المكي والمنذر الزنايدي وعماد الدايمي) الذين اعادتهم المحكمة الإدارية الى السباق طعنا في النتائج .

ومهما كان الحال ، سواء خف الحماس لدعوات المشاركة او زاد ، فان سؤالا يبقى مطروحا يتعلق باليات الحشد المتاحة والممكنة لانجاح هذا الخيار ، والتي تتطلب أولا وبالذات إمكانية تنظيم حملة انتخابية متساوية للمترشحين الثلاثة وذاك غير متاح حتى الان للمترشح العياشي زمال الصادرة في شانه خمسة بطاقات إيداع بالسجن في قضايا تدليس تزكيات شعبية.

عام 2019 ، خلال الانتخابات الرئاسية رفض المترشح قيس سعيد خوض حملة ومنافسه في السجن ، واليوم هو على رأس السلطة ومترشح لانتخابات ستجرى بمترشح موقوف يقدم أعضاء من هيئة الدفاع روايات خطيرة عما يتعرض له وهو ينقل من ولاية الى أخرى ، ومن سجن الى أخر وما يرافق ذلك أيضا من اجراءات إدارية عقابية في حق قضاة بسبب احكام بالافراج صدرت لفائدة زمال ، وفق شهادات وتصريحات منسوبة الى قاضيين منهما وزير سابق .

المشاركة ام المقاطعة ؟ في مواقع التواصل الاجتماعي انطلقت حملات في الاتجاهين ، وأيضا حملات تضليل وتشويه قذرة يبدو انها خرجت عن السيطرة في أجواء انتخابية استثنائية وغير مسبوقة على جميع المقاييس ويراد ان تعلن محسومة قبل انطلاقها على الرغم من ان الرئيس المباشر والمرشح ، اكثر المنتقدين وهو رئيس لانتخابات الـ99 في المئة .

عن عودة الرقابة أو إعلام عبد الوهاب دون عبد الله

أنس الشابي

أثار منع العدد الأخير من مجلة «جون أفريك» من الرّواج اللّغط والاستغراب لحدوثه في ظرف المفروض أن يكون منفتحا ومتسامحا وهو ظرف انتخابات رئاسيّة لأنّ كلّ الأعناق في الداخل وفي الخارج مشرئبّة نحو تونس تصيّدا لسقطات الحكم أو إشهارا لِما يمكن أن يحسب لصالحه.

الرقابة في تونس قديمة شأنها شأن الدول الأخرى حيث تستعملها السلطة للتحكّم في رواج الأخبار والمعلومات حفاظا على ما يسمّى الأمن العام وهي لفظة مطّاطة بدايتها السياسة ونهايتها الدين وما بينهما. قبل الاستقلال كانت دار الإقامة العامة هي المسؤولة عن المطبوعات التونسيّة وما يصدر فيها وهي التي تقرّر ما يُسمح برواجه وما يُمنع وقد كانت الرقابة قبليّة أي أنّها تتمّ على المسودّة قبل الطبع.

تاريخ الرقابة

يقول مؤرّخ الصحافة التونسيّة محمد الصالح المهيدي: «إثر عودة الصحافة العربيّة بعد الاحتجاب من 9 نوفمبر 1942 إلى شهر جويلية 1943 فُرضت عليها رقابة شديدة من طرف مصلحة الأخبار وتقتضي هذه الرقابة أن لا يُنشر شيء في الجريدة إلا بعد عرض نصّه على تلك المصلحة ومصادقتها عليه كتابيّا، وربحا للوقت سلكت الصحافة مسلكا يناسب الجانبين ذلك أنّ الصحيفة تطبع مسودّتها جاهزة وتعرضها على مصلحة الرقابة فإن وافقت على كاملها أعادتها إليها مأذونة بالطبع وإن رأت أنّ بعض ما في الجريدة لا يمكن السماح بنشره شطبت عليه في المسودّة فتخرج الصحيفة خالية من النصّ المحذوف مع كتابة كلمات (حذفته الرقابة). لكن الحكومة رأت أن هذا السلوك ملفت للنظر خصوصا أنّ بعض الجرائد العربيّة تُصدَّر إلى عدّة أقطار عربيّة وغربيّة، فقرّرت المصلحة عدم السماح بنشر كلمتي «حذفته الرقابة» بحيث إنّ الجريدة تصدر وبها البياض فقط، فلوحظ أنّ هذا العمل غير لائق بما تدّعي الحكومة من ديمقراطية فأجبرت أصحاب الجرائد على ملء البياض بمحرّرات أخرى وبما أنّ ذلك يقتضي أيضا حصول الموافقة على المحرّرات المضافة وما في ذلك من التطويل وضياع الوقت ما لا طائل من وراءه قرّر أصحاب الجرائد ملء الفراغ بإعلانات تنشر مجانا حيث إنّ أصحابها لم يطالبوا مدير الجريدة بنشرها إلا مرّة أو مرّتين، وهكذا لاقت الصحافة العربيّة ألوانا من تنكيل الرقابة»(1). بعد الاستقلال أصبحت الرقابة بعديّة بحيث تطبع الجريدة ولا تُمكّن من وصل الإيداع القانوني إلا بعد أن تجيز الإدارة السماح بترويجها.

في فترة حكم الرئيس السابق زين العابدين

jeune afrique

POLITIQUE TUNISIE

Pourquoi Jeune Afrique est absent des kiosques en Tunisie

Triste retour aux années Ben Ali ? Quatorze ans après la chute de l'ancien président, notre mensuel daté de septembre n'a pas été autorisé à la vente en Tunisie. En cause : une enquête consacrée au président Kaïs Saïed, candidat à sa réélection le 6 octobre.

بن علي رحمه الله كانت رقابة الدوريات تتمّ في وزارة الإعلام التابعة لعبد الوهاب عبد الله صاحب الرأي النهائي في كلّ ما يتعلّق بالإعلام طوال عشريتي بن علي. ورغم وجود إدارة مكلّفة بقراءة كلّ ما يصدر بكلّ اللغات فإنّ رأيها استشاري في الفترة الأولى للتغيير أيام كانت السلطة تمارس سياسة سحب البساط من تحت أقدام الحركة الإسلاميّة عن طريق إذاعة الأذان وتحويل كلية الشريعة إلى جامعة وتمكين الحركة من رخصة جريدة ومن اتحاد طالبيّ أصدرت مجلة «روز اليوسف» القاهريّة عددا هاما جمعت فيه النصوص الممنوعة في مصر وأغلبها كان الازهر يقف وراء مصادرتها. هذا العدد مُنع من دخول تونس في فترة كنّا نواجه فيها التطرّف والإرهاب الذي استشرى وبلغ أشدّه بجريمة باب سويقة. ولمّا سألت عن مبرّرات القرار قيل لي إن ذلك جاء توقّيا من أن توصف تونس بمعاداتها للدين وهي تعلّة تخفي غباء لا نظير له وقصر نظر يقارب العماء. في تلك الفترة قام المجلس الإسلامي الأعلى بالدعوة إلى مصادرة كتاب رسوم متسلسلة أعدّه يوسف الصديق إلا أنّ النخب قادت حملة صحفيّة أدّت في نهاية الأمر إلى تراجع المجلس الذي خرج ضعيفا من هذه المعركة وتوقّف عن التدخل في الشأن العام. بعد أحداث سنة 2011 حاول رئيس المجلس المعيّن من طرف حركة النهضة العودة إلى الساحة فراسل مدير الإذاعة طالبا منه إيقاف برنامج ليوسف الصديق إلا أن النتيجة كانت عزله.

لم تكن رقابة الدوريات في فترة بن علي خاضعة لمقاييس محدّدة أو معايير مضبوطة بل كانت تتقاذفها التوازنات السياسيّة

عبد الوهاب عبد الله

والمصلحيّة في أدنى صورها وأكثرها بذاءة من ذلك أنّ رشا التونسي استوردت مجلة مخصّصة للبرامج التلفزيّة وبما أنّها موردّة من الخارج اتصلت بي وأنا في وزارة الداخليّة حتى أمكنها من رخصة لسحبها من الديوانة وهو ما تمّ بالفعل، وما إن علم عبد الوهاب عبد الله بذلك حتى أقام الدنيا ولم يقعدها وتبيّن في ما بعد أنّه فعل ما فعل لصالح مجلة أخرى لواحدة من أتباعه وقد تم استجوابي عن ذلك إداريا ونشرت صورة الاستجواب في كتابي «مذكّرات رقيب كتب»(2). والأمثلة على شناعات ما تعرّض له الصحفيّون في تلك الفترة لا تعدّ ولا تحصى وكلّها صادرة عن سوء تقدير وخفّة في التعاطي مع المخالفين، الأمر الذي جمع الناس على النظام ودفعهم دفعا إلى الالتحاق بصفّ الخصوم بدل أن يعمل على جمعهم حوله فساهم بكلّ ذلك في إعداد أجواء معادية له يسّرت إسقاطه.

التاريخ يعيد نفسه برداءته

إن أكبر خطأ ارتكبه نظام ابن علي هو سوء معالجة الملف الإعلامي بالمصادرة المنفلتة من عقالها وتتبّع الكتّاب لأتفه الأسباب إن لم يتم اختلاقها وهتك الأعراض الذي تخصّصت فيه جريدتي «الإعلان» و«الحدث» الشبيه بما نقرأ في مواقع التواصل الاجتماعي هذه الأيام ثم إنشاؤه لوكالة الاتصال الخارجي التي جمعت أصواتا لا مصداقيّة لها لمدح السلطة الحاكمة مثلما يصنع البعض هذه الأيام ممّن أسميهم العابرون للأنظمة وكأن التاريخ يعيد نفسه برداءة أشدّ وشناعة أفظع. فسياسة عبد الوهاب التي أدّت إلى إسقاط نظام ابن علي تمارَس اليوم بلا عبد الله على مستويين:

1) على مستوى المصادرة من ذلك منع العدد الأخير «من جون أفريك» من الرّواج حيث لم يدرك الرقيب أنّ حجز الأوراق اليوم لن يمنع انتشارها بين الناس، فوسائل الاتصال الحديثة مكّنت الناس جميعا من الحصول على كلّ المعلومات والصور والأشرطة في ثوان معدودات ونقلها بنفس السرعة إلى ما لا عدّ له ولا حصر من المتلقّين، وليس أدلّ على ذلك من عشرات الآلاف من المواطنين الذين اطلعوا على المجلة وقرؤوا مقالها وهو مقال لا جديد فيه يتناقل التونسيّون مضامينه كلّها في جلساتهم، علما أنّ هذه المصادرة لم تكن الأولى في الغباء والتكلّف بل سبقتها مصادرة كتاب كمال الرياحي في معرض الكتاب الأمر الذي دفع رئيس الجمهورية إلى الذهاب إلى مكتبة الكتاب ليثبت أنّ الكتاب يوزّع بجانب فضيحة أخرى عن كتيّب تربوي صادر عن منظمة الأمم المتحدة صودر في المعرض بدعوى أنّه يروّج للمثلية الجنسيّة ومنع كتاب لرابح الخرايفي عن الفساد. والذي يجب أن نضعه في الاعتبار أنّ منع الأوراق لم يعد مجديا في الحدّ من انتشار المعلومات لأنّ الوسائل الحديثة مكّنت أيّ مواطن من أن ينقل الخبر في حينه وما بالعهد من قدم فإن الأستاذة عبير موسي فكّ الله أسرها استطاعت بهاتفها النقّال أن تنقل فضائح الجلسات البرلمانية والمساومات عند إعداد القوانين وفصول الاعتداء عليها والصور المتحركة في مكتب الغنوشي الأمر الذي مهّد لإسقاط هذا الأخير. فعلى الرقيب حتى يكون مجديا في عمله أن يتوقّف عن استعمال أساليب أكل عليها الدهر وشرب مضارّها محقّقة وعليه أن يفتّش عن وسائل أخرى يدافع بها عن السلطة التي أساء إليها من حيث أراد نفعها.

2) على مستوى المكلفين بالدفاع عن السلطة، قبل أحداث سنة 2011 استنجد عبد الوهاب عبد الله بجملة من الأسماء المأجورة وهم الذين انتقلوا من الدفاع عن بن علي إلى الدفاع عمّن جاء بعده، ويذكر الجميع أنّ الزعيم بورقيبة أحاط نفسه بكوكبة من أصحاب القلم والرأي في حلّه وترحاله كانوا سندا له. أمّا بن علي ففي العشر سنوات الأخيرة من حكمه أفرغت الساحة من حوله من أي مثقف واقتصر الأمر على بعض الجامعيين في حين غُيِّب أصحاب الرأي والقلم.

والذي نخلص إليه هو أنّ اساليب المنع القديمة لا تجدي في الدفاع عن السلطة في عصر الأنترنت ووسائل الاتصال الحديثة أيام كانت الجريدة الورقيّة هي الأداة الوحيدة للإطلاع على ما يستجدّ داخل البلاد وخارجها من ناحية ومن ناحية أخرى على أيّة سلطة تحرص على نوال ثقة مواطنيها أن تحسن الإصغاء إلى نبض الشارع وأن تحرص على جمع النخب حولها.

الهوامش

1) «تاريخ الصحافة العربيّة وتطوّرها بالبلاد التونسيّة» محمد الصالح المهيدي، نشر معهد علي باش حامبه تونس 1965، ص26.

2) «مذكرات رقيب كتب، من التعليم الديني إلى مواجهة النهضة واليسار الإسلامي» أنس الشابي، نشر أركاديا تونس2024، ص246.

المجلس الوطني لاتحاد الشغل:

عودة الروح أم رقصة الموت؟

صالح مصباح

الحالُ التي عليها اليوم الإتحاد العام التونسي للشغل تُؤلم كلّ من لا يرى تونس إلا متوازنة بمنظمة حشاد، و تؤلم كلَّ مَن يضغط عليه الضّيقُ كلما سمع أحدهم يردّد عبارة " اتحاد الخراب" ترديدا ما انفكّ يُغذّيه فيه على الجملة قادةُ الإتحاد أنفسهم.

ويُجمع أهل النظر على أن هذه الحال هي اليوم الأسوأ في تاريخ المنظمة. و هي حال لازمتها طيلة السنوات الماضية، لأن أسبابها لم تنقطع سواء من جهة المسالك التي ما انفكّ يتوخّاها قادتُها و هياكلها أو من جهة مواقفها إزاء شؤون منظوريها و إزاء قضايا الشأن العام.

ولعل المجلس الوطني المنعقد بالمنستير ابتداء من 6 سبتمبر 2024 هو حلقة أخرى أكد فيها قادة الصف الأول في الإتحاد إصراهم على أن يُفوّتوا عليه، مرة أخرى، فرصة أن يستعيد الروحَ التي أرادها قسم من النقابيين، لا بل لعل قادة الصف الأول يصرون على أن تستمر في الإتحاد الحالُ التي هو عليها؛ حالُ مَن هو في أرذل العمر.

1/إطار المجلس الوطني:

ارتدّت على الاتحاد ، كما على غيره، أصداء الخامس و العشرين من جويلية 2021. ذلك أن لعبة جويلية هذه أفصحت مبكرا على أنها ستزيح عن الحكم المباشر النظيمةَ التي وضعت عليه اليدَ طيلة عشرية كاملة. و إن الإتحاد هو، بصيغة أو بأخرى، جزء من تلك النظيمة. ففي أغلب الفترات هو إما شريك لها مباشر أو غير مباشر و إما متحرك في المنطقة التي لا تفصله عنها. و لما أغار سعيد على كل مقاليد الحكم لم يكن للإتحاد أن ينتصر لحكم الإخوان المنزاح انزياحا غير مأسوف عليه شعبيا. كان لا بد أن يناصر لحظة جويلية 2021 ، و أن يبحث له فيها، كعادته طيلة العشرية المنقضية، عن موطئ قدم. و إلى هذا الحد، قد يكون مُتَفَهَّمًا مجاراةُ اللحظة و إكراهاتها أو وعودها.

لكن الإتحاد شرع في خسران البقية الباقية من حظوته. فحين كشف سعيد على أنه بصدد التأسيس لمشروع خاص على أنقاض ثوابت الدولة الوطنية، و على أنه بصدد التكريس لحكم فردي قاصر عن تصريف الشأن العام، حينئذ، لم يستنهض الإتحاد بقية قواه الكامنة فيه، المشتقة من تقاليده، ليواجه انزلاق سعيد إلى الحكم الفردي الخالص، و ليدافع عن منظوريه الذين زادهم ذلك الحكم بؤسا، و ليرد بالايجاب على الأيدي التي امتدت إليه من أجل تآزر وطني. على خلاف ذلك، واصل الاتحاد، عبثا، مساعي التقرب من حكم سعيد إلى حد التذلل و الاستكانة، و واصل قادتُه الأوائل الانغلاق في كهوفهم الإيديولوجية الخربة. و الحصيلة أن حكم سعيد رافض للاتحاد ، و القوى الحية معرضة عنه، و منخرطوه و عموم ناشطيه قد قبض عليهم اليأس من منظمتهم بناء على يأسهم من مكتبها التنفيذي على وجه الخصوص.

وقد دفع هذا اليأس قسما من النقابيين ألى التحرك في هذا الظرف الذي يقتضي من الإتحاد التحرك و الدفاع عن محمود القيم السياسية الكبرى الخاضعة اليوم للدوس. و من مطالب هذا التحرك إنجاز مؤتمر استثنائي يتدارك على " الانقلاب" على الفصل 20 الذي به تواصل القيادة الحالية البقاء على رأس المنظمة. فهذا التحرك هو على الأرجح سعي إلى إعادة الروح للاتحاد، لا سيما أن اللحظة الراهنة هي لحظة اختبار قد تتيقظ فيها بقية الحياة التي في المنظمة قبل أن تتداعى إلى العطالة المطلقة فالموت المحتم. و انعقد ذلك المجلس الوطني بما هو مناسبة فيها أسباب ذلك التيقظ. فالمجلس الوطني هو المؤسسة التي لا تعلو عليها إلا مؤسسة المؤتمر.

2/ المجلس الوطني وشؤون الاتحاد الداخلية

بوادر التحكم المسبق في مخرجات المجلس الوطني ظهرت في استصفاء القيادة لمواب الجهات. فغير المرغوب فيهم، أي المطالِبون بمؤتمراستثنائي، أخضِع بعضهم للمثول أمام لجنة النظام إخضاع تجميد، و لم تتوفر لبعضهم الآخر، على ما راج، غرف الإقامة في مقر أشغال المجلس. و استنبطت القيادة إنشاء "هيئة إدارية" منبثقة عن المجلس الوطني استنباطا ماكرا يساعدها على مزيد التحكم في سير أشغال المجلس.

لم يتردد بعض أعضاء المكتب التنفيذي في إظهار نوع من النقد الذاتي. قال الأمين العام الطبوبي إنه نادم على الانقلاب على الفصل 20، و قال إنه عرض على المكتب التنفيذي تحوير المسؤوليات تحويرا يفضي إلى أن يتخلى هو عن الأمانة العامة. لكن أعضاء المكتب التنفيذي رفضوا لأنهم " طامعون فيها" جميعا، و أكدوا أنهم لن يرضوا حتى بنتائج القرعة.

وأظهر عضو المكتب التنفيذي صلاح الدين السالمي صراحة واعترافا بالذنب و نقدا لاذعا للجميع. فقد دعا إلى مؤتمر استثنائي بعد فترة رآها فشلا للمكتب التنفيذي في إدارة الصراع مع السلطة، و بعد مؤتمر الانقلاب على الفصل العشرين الذي اعترف، نادما، بالمساهمة فيه، ما أدى بالاتحاد إلى العجز التام و إلى حال "العطالة" في بناية العشرين مليارا. و حمّل السالمي الأمينَ العام على وجه الخصوص المسؤولية في فشل الإضراب العام في 6 جوان 2022، لأنه لم يتسق مع الهياكل المعنية و إنما نسق مع "جهة خارجية". كما حمّله المسؤولية عن الزيادات الهزيلة في الأجور لأنه كان يهادن السلطة. لا بل قال إن الطبوبي قد استفرد بالاتحاد بفعل سلبية أعضاء المكتب التنفيذي الذين غلّبوا مصالحهم الخاصة و الحزبية، و إنه باع العمال و إنه عميل مزدوج بين المعارضة السياسية و السلطة الحاكمة، و ذلك خوفا على نفسه من ملفاته الثقيلة".

كان يمكن لهذه الاعترافات أن يترتب عليها أفق جديد للإتحاد يتمثل في مؤتمر استثنائي عاجل. و كان على الأمين العام أن ينفذ ما قال إنه كان مستعدا له في المؤتمر السابق أو مؤتمر الانقلاب كما يسميه معارضوه. و كان على السالمي، و هو العليم بالخفايا، أن يعلن استقالته بعد كل ما قال إذا لم يفض المجلس الوطني إلى مؤتمر استثنائي عاجل به تتجدد قيادة الإتحاد و ترتَصُّ صفوفُه.

ودون دخول في التفصيل، أبقي على المؤتمر القادم في تاريخه الدوري قي 2027، و حافظ المكتب التنفيذي على موقعه على رأس المنظمة، لا بل اكتسب هذا المكتب" شرعية" بعد مجلس وطني انتهى إلى تثبيته بعد أن سعى إلى إزاحته.

3/الإتحاد و الشأن العام

لم يأخذ الشأن العام حيزا كبيرا من أشغال المجلس الوطني ، لأن الشأن الداخلي كان الهاجس الأثقل.

في هذا السياق، حيّا السالمي في مداخلته التي دامت ست عشرة دقيقة " المساجين السياسيين في المرناقية" تحية تعبر عن موقف سياسي مما بينهم و بين السلطة. و تقرر في المجلس إضراب عام أعلنه الناطق الرسمي في الإتحاد سامي الطاهري، و لعله ترجمان لتصريح له سابق قال فيه إن الإتحاد سيعلن عن تحرك. لكن هذا الإضراب العام المعلن عنه، لم يتحدد تاريخه و لو على وجه التقريب . و لعله على ذلك محرد تلويح به أو لعل موعده سيكون رهين جملة من الاحتمالات و الحسابات التي قد يكون خيطها الناظم شؤون المكتب التنفيذي لا شؤون الأجراء. ذلك أن الظرف الموضوعي الراهن يبعث على أكثر من إضراب عام.

لكن الغريب، و لبس بالغريب في الآن نفسه، هو سكوت قيادة الإتحاد في هذه المناسبة عن الزلزال السياسي و القانوني و المؤسسي الذي يجري في البلاد. و من العجائب أن الموقف الغائب قد يسرت له قيادة الإتحاد أسباب الغياب ،و ذلك بعدم إصدار لوائح و بيانات عن أشغال المجلس الوطني.

وأهم ما قال الناطق الرسمي يبعث على منتهى العجب. قال:" اتحاد الشغل لن يدعو لمقاطعة الانتخابات الرئاسية ، لكنه يوصي منظوريه بعدم التصويت للجهات التي يمكن أن تكون لديها مواقف مختلفة عن موقف المنظمة". إن كل كلمة في هذا التصريح هي باب "ترهدين" و مهادنة. ففي القول اعتراف بأن ما سيجري يوم 6 أكتوبر القادم انتخابات رئاسية لا غبار عليها، و يمكن المشاركة فيها أو يمكن مقاطعها. و هو بذلك قد عوم الخروقات الفاحشة التي لم يتردد في التشهير بها كل ذي صلة بها سياسية أو معرفية. و فوق ذلك لا يدعو إلى المقاطعة التي هي عبارة عن الرفض. و يمعن الناطق الرسمي في المهادنة و الترفق بالسلطة بتوصية المنظورين بعدم " التصويت للجهات التي يمكن أن تكون لديها مواقف مختلفة عن المنظمة". فأولا، لبس ثمة جهات، و إنما ثمة مترشحون معلومون. ثانيا الجهة غير الملائمة للإتحاد جهة واحدة و هي الرئيس سعيد. و مواقفه ليست من قبيل " يمكن أن تكون"، في علاقة بالاتحاد، و إنما هي كائنة فعلا و قولا. و هي ليست "مختلفة" مع المنظمة، و إنما هي نقيضة لها ناكرة لوجودها أصلا. فما هذه المهادنة التي هي لمس للسلطة بأطراف بريش النعام و ما هذا "الترهدين".

ما من أفق إلى حد الآن لأن يستعيد الإتحاد جذوته و دوره. فقد خيرت موازين القوى فيه أن يستمر موته السريري، في انتظار صدمة كهربائية عاتية قد تأتي و قد لا تأتي.

الطيب بوعايشة الناطق باسم المعارضة النقابية لـ «الشارع المغاربي»:

الاتحاد يمر بأزمة خاصة جدا يتحمل مسؤوليتها مكتبه التنفيذي

حاوره : محمد الجلالي

اعتبر الطيب بوعايشة كاتب عام نقابة الثانوي سابقا والناطق باسم المعارضة النقابية ان الاتحاد العام التونسي للشغل يمر اليوم بأزمة خاصة جدا محمّلا مكتبه التنفيذي مسؤولية ذلك نتيجة انقلابه على الفصل 20 من النظام الاساسي للمنظمة.

وافاد بوعايشة في حوار أدلى به لأسبوعية "الشارع المغاربي" بأنه يرفض المرور الى "مؤتمر استثنائي"باعتبار انه سيتم بنفس الهياكل التي فصّلها ما اسماه تيارا بيروقراطيا على مقاسه أي انه سيتم اختيار قيادة اخرى لا تختلف في شيء عن القيادة الحالية.

وقال إن الصورة التي عكسها المجلس الوطني المنعقد خلال نهاية الاسبوع الفارط بالمنستير لدى الرأي العام هي ان الاتحاد مقسم من الداخل معتبرا من جانب آخر ان السلطة التي يتهمها الطبوبي بالسعي لضرب العمل النقابي ساعدت المكتب التنفيذي الحالي ووفرت له كل الامكانات للانقلاب على الفصل 20.

هل لك ان تحدد لنا مكونات المعارضة النقابية وابرز اهدافها؟

تاريخيا كانت المعارضة النقابية دائما موجودة داخل اتحاد الشغل. عندما يكون لدى تيار نقابي صلب المنظمة تصور لا يصب في مصلحة العمال، تظهر آنذاك معارضة نقابية لهذا التوجه. الجسم النقابي المعارض للمكتب التنفيذي الحالي ظهر الى العلن منذ سنة 2020 بداية من الملتقى النقابي مرورا الى حراك بن عروس فحراك صفاقس وصولا الى ظهور قوى نقابية اخرى ترفض الانقلاب على الفصل 20 مع العلم انه بدأ التمهيد لهذا الانقلاب منذ مؤتمر 2017. هذه المعارضة التي ترفض الانقلاب على الفصل 20 والاعتداء على قوانين المنظمة هي امتداد لمعارضة نقابية تعود الى سنة 2007 والقاسم المشترك بين المعارضتين هو النضال للحفاظ على النفس الديمقراطي في المنظمة ورفض تنقيح الفصل 20. بداية من عام 2020 كان كل طرف في المعارضة النقابية يشتغل بشكل فردي ثم تم التنسيق بيننا وكوّنّا اطارا اشمل وشاركنا في عديد المحطات النضالية خاصة خلال السنتين الاخيرتين.

هل مازال هناك معارضون ينشطون صلب هياكل الاتحاد؟

المؤكد ان جزءا كبيرا منا ممن يسعون الى الدفاع عن النفس الديمقراطي داخل الاتحاد وعن استقلالية المنظمة وغيرهما من المبادئ تحركوا داخل أطرها لكن القيادة البيروقراطية سعت مباشرة الى معاقبة كل من كان يحمل توجها يتبنى طرح المعارضة النقابية او حتى يتقارب معه بتجميد نشاطه او بسحب انخراطه. واكبر مثال عن ذلك ما حدث خلال الايام القليلة الماضية. فقد تم سحب انخراط 3 أعضاء بنقابة أساسية للتعليم العالي بجهة صفاقس يوما فقط قبل انعقاد المجلس الوطني بأحد نزل ولاية المنستير. وتم أيضا إعلام كاتب عام الفرع الجامعي للتعليم الاساسي بمنوبة والعضو بالمجلس الوطني قبل انعقاد المجلس الوطني بيوم فقط بسحب انخراطه وتجميد نشاطه النقابي. واضطرت البيروقراطية النقابية الى تأجيل تنفيذ العقوبات في شأن زميلنا بمنوبة الى ما بعد التئام المجلس الوطني وذلك إثر تحرّك عدد من نقابيي الجهة بما سمح له بالمشاركة في هذا المجلس. على كل يوجد رغم هذا التعسف معارضون داخل هياكل الاتحاد. ولكن الاهم من كل ذلك ان المضمون الذي تطرحه المعارضة النقابية طغى في بعض الجوانب على النقاشات التي شهدها المجلس الوطني.

لذلك تعالت اصوات عدد من المشاركين في المجلس الوطني بإنهاء مهام المكتب التنفيذي الحالي والمرور الى مؤتمر استثنائي؟

إقرار الفصل 20 من القانون الاساسي تم خلال مؤتمر جربة سنة 2002 وبعد صراع مرير داخل الاتحاد وتم فرضه بعد تقديم تضحيات جسام واتى في اطار معركة اكبر كانت حينها تشمل كل البلاد وتتعلق بالنضال من أجل الحريات والديمقراطية عامة... لذلك ليس من السهل أن يتم بين عشية وضحاها الغاء هذا الفصل من طرف مجموعة داخل المكتب التنفيذي. أصوات المعارضة كانت دائما موجودة بقوة صلب المنظمة ولو لم تجاهر

بذلك بصريح العبارة. الفرق بيننا وبين القيادة البيروقراطية ومن يتحركون في ركابها وللأسف منهم من يدّعون تصدر النضال النقابي من اجل الديمقراطية والحريات أننا مازلنا نُقرّ بأن السبب الرئيسي للازمة العاصفة التي يمر بها الاتحاد هو تنقيح الفصل 20. وخير دليل على ما نقول ان اغلب المتدخلين في المجلس الوطني رغم انهم غير محسوبين شكليا على المعارضة النقابية اكدوا ان السبب الرئيسي والمباشر لأزمة الاتحاد هو الانقلاب على الفصل 20 وهذا الاقرار نراه كمعارضين مكسبا كبيرا باعتباره في تجانس تام مع طرحنا. ولئن نتفق مع هذه الاصوات في المطالبة برحيل المكتب التنفيذي الحالي بصفة عاجلة فإننا نختلف معها في تصورنا لازمة الاتحاد.. نحن نعتبرها أزمة خاصة جدا.. فكل الازمات التي مرّ بها اتحاد الشغل سابقا كانت بسبب تدخّل السلطة. أما بالنسبة للازمة الحالية فبقدر وعينا بوجود دفع من السلطة نحو استفحالها فإن من يتحمل المسؤولية فيها هو المكتب التنفيذي اي انها ازمة داخلية بالأساس نتيجة الانقلاب على الفصل 20. لذلك نرفض المرور الى مؤتمر استثنائي بهذه الطريقة لانه سيتم بنفس الهياكل التي فصّلها التيار البيروقراطي على مقاسه بما يعني انه سيتم اختيار قيادة اخرى لا تختلف في شيء عن القيادة الحالية. ولسائل ان يسأل عمن يتبنى مقولة "المؤتمر الاستثنائي" داخل المجلس الوطني؟ أو ليسوا نقابيو جهة صفاقس الذين تزعموا حركة تنقيح الفصل 20 وكانوا وراء التحضيرات التي سبقت المؤتمر الاستثنائي لسنة 2020 بسوسة ؟ بل إن حتى مؤتمر 2020 عُقد في صفاقس. يعني ان الجهة التي بذلت قصارى جهدها لتنقيح الفصل 20 تقف اليوم وراء اقتراح عقد مؤتمر استثنائي ولا اعتقد ان تلك الجهة حريصة على فرض مبدأ الديمقراطية داخل الاتحاد... وللأسف لا تشكل مواصلة القيادة الحالية ادارة الشأن النقابي الى حدود سنة 2027 الا ضربة قاصمة للعمل النقابي من طرف قيادة غير شرعية نقّحت الفصل 20 بطريقة غير قانونية. والكل يعلم انهم نقّحوا هذا الفصل بدعوى ان الاتحاد في خطر وان الحل الوحيد يتمثل في التمديد لهم ككفاءات.. وقد لاحظنا منذ 2020 الى اين أوصلوا المنظمة. الازمة داخل الاتحاد لم تعد تتعلق بالتمشي الديمقراطي ولا باستقلاليته فقط وانما قد تمس بوجوده وبوجود العمل النقابي برمته والاكيد ان مواصلة المكتب التنفيذي الحالي الى سنة 2027 ستراكم المشاكل وتعمّقها أكثر فأكثر وكل ذلك على حساب الطبقة العاملة وعامة الشعب والوطن. نحن كمعارضة نقابية لسنا دعاة مؤتمر استثنائي بل نقترح تكوين هيئة حكماء من قدماء النقابيين شريطة ان يكون مشهودا لهم بنظافة اليد والنزاهة والكفاءة والتفاني في خدمة الاتحاد وألا تكون لهم نية الترشح لأية خطة نقابية في المستقبل وتوكل لهذه الهيئة ادارة الشأن النقابي لمدة سنة واعادة هيكلة الاتحاد بداية من النقابة الاساسية على قاعدة نظامه الداخلي لسنة 2017.. وأعتقد أن تمشّيا من هذا النوع سيعيد بشكل كبير ثقة العمال والمواطنين في الاتحاد.

كيف تلقيتم اجراء منعكم من مواكبة فعاليات المجلس الوطني بالمنستير؟

لقد حزّ في نفسي منع مناضلين من خيرة النقابيين اغلبهم راكم تجربة تفوق 30 سنة من العمل النقابي من مواكبة المجلس بتعليمات من المكتب التنفيذي. والطريف في القصة ان من يقف وراء هذا المنع مسؤولون كانوا في السابق يحتجون على منع نقابيين من مواكبة بعض المؤتمرات. على مستوى المضمون لا أخفيك سرا اذا قلت ان سقف انتظاراتنا كان اعلى مما لمسنا: فقد سعينا لكشف الدور التآمري والخطير الذي تلعبه القيادة الحالية للاتحاد. خلال الاسبوع الفارط اقامت القيادة البيروقراطية الدنيا ولم تقعدها عندما مارسنا حقنا كمعارضة في الاحتجاج ببطحاء محمد علي متهمة ايانا بالتحضير لهجمة على الاتحاد وبخدمة اجندات معادية له وبأن الاتحاد والعمل النقابي مستهدفان لتؤكد لنا كواليس المجلس الوطني الذي انعقد بأحد نزل سوسة وجود صراع بين جناحين بيروقراطيين بلغ الى حد التلاسن وتبادل العنف المادي واللفظي وانسحاب عديد الاعضاء. ما طغى اذن على هذا المجلس هو صراع متخلف قسّم القاعة الى طرفين: طرف مع عقد مؤتمر استثنائي وآخر ضد عقده. ولم ينقسما على موقف من المسألة النقابية او من قضية الحق النقابي أو حتى قضايا نقابية سياسية. وهذا عمّق الشرخ صلب القيادة وعكس صورة سيئة جدا عن الاتحاد وكشف ان قياداته هي من تقف وراء تقسيم المنظمة. للأسف سيكون الصف النقابي بعد انتهاء اشغال المجلس الوطني مقسّما الى شقين. وقد يكون استهداف المنظمة من الداخل بنفس مستوى استهدافها من الخارج عن وعي وعن دون وعي.

وكيف تقرأ تشخيص نور الدين الطبوبي أمين عام الاتحاد أزمة المنظمة خلال كلمته بالمجلس؟

لو كان خطاب الطبوبي الذي يتحدث عن "الحالمين بتصديع

جدران المنظمة" صحيحا فلمَ لم يسع الى تحصين جبهته الداخلية والتخفيض اكثر ما يمكن من جبهات التوتّر؟ وبقطع النظر عن القرارات المتخذة في المجلس الوطني فإن الصورة التي عكسها لدى الرأي العام هي ان الاتحاد مقسّم من الداخل. وهذا سيؤثر على مستقبل تسيير الشأن النقابي وعلى دور القيادة النقابية في حد ذاتها. فهل سيكون لديها اي اعتبار لدى السلطة والاعراف ولدى حتى اعداء العمل النقابي؟ اما الحديث عن سعي المعارضة النقابية للاستيلاء على المنظمة فلا معنى له ولكل مسؤول نقابي الحق في التواجد باي هيكل نقابي سواء كان نقابة اساسية او نقابة جهوية او حتى مكتبا تنفيذيا.. وأما التحذير من استهداف السلطة المنظمة فهذا أيضا مفروغ منه لان العمل النقابي كان منذ انبعاث الاتحاد مستهدفا من السلطة. لذلك لا يمكن للطبوبي ان يتخذ من مخاطر استهداف السلطة النشاط النقابي شماعة لتبرير فشله. ثم انه لو كان واعيا بخطورة هذه الهجمة لسعى لاعادة خيرة المناضلين النقابيين الى خيمة الاتحاد لا ان يعمل على تجميد نشاط أفضلهم ومنع آخرين من مواكبة اهم الاحداث النقابية الكبرى. اذا كان يتحدث عن هجمة السلطة على الاتحاد فأين الوعود التي تعهد بها خلال تجمع عمالي بالقصبة يوم 2 مارس الماضي حين قال ان المنظمة خرجت من النضال في صمت وقرّرت الخوض في ملفات مثل المقدرة الشرائية والحق النقابي والتراجع عن الاتفاقيات والحوار الاجتماعي؟ وبعد مرور 8 أشهر لم يتم تجسيم اي وعد. ثم ان السلطة التي يتهمها بالسعي لضرب العمل النقابي هي التي ساعدت هذا المكتب التنفيذي ووفرت له كل الامكانات للانقلاب على الفصل 20. ولن ننسى "صحفة العسل" التي جمعت هذا المكتب التنفيذي بعديد الحكومات.. ولن ننسى ما قامت به حكومة هشام المشيشي خلال سنة 2020 حين كان "كوفيد" يفتك بالتونسيين لتمكين الاتحاد من الحق في الاجتماع بأحد نزل سوسة لتنقيح الفصل 20. هذه السلطة شرعنت بحكم قضائي انقلاب المكتب الحالي على القانون وأكدت قانونية تنقيح الفصل الشهير حين طعن فيه بعض النقابيين رغم اني كنت ضد الذهاب للقضاء حتى لا يُستعمل ذلك كسيف مسلط على المنظمة يدفع ثمنه العمال. أية علاقة للسياسات التي تعتمدها القيادة النقابية بجوهر الخيارات التي يلجأ اليها السلطة الحالية؟ ألم يكن دورها استشاريا وديكوريا دوما؟ أين هي برامج هذه القيادة حتى في ملفات فرعية كالتعليم والنقل وغيرهما؟ هذه جملة من المعطيات التي تكشف عمّن يصطف مع السلطة ومن يستهدف الاتحاد. من حق المعارضة النقابية التواجد في الساحة لكن على قاعدة منظمة نقابية وطنية ديمقراطية مستقلة ومناضلة لا على قاعدة التموقع والولاءات والانتهازية وشراء الاصوات وذمم النقابيين.

وكيف تقرأ وحدة الخطاب النقابي مركزيا وجهويا وحتى محليا في تعاطيه مع تحرككم الاحتجاجي ضد ما تسمونه قيادة بيروقراطية؟

للاسف بات التيار البيروقراطي يتحكم في النقابات المركزية والجهوية وحتى القطاعية. وبما إن هناك مصالح مشتركة وخطا رابطا بينها كلها من المؤكد ان الموقف الذي سيتخذه المكتب التنفيذي سيسري على بقية الاتحادات الجهوية.

ما المصالح المشتركة التي تجمع بينها؟

المسؤولية النقابية اصبحت مسخّرة لخدمة الامتيازات الخاصة والشخصية وهذا ما نقصد به البيروقراطية وهي ليست حكرا على النقابات والرابط المشترك بينها هي المصالح. هم اناس مرفّهون.. "ناس لاباس عليهم" ولا علاقة لهم بهموم "الخدامة" والشغّالين. فهل يعقل ان يمثّل عضو بالمكتب التنفيذي العمال المفقرين وهو يمتطي سيارة "باسات" يتراوح ثمنها بين 120 و150 ألف دينار فيما تعجز نقابة أساسية عن توفير ثمن بضعة أوراق لاعداد بيان لها؟ هذا اضافة الى الامتيازات والعلاقات والتفرغ النقابي ووصولات البنزين والندوات التي يتم عقدها في افخم النزل. هذا كله يعتبر امتيازات على حساب الشغالين. وهذا أيضا خط رابط بين اتحاد جهوي في مدينة معينة والمكتب التنفيذي. وعندما تستهدفهم المعارضة النقابية يتّخذون نفس الموقف.

ألا يعتبر ذلك فسادا ماليا واداريا؟

عندما يتمتع 15 عضوا بالمكتب التنفيذي بسيارات "باسات" بأكثر من مليار ونصف فيما لا يوجد صندوق لدعم النقابيين المطرودين ولا يتم توفير ادنى مقومات العمل النقابي لنقابات أساسية فذلك يعتبر فسادا. فأعضاء نقابة مثل النقابة الجهوية للتعليم الثانوي بتونس مطالبون بالتحرك وبتغطية ما لا يقل عن 100 معهد في غياب أية امكانات مالية ولوجستية. في المقابل يتم توظيف كل الامكانات لنشاط المركزية النقابية وانشطة القيادات في الاتحادات الجهوية. وهذا عين الفساد. خذ مثالا اخر عن الفساد: انفقوا 29 مليون دينار لتجديد مقر الاتحاد وفق ما تم الاعلان عنه بما يعني انه بامكان هذا المقر احتضان مؤتمر كامل ورغم ذلك يتم عقد اجتماع للمكتب التنفيذي الموسّع – الذي يضم 24 كاتبا عاما جهويا و15 عضوا بالمكتب التنفيذي اضافة الى أعضاء لجنتي النظام والمراقبة المالية – على مدى يومين في احد النزل بالحمامات. اي انه يتم اهدار قرابة 100 ألف دينار عوض توجيهها الى ما يفيد العمال واستغلال المقر الذي تم تجديده مؤخرا. الا يعتبر ذلك فسادا؟ ثم ان الاتحاد هو منظمة شغلية وليس منظمة أعراف ولا دولة حتى ينفق كل هذه الاموال على الاجتماعات. وقد كنت عضو بهيئة ادارية وطنية وكاتبا عاما لنقابة التعليم الثانوي واعي جيّدا ما اقول واقدّر جيدا كلفة الندوات والاجتماعات بالنزل على الاتحاد. هذه قيادات تمارس العمل النقابي على المنوال الامريكي مركزة على المظاهر والبهرجة. فهل نحن في حاجة الى مقر بـ 30 مليون دينار؟ نحن في زمن التطور التكنولوجي المتنامي ولو أراد الطبوبي عقد اجتماع للهيئة الادارية للتباحث في امر طارئ لأمكن لكل اعضائها المشاركة فيه عبر هواتفهم، كل من مكانه دون تكبد عناء التنقل والاجتماع في مكان واحد. واذا ارادوا الاستثمار فليستثمروا في مشاريع ذات افاق مستقبلية توفّر حلولا لمشاكل العمل وليستثمروا أيضا في سبل تطوير العمل النقابي في القطاع الخاص الذي لا تتجاوز فيه نسبة الانتساب 10 او 15 بالمائة. فالاستثمار في مقر بـ 30 مليون دينار ليس انجازا تاريخيا يمكن التفاخر به. هذا المثال يكشف شكلا آخر من أشكال الفساد وسوء التصرف وضيق الافق في التصور بعيد المدى. الملفات المرتبطة مباشرة بالفساد موجودة كأن يتدخّل نقابي لتشغيل ابنه ولا يساعد بقية الشباب في الحصول على شغل أو يتم التدخل بشكل غير قانوني لمصلحة هذا النقابي او ذاك على حساب مصلحة المواطن. وهذا هو المدخل الفعلي للزبونية وللولاء للأشخاص اكثر من الولاء للعمل النقابي المناضل.

وبم تفسر عدم تدخل القضاء للحد من الفساد النقابي؟

اعتقد ان النظام الذي انتفض عليه الشعب عند اندلاع ثورة الحرية والكرامة رافعا شعار "الشعب يريد اسقاط النظام"، لا يزال موجودا وأن وجوده يرتبط ارتباطا عضويا بمنظومة الفساد وهو جزء من نظام رأسمالي اصبح فيه الفساد مُعَولما. واذا تغلغل الفساد في كل المنظومة فسيمس بالضرورة النقابات والجمعيات والاحزاب. نحن كنقابيين موجودون بمنظمة تمثل اكثر الفئات الاجتماعية تضررا من الفساد لذلك علينا اعطاء المثال في الاستقامة والنزاهة ونظافة اليد وفي مقاومة الفساد. بل ان لعديد الاطراف في السلطة مصلحة في تغلغل الفساد داخل الاتحاد. وموقفنا كمعارضة نقابية أن محاسبة كل من ثبت فساده امر لا مفر منه شريطة ان يتم ذلك داخل الاتحاد ثم تأتي مرحلة التقاضي حتى نؤكد لمنظورينا اننا مثال يحتذى به في النزاهة والشفافية. ومن المخزي ان البيروقراطية جرّدت عديد النقابيين من مسؤولياتهم وتخلّت عنهم بما ادى الى الزج بهم في السجن رغم انهم كانوا في صدارة حراك 17 ديسمبر 2010 وحراك 2008 بالحوض المنجمي. لذلك لا يمكن اليوم مواصلة السكوت والصمت على المهازل التي تحدث في المنظمة.

وما قراءتكم للأوضاع داخل الاتحاد بعد الخلافات التي طبعت أشغال المجلس الوطني وهل من تحرّكات في الافق بالنسبة لكم كمعارضة نقابية؟

اكاد اجزم بأن صراع الاجنحة الذي طبع فعاليات المجلس الوطني سيتواصل صلب الاتحاد مع استمرار المعركة على المؤتمر القادم وكأن ما حدث خلال المجلس الوطني ليس سوى شوطا اول من معركة متواصلة. اما نحن كمعارضة ففي تقديري اننا حققنا مراكمة مهمة جدا قبل المجلس وأثناءه في التأثير على الرأي العام. سنواصل نضالنا ضد القيادة النقابية الحالية رافعين شعار "رحيل المكتب التنفيذي الحالي وتكوين هيئة حكماء من قدماء النقابيين النزهاء والمشهود لهم بالكفاءة لتسيير المنظمة بصفة وقتية". كما بيّنا وجود عديد المشاكل التي تتطلب اعادة النظر كتوحيد المعارضة ومزيد احكام تأهيلها تنظيميا وبرامجيا وعمليا. في الأثناء نتوقع ان تتعمق ازمة الاتحاد اكثر باعتبار ان المنظمة باتت بعد انعقاد المجلس الوطني عاجزة عن خوض صراع لا مع السلطة ولا مع الاعراف بعد اهتزاز صورتها بشكل كبير لدى منظوريها ولدى الرأي العام وتصدع جبهتها الداخلية اضافة الى أن خيرة المناضلين النقابيين باتوا خارج هياكلها. و في خضم كل هذا لن تقف السلطة مكتوفة الايدي بل ستستغل الوضع جيدا للقطع مع النهج التشاركي ومع المفاوضات الاجتماعية. وهذا سيدفع ثمنه الشغّالون. كما سيكون ذلك أرضية موضوعية لتحرك من يواصلون التمسك الفعلي بالدفاع عن مصالح العمال وعن منظمة نقابية مستقلة وديمقراطية ملك الشغالين. والمؤكد اننا سنواصل كمعارضة نقابية التحرك بعد تقييم ما راكمنا من نضالات في ظل المستجدات التي أتى بها المجلس الوطني.. ورسالتي الى عامة النقابيين والشغالين ان القيادة البيروقراطية هي المسؤولة الاولى والاخيرة عما يمر به الاتحاد وأن ادارتها للمجلس الوطني لن تحل أزمة العمال ولا أزمة المنظمة لذلك ادعو النقابيين الى تحكيم العقل وتحمّل مسؤولياتهم تجاه المنظمة ومنظوريهم مع تصعيد النضال ضد هذه القيادة وضد كل من ساهم في ايصال الاتحاد الى الوضع الذي هو فيه. كما احث الاعلام والمجتمع المدني والأحزاب على ان الاصداع بمواقفها تجاه ما يجري داخل الاتحاد في ما يتعلق بالنهج البيروقراطي والانقلابي الذي سلكه مكتبه التنفيذي.

> • السلطة شرعنت بحكم قضائي انقلاب المكتب التنفيذي على القانون
>
> • القيادة البيروقراطية داخل الاتحاد جمّدت نشاط كل من تبنّى طرح المعارضة
>
> • المجلس الوطني عكس صورة اتحاد مقسم من الداخل
>
> • التيار البيروقراطي يتحكم في النقابات المركزية والجهوية والقطاعية
>
> • لن ننسى "صحفة العسل" التي جمعت بين المكتب التنفيذي وعديد الحكومات
>
> • المسؤولية النقابية اصبحت مُسخّرة لتحقيق امتيازات خاصة وشخصية
>
> • لأطراف في السلطة مصلحة في تغلغل الفساد بالاتحاد
>
> • قيادات البيروقراطية النقابية "ناس لاباس عليهم" ولا علاقة لهم بهموم الشغّالين.
>
> • 15 عضوا بالمكتب التنفيذي يتمتعون بسيارات "باسات" ولا يوجد صندوق لدعم النقابيين المطرودين
>
> • استثمار 30 مليون دينار لتجديد مقر الاتحاد ليس انجازا تاريخيا وإنما هو فساد وسوء تصرف

هـــل؟

بقلم : خالد الكريشي

هل تقاسم معكم الحلم والامل ؟
هل تقاسم معكم لحظات القمع ومربعات الزنزانة وبعض من صقيع المنفى؟
هل كان عنصرا سريا أم علنيا في التيار ؟
هل كان منخرطا معكم في احدى الحلقات التنظيمية بالمركب الجامعي بتونس؟
هل كان يحضر معكم الاجتماعات العامة «بحجرة سقراط» أو لحلقات النقاش «بساحة النجمة» بكلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس ؟
هل كان مقارعا جيدا لبقية الفصائل الطلابية باللغة العربية الفصحى؟
هل كان مع استقلالية الحركة الطلابية ؟ أم مع أن الحركة الطلابية جزء من الحركة الشعبية ؟
هل شارك معكم في احدى الاجتماعات السرية بالمبيت الجامعي رأس الطابية أو بأحدى المنازل المكتراة بحي التحرير او بحي ابن خلدون متقاسما معكم « عجة « سيئة المذاق وسجائر الكريستال والشاي الاحمر ؟
هل اتفقتهم أم اختلفتم معه حول تقدير موقف طلابي أو سياسي ما وغضب منكم وغضبتم منه؟
هل كان مع الحرية أولا أم مع الوحدة اولا ؟
هل كان ناشطا صلب الهياكل النقابية المؤقتة؟
هل كان يشارك معكم كل سنة في انتخابات المجالس العلمية بالكلية طالبا أو أستاذا ؟
هل شارك معكم في صياغة بيان 8 نوفمبر 1987 «لا تنخدعوا انها تتغير لا يتغير منها سوى الأغلفة»؟
هل ندد وامضى على بيانات استنكار لتجنيد عشرات الطلبة بالصحراء اواسط ثمانينات القرن الماضي وايقافهم وهل تحرك معكم من اجل اطلاق سراحهم ؟
هل شارك معكم في المسيرات المنددة بالعدوان الثلاثيني على العراق سنة 1991؟
هل كان ناشطا بالجامعة العامة للتعليم العالي؟
هل خاض المعارك القطاعية دفاعا عن المصالح المادية والمعنوية للجامعيين ؟
هل احتوى معنويا الطلبة القوميين اليتامي سياسيا وتنظيميا بأي كلية درس بها؟
هل كان من ضمن المشاركين في مؤتمر الكاف/ سليانة ؟
هل شارك معكم في النقاشات والحوارات قبل انضمام بعضكم للاتحاد الديموقراطي الوحدوي ؟ وهل قدم لكم المشورة القانونية والسياسية اللازمة لذلك ؟
هل امضى معكم على بيانات تطالب باحترام الحريات العامة والخاصة وحقوق الانسان ؟
هل امضى معكم على البيانات المنددة بمحاولات إنقلاب سلطة بن علي على الرابطة التونسية لحقوق الإنسان وجمعية القضاة وجمعية الصحافيين؟
هل عارض معكم سنة 2002 تنقيح دستور 1959 لدسترة الرئاسة مدى الحياة ؟
هل امضى معكم على البيان المندد بزيارة الصهيوني شارون لتونس سنة 2005 ؟ وهل نزل معكم من اجل ذلك للشارع متعرضا للاعتداء بالعنف المادي واللفظي؟
هل ساند معكم الدعوات المطالبة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية لابناء الشعب الكادح؟
هل شارك معكم في الحراك الثوري من 17 ديسمبر 2010 الى 14 جانفي 2011 ؟ وهل زار سيدي بوزيد والقصرين ليشاهد شلالات الدم ويستمع لزخات الرصاص ؟
هل استشاركم عند الترشح الأول سنة 2019 طالبا منكم مساندته ؟
هل ساهمتم في وضع شعار حملته التفسيرية « الشعب يريد؟»
هل استشاركم قبل اتخاذه اجراءات 25 جويلية 2021 ؟
هل استشاركم قبل اصداره أمر 117 , وقبل تشكيل الحكومات الثلاث واختيار وزراءها ؟
هل اعلمكم بعزمه الالتفاف على مشروع قانون تجريم التطبيع مع العدو الصهيوني بالاتفاق مع رئيس البرلمان ؟
هل لديكم علم الى أين وصل تفعيل شعار « التطبيع خيانة عظمى» ؟
هل اعلمكم بفحوى الاتفاقيات مع ميلوني وحكاية الأمر عدد 107 المؤرخ في افريل 2024 ؟
هل احاطكم علما لماذا دفع بمشروع صندوق قطر للتنمية للمصادقة عليه في البرلمان ؟ ولماذا اسقط؟
هل استشاركم في الترشح الثاني منذ شهرين وطلب منكم المساندة والدعم ؟
هل حسمتم معه مسألة الترشح في ظل دولة اقليمية وأمضى على «بيان طارق» ؟
هل ترشحه ليس ألا ترشح « الضرورة» في انتظار الترشح قريبا لرئاسة دولة الوحدة ؟
هل مساندتكم لترشحه مشروطة بتحويل « دولة الوحدة النواة» / « دولة اقليم القاعدة» من مصر الى تونس ؟
هل مازلت تتذكرون ما كتبه وماقاله عصمت سيف الدولة عن الحاكم العربي ؟
هل مساندته من طرف واحد أم مساندة تشاركية على اساس البرنامج السياسي والاقتصادي والاجتماعي المشترك للخمس سنوات مقبلة ؟
هل اعتمد معكم في اطار التشاركية والتعامل الند للند على قاعدة « الورقة البيضاء « عند إعداد البرنامج الانتخابي ؟
هل اتفقتم على حل لاشكالية الشرعية الدولية الواردة بتوطئة الدستور والاعتراف بالقرارين 242 و 338 ؟
وهل توصلتم معه الى تحديد موعد لتحرير فلسطين كل فلسطين التاريخية من البحر الى النهر ومن الناقورة الى رفح ؟ قبل قيام دولة الوحدة ؟ أم بعدها؟
هل اتفقتم معه على بدء تطبيق الشريعة الاسلامية في الدولة القطرية / دولة الضرورة تطبيقا لكتاب « عن العروبة والاسلام» وللفصل الخامس من الدستور؟ أم سيرجىء ذلك الى حين قيام دولة الوحدة!؟
هل أطعم الشعب من جوع وامنه من خوف؟
هل اتاكم حديث الطوابير الطويلة امام المغازات في كل قرية ومدينة؟
هل لديكم علم عن الأرقام التي ينشرها المعهد الوطني للاحصاء؟
هل لديكم علم بعدد الوافدات والوافدين على العيادات النفسية العامة والخاصة ؟
هل تعلمون ان الابتسامة اختفت نهائيا من الشارع التونسي وحل محلها البؤس والكابة واليأس والاحباط؟!
هل لديكم علم بارتفاع نسبة الجريمة دون احتساب الرقم الاسود؟
هل هل تعلمون أنه يوجد في العلاقات الاجتماعية والسياسية مبدأ يسمى « مبدأ المعاملة بالمثل» ؟
هل مازلتم تتذكرون ترجمة هذا المبدأ في قولة عبد الناصر « نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا» ؟
هل مازلت تتذكرون ما كتبه وماقاله عصمت سيف الدولة عن الحاكم العربي ؟
هل اتصل بكم بعد المساندة شاكرا وواعدا لكم بمزيد من التشاركية والعمل المشترك ؟
هل يعترف بكم كأجسام وسيطة حزبا كان أم جمعية أم نقابة ..؟ بل هل يعترف بكم كمناضلين فرادى في قطاعاتكم؟
هل تحدث اليكم ؟ هل هنئكم بعيد فطر وبعيد الاضحى؟!هل يسمع لكم ,بل وبكم؟ هل هو معبركم أصلاً ؟
هل منح لكم قيمة واعتبارا ؟
هل حضر البعض من اتراحكم وافراحكم؟
هل ابتسم في وجهكم يوما؟
هل تعتقدون ان مساندتكم له من طرف واحد تتماهى مع قيم الأنفة والكبرياء والعزة والشموخ تربيتم عليها طويلا.؟
هل تتماشى مساندتكم له من طرف واحد ودون قيد أو شرط مع مقولة عبد الناصر « ارفع رأسك يا أخي فلقد ولى عهد الاستعباد»؟
هل تعلمون ماهي كلفة المساندة الاحادية سياسيا وتاريخيا ؟
هل تعلمون الى أين انتهت كل قصص الحب من طرف واحد؟
هل تعلمون ان مذاق الحب من طرف واحد مذاق عجيب ,حلو مرّ مدمّر منعش ؟!
هل تعلمون أن الحب من طرف واحد يحتوي كل المتناقضات في شعور واحد لا تستطيع أن تبقى ولا تستطيع أن ترحل ؟!.
هل تعلمون ان الحب من طرف واحد يجعلك لا تستطيع أن تنسى ولا تريد أن تتذكر ,لا تريد أن تفرض نفسك .وتعجز عن إنكار ما في نفسك...؟!
هل تعلمون ان الحب من طرف واحد مثل عملية جراحية بدون بنج والموت من الألم فيها مؤكد ؟
وهل تعلمون أن الحب من طرف واحد معاناة بلا نهاية وأنه مذلة واهانة ؟
وهل تعلمون ان السؤال دوما أهم من الجواب؟

رأي

هل الطاقات البديلة هي الحل للنهوض بالتنميّة في تونس؟

بقلم : منصف سلطاني (أستاذ وباحث في التاريخ المعاصر)

تعتبر تونس من أبرز البلدان العربيّة والإفريقيّة التي تشكو من عجز طاقيّ على عكس بلدي الجوار ليبيا والجزائر اللّتين يعدّان من أهم البلدان النفطية في العالم العربي.

وقد كان للعجز الطاقي في تونس تأثير كبير على منوال التنميّة حيث يثقل كاهل ميزانية الدولة بسبب تخصيص الاموال المرصودة للتنمية الاقتصادية الى دعم قطاع المحروقات زيادة على ضعف الانتاج في النفظ والغاز الطبيعي. وحسب احصائيات وزارة الصناعة والطاقة والمناجم فقد بلغ العجز الطاقي في تونس خلال الثلاثي الأول من سنة 2024 حوالي 4 مليارات دينار.

هل أنّ الطاقات المتجددة هي الحلّ للقضاء على العجز الطاقي؟

أصبح قطاع الطاقة منذ سنوات عديدة يواجه تحديات كثيرة في ظل ارتفاع نسق استهلاك المحروقات في البلاد خاصة في المجال الصناعي. كما أصبحت تونس بسبب ذلك من أكثر البلدان التي تعاني من التبعية للبلدان الأجنبية في ظل تراجع انتاج الموارد الطاقية في السنوات الأخيرة. لذلك بادر الخبراء في الميدان إلى البحث عن حلول بديلة لهذا المشكل. ومن بين الحلول الناجعة التي يراها أهل الميدان هو الاعتماد على الطاقات البديلة صديقة البيئة وفي مقدمتها الطاقة الشمسية، خاصة أنّ الطقس في فصل الصيف يتسم بارتفاع درجات الحرارة. وبذلك تعتبر تونس من أكثر البلدان التي يمكن أن تستفيد من الطاقات المتجددة. ويمكن أن يكون الاعتماد على هذه الطاقات قاطرة التنمية الاقتصادية في زمن التحديات الكبرى.

في السياق نفسه يمكن لتونس أن تكون بوابة استثمار في مجال الطاقات المتجددة شرط أن توفر الدولة امتيازات للمستثمرين المحليين والأجانب على حد السواء مثل الاعفاء من دفع الضرائب وبيع الأراضي بالسعر الرمزي .

ويمكن لقطاع الطاقات البديلة ان يكون من أهم محركات النمو الاقتصادي في بلادنا، بما يؤدي إلى التقليل من دعم المحروقات. وتوجه الأموال المخصصة لدعم المحروقات إلى تطوير البنى التحتيّة في المناطق الداخلية وإحداث مواطن الشغل للتقليل من نسبة البطالة في البلاد.

ومن بين الطاقات المتجددة الأخرى في تونس يمكن ذكر الهيدروجين الأخضر الذي يساهم في إنتاج الكهرباء النظيفة ولا يضرّ بالبيئة. وقد لقي مشروع الطاقات البديلة في تونس اهتماما من قبل رئيسة الحكومة السابقة نجلاء بودن، اذ ان هذا القطاع يمكّن من كسب التحديات الكبرى في الجانب الاقتصادي. فقد كانت للطاقات المتجددة في برنامج الحكومة أولوية بسبب ارتفاع نفقات دعم المحروقات في الآونة الأخيرة. وأكدت وزيرة الصناعة والطاقة والمناجم في تصريح لها بتاريخ 7 جوان 2022 أنّ الحكومة تتجه إلى ترشيد استهلاك الموارد النفطية ضمن برنامج الإصلاح الاقتصادي وأنها ستعمل على دعم برامج الطاقة المتجددة إما للاستهلاك المحلي أو للتصدير بالإضافة إلى التشجيع على استخدام السيارات الكهربائية في البلاد.

الطاقات المتجددة في تونس: أي مستقبل ؟

مثّل تطوير الطاقات المتجددة ضمن استراتيجيات البلاد التونسية عاملا بارزا للتخفيض من فاتورة توريد النفظ والغاز الطبيعي لتشغيل محطات توليد الكهرباء، حيث تسعى السلطات مستقبلا إلى إنتاج ما يفوق 3 آلاف ميغاواط من الطاقات النظيفة في سنة 2030. ورغم أهميّة هذه الطاقات المتجددة في بلادنا فإنّ تطويرها لا يخلو من صعوبات كثيرة في مقدمتها مصادر تمويل إحداث هذه المشاريع الضخمة اذ ان تركيز محطات طاقة شمسية يتطلب موارد مالية كبيرة لا تقدر الدولة على توفيرها في الوقت الراهن.

ومن بين المشاريع التي تمّ إحداثها في تونس تركيز محطتين لانتاج الكهرباء في توزر بتمويل من الوكالة الألمانية للتنمية بلغ حوالي 26 مليون دينار.

فهل يكرّس إحداث هذه المشاريع التبعيّة من جديد إلى الخارج؟

رغم أهميّة الطاقات المتجددة مثل الهيدروجين الأخضر والطاقة الشمسية في التقليل من العجز الطاقي فإن إحداث هذا النوع من المشاريع يمكن أن يؤدي إلى تعميق التبعيّة الاقتصادية إلى الخارج في ظل عجز الدولة على توفير الأموال. كما سيزيد في حجم المديونية إلى المؤسسات المالية مثل البنك الدولي والبنك الإفريقي للتنمية. لذلك يجب التفكير في أن تكون هذه المشاريع قاطرة للتنمية. على سبيل المثال يمكن أن تساهم الطاقة الشمسية في النهوض بالقطاع الفلاحي الذي يدرّ أموالا طائلة على ميزانية لا سيما قطاع زيت الزيتون.

علاوة على ما تقدم، فإنّ إنتاج الهيدروجين الأخضر يتطلب كميات كبيرة من الموارد المائيّة. وشهدت تونس في العقود الأخيرة أزمة حادة تمثلت في الشح المائي بسبب قلّة الأمطار إذ عرفت البلاد سنوات متتالية من الجفاف. واضطرت السلطة إلى تركيز محطات لتحليّة مياه البحر حتى لا تسقط البلاد في خط الفقر المائي. ومن بين المحطّات نجد محطة تحليّة مياه البحر بالزارات في ولاية قابس التي دخلت حيّز التنفيذ في شهر جويلية الفارط ومحطة تحلية مياه البحر في مدينة صفاقس التي دخلت الطور التجريبي إضافة إلى محطة التحليّة بسوسة التي سيتم تشغليها في القريب العاجل.

وبالتالي يمكن القول إنّ تطوير الطاقات المتجددة يقتضي تذليل عراقيل متعددة حتى تكون قاطرة لتحقيق التنمية الاقتصادية.

وترغب المجتمعات الغربية في استخدام الهيدروجين الأخضر لعدّة اعتبارات أهمها التقليل من التلوث وتخفيض الاعتماد على الوقود الأحفوري.

لذلك يمكن استخدام تحلية مياه البحر للمساعدة على إنتاج وقود الهيدروجين في تونس دون أن يتم المساس بالموارد المائية الجوفية المهددة بالإستنزاف، وهو ما يهدد حياة الأجيال القادمة. ومن جهة أخرى يمثل الاتحاد الأوروبي احد أهم الأطراف التي ترغب في الاستثمار في مجال الطاقات المتجددة بهدف القضاء على التبعية للغاز الروسي. وبما أنّ تونس تعدّ من أهم الشركاء الاقتصاديين للاتحاد الأوروبي فإنها أصبحت ميدانا مناسبا وقبلة للمستثمرين الأوروبيين في مجال الطاقات البديلة.

ختاما يمكن للطاقات المتجددة أن تكون جوهر التنمية المستدامة في المنطقة المغاربيّة برمتها وليس في تونس فقط حيث تساهم في توفير الطاقة الكهربائية لتنمية الأوساط الريفية النائية بكلفة اقتصادية زهيدة. كما يمكن لهذه الطاقات أن تساهم في تحلية مياه البحر بما يؤدي إلى تخليص المجتمعات المغاربية من كابوس الشح المائي. وتعتبر الطاقات المتجددة محركا لتطوير منوال اقتصادي مستدام يمكّن من تحسين الوضع الاجتماعي والقضاء على آفتي الفقر والبطالة.

التقرير الأسبوعي لـ «التونسية للأوراق المالية» :

AMEN BANK يسيطر، AETECH تقفز وSTIP تتراجع

منحى السوق

- تراوح أداء السوق خلال الأسبوع الممتد من 2 الى 6 سبتمبر 2024 بين مدّ وجزر قبل أن ينهي الأسبوع في ركود مسجلا تراجعا بـ 0,1 ٪ ومقفلا عند النقطة 9804,4. ومنذ بداية العام حافظ تونينداكس على أداء في حدود 12 ٪ وهي نتيجة محمودة في ظل الركود السائد.
- تميز الأسبوع الأول من شهر سبتمبر بتباطئ واضح في نسق التداولات جامعا محفظة بـ 12,5 مليون دينار بما مثّل معدلا يوميا بـ 2,5 مليون دينار. ولم يسجل الأسبوع المذكور انجاز أي تبادل بالكتل حسب تحليل الوسيط الرسمي ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

- حقق سهم آي تاك AETECH أفضل أداء خلال الأسبوع المذكور مسجلا قفزة بـ 14,3 ٪ بسعر 0,240 دينار وسط مدّ مالي زهيد بألف دينار.
- نجح سهم "تأمينات أمي" ASSURANCES AMI الذي تم تداوله خارج قائمة الأسهم المدرجة بالبورصة في التميّز على امتداد الأسبوع. وحقق سهم الشركة المسنودة من البنك الوطني الفلاحي BNA تعديلا بـ 5,7 ٪ بسعر 1,850 دينار وسط حجم أموال ضعيف بـ 105 آلاف دينار.
- تعرّض سهم الشركة التونسية لصناعة الإطارات المطاطية STIP الى أكبر خسارة شهدها الأسبوع المذكور مسجلا تراجعا بـ 7,6 ٪ بسعر 3,510 دينار وسط تداولات شبه منعدمة لم تتجاوز 11 ألف دينار.
- كان سهم الشركة التونسية لصناعة الورق SOTIPAPIER ضحية تيار بيوعات مسجلا انخفاضا بـ 3,6 ٪ بسعر 5,300 دينار جامعا على امتداد الأسبوع حجم أموال بنحو 300 ألف دينار.
- كان سهم بنك الأمان AMEN BANK الأكثر تداولا خلال الأسبوع المذكور (حجم أموال بـ 1,3 مليون دينار). وسجّل السهم تراجعا بـ 1,7 ٪ بسعر 43,000 دينار.

مستجدات السوق

شركة بيع المنتوجات الصحية SAH Lilas : القائمات المالية المدمجة في نهاية جوان 2024 :

نشر مجمع شركة بيع المنتوجات الصحية SAH Lilas بعنوان نشاطه خلال السداسي الأول من عام 2024 نتائج مشجعة جدّا أظهرت أن بطل المنتوجات الصحية نجح في تحقيق نموّ في نتيجة الاستغلال بـ 64 ٪ بحجم 60,1 مليون دينار وذلك رغم ارتفاع محتشم لرقم معاملاته بـ 3,7 ٪ استقر عند 444,7 مليون دينار. كما سجل المجمع صافي أرباح قياسيا تضاعف وبلغ 30,3 مليون دينار.

بلاغ من مجمع وان تاك One Tech Holding :

عقد مجلس إدارة مجمع وان تاك يوم 27 أوت 2024 اجتماعا خصصه للنظر في نشاط المجمع خلال السداسي الأول من 2024 وقرر :

- تفعيل مبدإ التفريق بين قطبيه الرئيسيين وهما القطب الميكانيكي الالكتروني وقطب الكوابل الى جانب الشروع في عملية تفكير معمّق لتحديد طرق تحقيق ذلك وفق أفضل الشروط. وتهدف هذه الخطوة لخلق كيانات متجانسة قادرة على التطور بكل استقلالية والاستفادة على أفضل وجه من أوجه التآزر ومن الاقتصادات الفضلى التي تعمل وفقها الفروع التابعة لكل منها.

كما قرر مجلس الإدارة الانطلاق في البحث عن شراكة استراتيجية لـ Fuba Tunisie المختصة في الحلقات المطبوعة لتمكينها من الاستفادة من التغيّرات الجارية وتسريع تطوّرها التكنولوجي على الصعيد العالمي.

إشهار

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال» شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

وانكشفت مؤامرة اسرائيل وأثيوبيا على مصر

الحبيب القيزاني

نتنياهو مع آبي أحمد

حشود عسكرية أثيوبية على حدود الصومال

• نتنياهو يتهم القاهرة بعرقلة اتفاق مع "حماس" ويطالب الكونغرس بمعاقبتها

شهدت الأزمة الاثيوبية – المصرية تطورات جديدة خلال الـ 48 ساعة الأخيرة تميّزت بتنسيق تحرك أديس أبابا مع الكيان الصهيوني إزاء القاهرة.

ففيما صعّد رئيس الحكومة الاثيوبية أبي أحمد من تصريحاته المعادية والمستفزة لمصر وتهديده بإذلال القوات المصرية التي حطت بالصومال شرع اللوبي الصهيوني في أمريكا في التحرك للمطالبة بفرض عقوبات على مصر.

على الصعيد الاثيوبي خرج رئيس أركان الجيش ليصف مصر بالعدوّ التاريخي لبلاده مدّعيا وجود ما أسماه عصابات مصرية على حدود بلاده مع الصومال متهما مصر بالعمل على إبقاء اثيوبيا ضعيفة زاعما أن القاهرة فصلت اريتريا وحوّلتها الى دولة حبيسة (بلا منفذ بحري) مضيفا ان مصر هي التي صنعت جبهة تحرير الأورومو وجبهة تحرير التيغراي وجبهة تحرير أوغادن.

بعده خرج أبي أحمد متدثّرا بثوب ملاك ليؤكد أن بلاده لا تسعى الى أي صدام عسكري مع أية دولة متوعّدا في نفس الوقت بإهانة أي جيش يفكر في اقتحام أراضي بلاده وهنا المغالطة الكبرى.

ذلك أن الحقيقة هي تخوّف أبي أحمد من استرجاع الصومال كامل أراضي إقليم أوغادن الذي هو تاريخيا أرض صومالية استعمرتها بريطانيا وسلمتها عند خروجها الى أثيوبيا وهو إقليم غني بالنفط وبمناجم الذهب الى جانب معادن أخرى وعدة أنهار تنبع حواليه. وقد خاض جيش الصومال الصغير عدة حروب مع أثيوبيا وفشل في استرجاعه. أما اليوم وقد تدخّلت مصر ردا على تهديد مضيق باب المندب وحركة المرور بقناة السويس فقد اشتم أبي أحمد خطر اكتساح الجيشان المصري والصومالي الإقليم المسلوب وفقدان بلاده موارد الثروات الباطنية التي يزخر بها فأقام الدنيا ولم يقعدها معتمدا في ذلك بالأساس على مؤازرة إسرائيل.

مخاوف أبي أحمد في محلّها لانه اذا تحرك الجيش الصومالي فإن الشرعية الدولية معه باعتبار أنه يسعى لاسترجاع أرض افتكت من بلاده بالقوة.

لكن ادعاء أبي أحمد ان مصر تهدد أراضي بلاده مجرد هذيان لانه لو ارادت القاهرة الانضمام الى الجيش الصومالي وتحرير إقليم أوغادن لما دفعت بـ 5 الاف جندي فقط من جملة الـ 10 آلاف المخطط لهم الوصول الى الصومال قبل نهاية العام. لو أرادت مصر الحرب لدفعت بـ 100 ألف جندي بمعداتهم الثقيلة وسلاح الطيران والبحرية حتى تضمن الانتصار مع علمها بأن الجيش الاثيوبي لن يحارب وحده وأنه سيكون مدعوما من طرف تل أبيب.

على الصعيد الإسرائيلي، كشفت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن تل أبيب وواشنطن أصبحتا على قناعة بأن المفاوضات مع "حماس" فشلت وأنه لن تكون هناك صفقة لمبادلة الرهائن بالأسرى.

وتضيف الصحيفة أنه أمام هذه الحقيقة تحاول إسرائيل اقناع الإدارة الامريكية بأن المتسبّب في فشل المفاوضات ليس نتنياهو وإنما مصر.

وتشير الصحيفة الى أن الإسرائيليين بدؤوا في عقد اجتماعات مع أعضاء "آيباك" (اللوبي الصهيوني في أمريكا) حتى يتحركوا داخل الكونغرس ويتهموا القاهرة بعرقلة مفاوضات التوصل الى صفقة لتبادل الاسرى والرهائن ويطالبوا بالضغط على مصر عبر قطع المعونة العسكرية عنها اذا لم تركع لمطلب نتنياهو بسيطرة بلاده على محور فيلادلفيا بزعم انه مصدر تهريب السلاح الى قطاع غزة.

تركيا على الخط

تعنّت أبي أحمد من جهة وصلف وعنجهية نتنياهو من جهة أخرى يذكّران بحكاية "المالطي وشريكو" في اتفاقهما على اثارة المشاكل لمصر ومحاولة جرّها الى حرب في القرن الافريقي أظهر أبي أحمد انه مستعد لخوضها نيابة عن اللوبي الصهيوني العالمي المهوس بالنيل من قوة مصر كإحدى خطوات حلم ابليس بجنة "إسرائيل الكبرى" من النيل الى الفرات.

لكن المفاجأة هي ظهور حلف تركي – مصري في مواجهة المؤامرة الإسرائيلية – الاثيوبية على "أرض الكنانة". فبعد الزيارة التي أداها مؤخرا على عجل الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي الى انقرة ومحادثاته مع الرئيس رجب طيب أردوغان حول التطورات الإقليمية بالمنطقة أجرت تركيا فجأة مناورات عسكرية بحرية شارفت على السواحل الإسرائيلية دون تنسيق مع تل أبيب في حين دفع الجيش المصري بتعزيزات الى حدود سيناء مع قطاع غزة المحتل. وكشف الاعلام التركي عن توقيع انقرة والقاهرة على صفقة عسكرية هي الأولى من نوعها بين البلدين منذ ثمانينات القرن الماضي تعلقت حسب ما نشرت صحيفة "الشرق" بتفاهمات بشأن ليبيا والصومال وتضمنت 17 اتفاقية اقتصادية وعسكرية.

وكشف الاعلام التركي أيضا أنه حال انتهاء زيارة السيسي الى انقرة، قطع أردوغان العلاقات التجارية مع إسرائيل.

وقد ردت حكومة نتنياهو باغتيال الناشطة التركية المتضامنة مع الفلسطينيين عائشة نور أسجي في مدينة نابلس بالضفة الغربية قبل أن تفاجأ بأنها تحمل أيضا الجنسية الامريكية.

عسكريا كان ردّ تل أبيب على المناورات البحرية التركية توجيه طلب الى البنتاغون تطالبه فيه بتحريك "المارينز" المتواجدين في جزيرة قبرص الى شواطئ المتوسط الشرقية قبالة الاسطول الحربي التركي.

لكن مناورات إسرائيل لم تقف عند هذا الحدّ، فقد كشف موقع "الحدث" أن تل أبيب تواصلت مع إدارة "صوماليلاند" وعرضت عليها صفقة تنص على توقيع معاهدة تعاون وبناء قاعدة عسكرية واستخباراتية إسرائيلية مقابل اعتراف دولي بدولتها وانها تعهدت لها بوضع اللوبي الصهيوني في أمريكا وأوروبا في خدمة ما يسمى "قضية ارض الصومال" (قضية صوماليلاند) وبالتالي اعتراف الدول الغربية بها لتنكشف بذلك حقيقة الطلب الاثيوبي بالحصول على منفذ بحري بـ "صوماليلاند".

اما الهدف من القاعدة العسكرية التي تريدها إسرائيل في صوماليلاند فهو التواجد في خليج عدن والقدرة على خلق مشاكل لمصر جنوب مضيق باب المندب والتنصت على الحشود المصرية في الصومال وفي شرق افريقيا عامة أي صبّ الزيت على النار عبر تأليب الحركات الانفصالية على حكومات دول المنطقة واشعال الحروب في وجه الجميع وخصوصا مصر تحت غطاء الادعاء بمواجهة نفوذ ايران في اليمن والتعتيم على الهدف الحقيقي الذي هو السيطرة على البحر الاحمر وباب المندب والتحكم في حركة المرور إلى قناة السويس.

• سرّ مناورات البحرية العسكرية التركية أمام سواحل اسرائيل

ضرب "طريق الحرير" ؟

موسكو دخلت على خط الازمة وعبّرت عن دعمها الصريح والمباشر لمصر عبر امدادها، حسب ما كشف موقع RT بـ "أقوى أسلحتها".

ذلك أن روسيا تماما مثل الصين يدركان أن معنى غلق مضيق باب المندب هو قطع الطريق عليهما في الوصول الى البحر الأحمر عبر قناة السويس وضرب طريق الحرير الصينية الجديدة التي تعتبر رأس حربة مشروع "بريكس" وأنه يتوجب عليهما الوقوف الى جانب مصر لإحباط مخطط مماثل وبالتالي حماية طريق الحرير الجديدة ومنع عسكرة البحر الأحمر والسيطرة على باب المندب واحتلال خليج عدن.

هكذا تبرز بكل وضوح خريطة التحالفات والرهانات والتحديات واللاعبين الإقليميين والدوليين : معسكر يضم مصر وتركيا وروسيا والصين في مواجهة خندق يضم إسرائيل واثيوبيا وصوماليلاند ومن ورائها الولايات المتحدة التي يبدو انها كانت على علم مسبق بالسيناريو الإسرائيلي ولغّمت المنطقة وبحارها بترسانة من حاملات الطائرات والقاذفات والغواصات تحوّطا لكل طارئ قد يمثل خطرا على حليفتها إسرائيل. اما الملعب فهو منطقة القرن الافريقي الاستراتيجية.

ما خفي أعظم...

الحقيقة أن المسألة لا تقتصر على أثيوبيا وسدّ النهضة فحسب وإنما تثبت أن مصر لن تغيب عن أرض المواجهة لحماية امتدادها الافريقي لأمنها القومي باعتباره لا يقتصر على دول حوض نهر النيل فقط.

وسواء تعلق الأمر بالقرن الافريقي أو بدول شرق افريقيا فإن المتابع للتطورات التي شهدتها القارة الافريقية منذ ما لا يقل عن 4 سنوات (أي مع دخول جو بايدن الى البيت الأبيض) يكتشف أن ادارته هي التي نقلت المعركة الى داخل القارة السوداء منذ اليوم الأول لتسلّمها إدارة السياسة الخارجية اذ تم اعتماد خطة توطين الاسلامويين الإرهابيين في افريقيا ومحاولة توطين ونشر نموذج اللادولة في القارة حتى يسهل استنزاف مواردها الطبيعية ونهبها بأبخس الأسعار.

وقد بدأت "اللعبة" في مضيق الموزمبيق وامتدت الى خليج غينيا وكذلك الى السودان. لكن روسيا ردّت بسلسلة من الانقلابات العسكرية في شوق افريقيا أنهت النفوذ الأمريكي والبريطاني والفرنسي في عدة دول به.

المفاجأة هو دخول دولة جيبوتي على خطّ الأزمة عارضة على أديس أبابا منحها منفذا بحريا يطل على خليج عدن لكن المشكلة بالنسبة لمصر ان جيبوتي تطل جغرافيا على مضيق باب المندب مباشرة ممّا يعني أن "اللعبة" لن تبقى في الجنوب بخليج عدن وإنما في عرض مضيق باب المندب.

مع تحرّكها عسكريا، لجأت مصر الى مجلس الأمن الدولي في ما يتعلق بسدّ النهضة وأبلغته بأنها "ستدافع عن مصالحها" وذلك رغم أن السدّ المذكور هو في النهاية مشروع فاشل لن يوفّر ماء ولا كهرباء لأثيوبيا. ذلك أن نصف منشآت السدّ غارق في الحقيقة تحت مياه النيل الأزرق إضافة الى أن بحيرته غير قادرة على احتجاز المياه فيما رصدت الأقمار الاصطناعية تشققات في هيكل السدّ زيادة على أن توربينات الكهرباء لا هي تعمل ولا هي قادرة على انتاج الكهرباء وحتى لو انتجت كهرباء فإنه لا وجود أصلا لشبكة كهرباء في أثيوبيا لاستقبال انتاج مزعوم.

الدكتور رشاد حامد مستشار اليونيسف للبيانات أكد ذلك منذ عامين في مقال جاء فيه بالخصوص : "واقتربت الفضيحة بجلاجل. عدد توربينات سدّ النهضة بعد التخفيض 13 وحاليا تم تركيب 4 ولو عملت كل هذه التوربينات كل عام سيكون الماء المنصرف منها كل سنة 36 مليار متر مكعّب وستولّد 1،6 جيغاوات بفرض كفاءة وهمية 100 ٪". ويتابع : "لو أضافت أثيوبيا توربينين وأصبح عدد التوربينات 6 سيكون المنصرف من المياه 54 مليار متر مكعب سنويا أي أكثر من متوسط ايراد النهر بأربعة مليارات متر مكعب وهذا كفيل بتفريغ الخزّان تماما والوصول الى مستوى المخزون الميت في ظرف بضع سنوات ولذلك يستحيل على أثيوبيا تشغيل 6 توربينات".

وخلص الدكتور رشاد حامد الى القول: "الفضيحة سيشاهدها العالم حين تركّب اثيوبيا كل التوربينات وتكون 8 منها معطّلة عن العمل طوال العام بسبب استنفاد كل الماء نتيجة تجاوز تشغيل 5 توربينات...".

وهكذا يبدو أن أبي احمد أدخل بلاده في نفق مظلم دون ان يدري ليتحول السدّ نتيجة خطإ في الحسابات من نعمة الى نقمة.

• مستشار مصري : فضيحة بجلاجل في انتظار سدّ النهضة

آل روتشيلد.. وديون أوكرانيا

وكالة "رويترز" ذكرت أن عائلة روتشيلد ساهمت في التوصل الى اتفاق مع دائني أوكرانيا الخواص.

ونقلت الوكالة عن مصدر فرنسي لم تذكره أن عائلة روتشيلد "مقرّة العزم على مساعدة أوكرانيا لتجنب إفلاسها".

وحسب نفس المصدر "شارك ممثلو روتشيلد مشاركة فعّالة في مفاوضات جرت بين كييف ودائنين خواص تعلقت بإعادة هيكلة ديون أوكرانيا" و"مكّنوا مختلف الأطراف من التوصل الى اتفاق حسب أقوال 5 مستثمرين وممثلين عن أوكرانيا" مرجحا أن تكون المفاوضات قد دارت بمقر تابع لمؤسسة روتشيلد وشركاتها كائن بـ 29 نهج Messine بالدائرة 8 من العاصمة الفرنسية باريس.

وأضاف المصدر أن أولى الاتصالات التي جرت بهدف تسوية قضية ديون أوكرانيا انطلقت في شهر جوان الماضي وأنها توقفت طيلة الأسبوعين التاليين نتيجة عدم حصول اتفاق بين أهمّ المساهمين والدولة الأوكرانية بسبب رغبة كييف في فسخ جزء من ديونها قال المصدر انه أكبر من الـ 20 ٪ التي تم الاتفاق عليها سابقا.

وتابع المصدر أن المفاوضات دامت أكثر من 48 ساعة لم ينم خلالها المشاركون فيها وأنه تم التوصل اثرها الى اتفاق.

مطار دولي صيني لعاصمة التشاد

موقع Sahel Intelligence نقل عن الرئاسة التشادية الإعلان عن توقيع اتفاق مع الشركة الصينية CAMCE تتولى بمقتضاه بناء مطار دولي بالعاصمة نجامينا.

الموقع أضاف أنه تم التوقيع على الاتفاق ببكين خلال فعاليات منتدى التعاون الصيني – الافريقي الذي انتظم من 4 الى 6 سبتمبر الجاري مشيرا الى أن الامضاء عليه تم من طرف وزير المالية والميزانية التشادي ومدير مجلس إدارة شركة CAMCE.

الموقع أشار الى انه تم أيضا التوقيع بين الجانبين على 6 اتفاقيات تعاون بحضور الرئيس التشادي قال انها تعلقت بتأهيل وتطوير شبكة الكهرباء بالبلاد واجراء دراسة حول جدوى مشروع تزويد العاصمة وعدة مدن تشادية بالماء الصالح للشرب زيادة على إقامة ضيعات فلاحية حديثة بعدة مناطق من البلاد وتأهيل شبكة التطهير مع تعزيز قدرات الجيش التشادي.

فريق كامل...

موقع "الشبكة العالمية" كشف أن عددا من المدربين السويديين والدنماركيين لقوا حتفهم اثر الهجوم الصاروخي الذي شنته القوات الروسية منذ نحو أسبوع على مراكز التكوين في الاتصالات بمدينة بولتافا الأوكرانية.

الموقع أشار الى ان القتلى كانوا يشكلون فريقا يعمل لصالح شركة SAAB المتخصصة في صنع طائرات مسيرة للاستطلاع والانذار المبكّر.

الموقع أشار الى ان المعلومات التي حصل عليها من مصادر استخباراتية تؤكد ان السويد فقدت اثر الغارة الصاروخية كل المسؤولين السامين العاملين في جناح أنظمة الكشف والمراقبة بالشركة المذكورة مؤكدا ان معلوماته تقول انه تم رصد تولّي 15 شاحنة اجلاء جثث جنود وضبّاط من المكان وأن عددهم يناهز 600 بين قتيل وجريح.

يذكر أن بيلستروم وزير خارجية السويد قدم استقالته اثر الكارثة بعدما ارتفعت خسائر بلاده في جبهات القتال في الأرواح والمعدات اثر التحاقها بحلف "الناتو" بطلب منه.

جنون مطلق

أدانت موسكو نداء توجه به الرئيس الفرنسي الى صربيا خلال زيارته الأخيرة اليها مع موفى شهر أوت المنقضي دعاها فيه الى "الانضمام الى جبهة مشتركة ضد روسيا" وذلك في مقال نشرته له صحيفة Politika الصربية عشية زيارته الى بلغراد.

ماريا زاخاروفا الناطقة باسم وزارة الخارجية الروسية شجبت نشر "نص معاد للروس" في الصحيفة الصربية وقالت : "نحن نتحدث عن ظاهرة وطنية واضحة في كلام الرئيس الفرنسي والأمر يتعلق بما يعرف الصرب عن تاريخ بلادهم وعندما يبني الناتو سياسته على معاداة أمة أو جنسية معينة كيف يتم نشر ذلك حتى من دون ملاحظة أسفل المقال أو تعليق عليه؟".

وأضافت زاخاروفا : "سمعنا الكثير من التصريحات اللامنطقية من طرف القادة الغربيين لكن الامر هنا يتعلق بمثال واضح للجنون المطلق (...) انا مع تعدّد الآراء لكن هناك حدود بين حرية التعبير والشتيمة".

آخر تنبيه

وزارة الاقتصاد والمالية ببوركينا فاسو حدّدت يوم 17 سبتمبر الجاري كآخر أجل لمسؤولين سابقين شغلوا مناصب رسمية لإعادة بنايات وسيارات الدولة التي ما زالت تحت ذمتهم.

وجاء في بلاغ صادر عن الوزارة ان "وزير الاقتصاد والمالية يطلب بشكل عاجل من الشخصيات التي تمتّعت بسيارات أو بنايات الدولة خلال أداء وظائفهم والذين لم يعيدوها بعد القيام بذلك في أجل لا يتعدى يوم الثلاثاء 17 سبتمبر الجاري". وأضاف البلاغ أنه "بعد تجاوز هذا الأجل يحتفظ الوزير لنفسه بحق اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لاستعادة أملاك الدولة".

يذكر أن رئيس البلاد كان قد كلّف في أكتوبر 2023 الأمناء العامين للوزارات بإعداد قائمة في الشاحنات الصغيرة والكبيرة غير المستعملة لوضعها على ذمة قوات الدفاع والأمن من أجل تعزيز وسائلها اللوجستية.

كما التزمت حكومة الانتقال بالتخفيض في المصاريف العمومية للتشجيع على اتباع حوكمة اكثر نجاعة لبنايات وسيارات وأملاك الدولة.

هذه ليست حربنا

رئيس وزراء المجر، فكتور أوربان اعتبر أنه ليس من مصلحة دول الاتحاد الأوروبي تبنّى موقف أوكرانيا في نزاعها مع روسيا وحذّر من "مغبّة التدخل في حرب لا علاقة لنا بها" على حدّ تعبيره.

صحيفة "كوريري ديلا سيرا" الإيطالية نقلت أيضا عن أوربان قوله في حديث أدلى به اليها على هامش مشاركة بلاده في منتدى اقتصادي أوروبي بايطاليا يوم الجمعة الماضي : "أنا أنتقد السياسة الأوروبية لأنه بدل اتباع مصالحنا فإننا نلتزم تماما بالمواقف الأوكرانية وهذا يجرّنا الى مزيد من التورط في الصراع وهذا ليس في صالح أوروبا وإنما هو ببساطة مضرّ" مشددا بالقول : "هذه ليست حربنا".

أوربان أعرب من جهة أخرى عن قناعته بأنه لا يوجد تهديد روسي لأمن أوروبا وقال "إذا قررت أوروبا أن تصبح جزءا من هذا الصراع فإن المجر لا تلتزم بهذا الموقف".

اعتقال دوروف مقدمة للإطاحة بالرئيس ترامب وإشراك الدول العربية في حرب عالمية

ألكسندر نازاروف
(محلل سياسي روسي)

كثيرا ما نرفض الإيمان بإمكانية حدوث تغيير جذري، لا سيما في تحول الأمور إلى نقيضها. الحرب بين روسيا وأوكرانيا؟ الحرب بين روسيا و"الناتو"؟ الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين؟ الدكتاتورية الفاشية في أوروبا؟ الحرب الأهلية الأمريكية و/أو الدكتاتورية العنصرية في الولايات المتحدة؟ المجاعة العالمية والهجرات الجماعية والعصور المظلمة؟

يقول كثيرون: كفى مزاحا، كل ذلك مستحيل، لم يحدث هذا أبدا وبالتالي فلن يحدث.

لكن كثيرا من التناقضات غير المتوافقة مع بعضها البعض تراكمت على النظام العالمي الحالي، بحيث أصبح المخرج الوحيد منها هو الحلول الأكثر جذرية. وفي إطار الأزمة الراهنة غير المسبوقة، لم تعد هناك تدابير نصف ممكنة في جميع المجالات، ولم يعد على المرء سوى أن يختار التوقعات الأكثر تطرفا، ورغم ذلك سيتجاوزها الواقع.

هناك عدة أسباب وراء اعتقال مؤسس تطبيق "تلغرام" بافل دوروف، ولا علاقة لها بالتفسير الكاذب للسلطات الفرنسية.

هناك أسباب حالية: محاولة الغرب احتكار وسائل الإعلام العالمية، والرقابة، والقضاء على المنافسة السياسية، وفرض وجهات النظر التي ترغب فيها نخب العولمة على الناس، وحتى استخدام "التلغرام" من قبل الجنود الروس للتواصل مع بعضهم البعض حال لم تعمل الاتصالات العسكرية لسبب ما أو حال تم قمعها بواسطة الحرب الإلكترونية وفقا لبعض قنوات "تلغرام".

إلا أن ما أعتبره السبب الرئيسي وراء ذلك هو استعداد الحكومات الغربية، وخاصة الولايات المتحدة، للانتفاضات الشعبية، بما يلغي إمكانية تنسيق الاحتجاجات عبر تطبيق "تلغرام".

من الطبيعي أن يكون ماكرون بيدقا ينفذ أوامر واشنطن. ووراء اعتقال دوروف يقف أسياد الولايات المتحدة الأمريكية، نخبة العولمة. وأعتقد أن محاولة إخضاع الشبكة الاجتماعية الوحيدة في العالم، التي لا تزال غير خاضعة لسيطرة الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية الخاصة، تشير إلى أن نخب العولمة تقدر أن احتمال فوز ترامب مرتفع، وتستعد للقضاء عليه بالقوة وقمع كافة الإجراءات المحتملة من أنصاره، والتشويش على تصرفات العدو والقضاء على التنسيق والتواصل هو فعليا نصف النصر.

وحقيقة أن ماكرون ورؤساءه لا يبالون بمدى عدم ديمقراطية كل هذا، تقنعني بأن اعتقال دوروف مرتبط على وجه التحديد بالانتخابات الأمريكية. وعندما تكون المخاطر مرتفعة إلى هذا الحد، فإن الغرب لم يعد يولي اهتماما بالتكاليف. ولم يعد أحد يهتم بتقليل الضرر السياسي، بل يجب تحقيق الهدف بأية وسيلة وفي أقصر وقت ممكن. بقي شهران على الانتخابات، ولا يوجد وقت لإقناع دوروف أو الضغط عليه لفترة طويلة، يجب كسره على الفور، لذا فإن الاتهامات قاسية قدر الإمكان، ولا يهم مثلا أنها سخيفة إلى أبعد الحدود.

فقد أدرك الغرب حتمية الحرب الكبرى، وبدأ في الاستعداد لها. ونظرا لحجم التحدي، والحاجة إلى تعبئة وتركيز الموارد، فمن غير المرجح أن يتمكن الغرب من تحقيق حالة الاستعداد المطلوبة دون اتخاذ تدابير طارئة، بما في ذلك قمع الاحتجاجات وإدخال أنظمة دكتاتورية قاسية، تشمل في ما تشمل فرض السيطرة الكاملة على شبكات التواصل الاجتماعي.

بالنسبة للدول العربية، فإن اعتقال دوروف يشكل توازيا مباشرا مع مصيرها في وقت لاحق. وفي إطار صراع عالمي بهذا الحجم، فإن الحياد مستحيل، لا على مستوى الشبكات الاجتماعية، ولا على مستوى الدول. وسيتعين عاجلا وليس آجلا اختيار الانضمام الى طرف من الاطراف وتحمل تكاليف هذا القرار. وربما تكون الهند وحدها هي القادرة على الدفاع عن حيادها، لكن هذا أيضا ليس مضمونا.

علاوة على ذلك، فإذا فازت كامالا هاريس في الانتخابات، سيتعين على دول العالم، بما في ذلك الدول العربية، اختيار أحد الاطراف مرتين: أولا في حالة الصراع بين روسيا و"الناتو"، وثانيا في حالة حرب بين الولايات المتحدة وحلفائها من جانب، والصين من جانب آخر.

بالنسبة للدول الصغيرة، ستكون الإمكانية الوحيدة لتجنب الانجرار إلى حرب عالمية هي انهيار الاتحاد الأوروبي، واندلاع حرب أهلية في الولايات المتحدة وتركيزها على المشاكل الداخلية.

مع ذلك، وكما نرى في حالة اعتقال دوروف، فإن القوى التي تقف وراء الديمقراطيين تعمل بالفعل على وأد الحرب الأهلية في مهدها.

ولن يكون من المبالغة القول إن مصير بافل دوروف سيحدد كيفية تطور الوضع في الولايات المتحدة وبالتالي سيحدد كم مليون عربي سيموتون بسبب الحرب والمجاعة أو سيضطرون إلى مغادرة بلدانهم في السنوات المقبلة.

تذكروا هذا بينما تقرأون آخر الأنباء حول دوروف أو "تلغرام".

يقظة أمريكيّة حيال لبنان ولكن...

نبيه البرجي

ما الأشياء الخطرة التي يمكن أن يقدم عليها بنيامين نتنياهو، خلال الشهرين المقبلين، لاقفال الطريق أمام كامالا هاريس؟ هذا هو تحذير توماس فريدمان في "نيويورك تايمز"، وكأن ذلك الرجل هو من يملك مفاتيح البيت الأبيض، بل ومفاتيح الأمبراطورية.

هاريس بين خيارين. كل منهما قد يكون، أو لا يكون، لمصلحتها. اذا انحازت، ولو قيد أنملة، الى الضحايا في غزة تكسب الناخبين العرب، لا سيما في ولاية ميشيغان، وهي احدى ولايات "حزام الصدأ" الهامة بأصواتها الـ 15 في المجمع الانتخابي (538 صوتاً)، لكنها تخسر اللوبي اليهودي الذي احترف اللعب، أخطبوطيا، وحتى اللحظة الأخيرة ليكون حجر الزاوية في العملية الانتخابية.

في المقارنات "النوعية" التي يبدو ألاّ أثر لها لدى الناخبين، كامالا هاريس، ابنة المؤسسة، وتمتلك مواصفات الـ Statesman، أي رجل الدولة. دونالد ترامب الآتي إما من أزقة، أو من ناطحات السحاب، في نيويورك، بانتهاج سياسات نعثر على مصطلح لها في الكتب الأكاديمية العسكرية "استراتيجية نهش الكلاب"، حيث النهش العشوائي، أو المقاربة العشوائية (بالتغريدات الشهيرة) للقضايا الكبرى. غالباً ما يكون ذلك لمصلحة النخبة البيضاء، أو النخبة الثرية.

للمرة الأولى، الشرق الأوسط، ككمية بشرية مهملة، مركز الاستقطاب الرئيسي لمسار الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة. واذ تحاول القوى المناوئة للسياسات الأمريكية الحد من التوترات لأن "الساعة الكبرى" لا تزال بعيدة، وحتى لا يستثمرها المرشح الجمهوري، يبدو بنيامين نتنياهو مستعداً للذهاب بعيداً في رهاناته اذا كان من شأن ذلك اعادة المرشح اياه الى المكتب البيضاوي.

المثير والصادم هنا أن ادارة جو بايدن، كبطة عرجاء، باتت تنظر، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، بعقلانية ما الى المشهد الشرق أوسطي، والى ما يمثل الائتلاف الحاكم في اسرائيل من خطورة على المصالح الأمريكية.

أمام نتنياهو أكثر من خيار لازاحة المرشحة الديمقراطية. ضربة واسعة النطاق ضد ايران، بذريعة أنها تجاوزت العتبة النووية، حتى إن القنبلة باتت على وشك الظهور تحت عمامة آية الله خامنئي، أو لكونها تدير، كما تمد القوى المعادية للدولة العبرية بكل "أسباب الحياة". من الخيارات أيضاً شن حرب على لبنان، يمكن أن تشعل الجبهات كافة، بالتداعيات الكارثية حتى على الوجود الأمريكي في المنطقة، ثم هناك اجتياح الضفة الغربية لتخلو من سكانها العرب، مثلما تظهر ذلك الخريطة التي رفعها نتنياهو أمام العالم من المبنى الزجاجي في نيويورك.

هي يقظة اللحظة الأخيرة لدى الادارة الأميركية التي بعثت أكثر من اشارة حول استعدادها لاستئناف المفاوضات الخاصة بالاتفاق النووي مع ايران التي تتوجس من فوز دونالد ترامب، كما أنها أعطت الضوء الأخضر لكل من باريس والرياض لفعل ما يلزم من أجل اعادة الانتظام الدستوري، والانتظام السياسي، الى لبنان، باعتبار أن استمرار المواجهة مع "حزب الله"، وقد أظهر الكثير من التفهم لمساعي واشنطن بعدم توسيع الحرب، لا بد أن تبقي المنطقة على حافة الانفجار.

من هنا التحرك السعودي والفرنسي، وفي ظل ما يحكى عن تمني طهران على أصدقائها في لبنان، التجاوب مع ذلك التحرك، ولكن دون المس بالمواصفات التي حددها الحزب للرئيس العتيد. البعض يرى أن هذه المواصفات قد تنطبق على أكثر من مرشح. البعض الآخر لا يرى أي امكان للتراجع عن المرشح الوحيد.

لا اغفال لأصوات بعض القوى اللبنانية التي تراهن على عودة دونالد ترامب لاعادة ترتيب، أو تفجير، المعادلات السياسية، والاستراتيجية، الراهنة. بطبيعة الحال في تناغم مباشر، أو غير مباشر، مع زعيم الليكود الذي يعرف كيف يقتل الأيام مثلما يقتل الأطفال.

المنطقة تعيش مرحلة في منتهى الحساسية، وفي منتهى الخطورة، في ظل الارتباك الأميركي على أبواب الانتخابات الرئاسية، وما دامت الكلمة الأخيرة، والرصاصة الأخيرة، لتلك الثلة من الذئاب التي تستعيد، بالدم، ثقافة حائط المبكى بكل ايحاءاته التاريخية والايديولوجية.

شهران (هائلان) على "الثلاثاء الكبير". ربما الاشارة التي ينبغي التوقف، والتأمل فيها، قول البنتاغون انه لا يستطيع ابقاء حاملات طائراته، وتوابعها، في المنطقة الى ما لا نهاية. ولكن ألا يتصرف نتنياهو كما لو أن رأس كامالا هاريس، ورأس دونالد ترامب، بين يديه؟!

الشارع الثقافي

العدد 422 - من الثلاثاء 10 إلى الاثنين 18 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

سفير أندونيسيا زهيري مصراوي لـ«الشارع الثقافي» :

علاقة الزعيم بورقيبة بالزعيم سوكارنو ثقافية أكثر منها سياسية

• أنا أكثر السفراء ضحكا لأنّي تربيت على المسرح والفكاهة وعلى الثقافة

مرافئ

التكوين العلمي المنهجي والعقلانية النقدية واللغات، ضرورات وشروط...

فوزي البدوي

محمد أركون

هشام جعيط

بقلم : محمد الكحلاوي

قصر باردو أو باردو باجة في الفترة الحديثة:

المعمـــار والأدوار

بقلم : د. زهير بن يوسف

وقفة

السيّدة رادنَ أدجانغ كارتيني(1879 - 1904) أو «من الظّلام إلى النّور»

بقلم : د المنصف بن عبد الجليل

تقاطعاتٌ أرخبيليةٌ

الشِّعرُ طعامُ الأشباح

بقلم : محمود هدايت

وقفة

السيّدة رادن أدجانغ كارتيني[1] (1879 - 1904) أو «من الظّلام إلى النّور»[2]

بقلم : د المنصف بن عبد الجليل

بعد أيّام تذكر أندونيسيا وطنيّا وشعبيّا السيّدة «رادن أدجانغ كارتيني» بمناسبة وفاتها في17 سبتمبر 1904، في سنّ الخامسة والعشرين من العمر، أيّاما قليلة لا تتجاوز الأربعة بعد أن وضعت مولودها الأوّل في 13 سبتمبر 1904. وليس التعاطف مع سيّدة شابّة ماتت في سنّ مبكّرة جدّا هو الذي خلّد ذكراها. وإنّما تحلّت السيّدة بخصال فكريّة كانت السّبب في أن اعتبرها الرّئيس سوكارنو سنة 1964 بطلة قوميّة، وتلقّف الإندونيسيّون آراءها جيلا بعد جيل ليصنعوا من فكرتها ومواقفها شيئا من الثّقافة الوطنيّة المساهمة في تنمية الرّوح الإندونيسيّة الجامعة وبناء الشّخصيّة الفكريّة الحيّة والفاعلة في بلاد الأرخبيل الممتدّ الأطراف والمتعدّد الألوان واللّسان والتّاريخ والدّين والأعراف. ويحتفل الإندونيسيّون رسميّا في 21 أفريل من كلّ سنة بذكرى السيّدة كارتيني.

رادن أدجانغ كارتيني شابّة جاوية، من أسرة نبيلة أرستقراطيّة، تجاذب أبوها المنفتح على المدارس الهولنديّة أيّام الاستعمار، وأمُّها المحافظة والرّاسخة في الإرث الجاوي والأعراف، أمرَ تربيتها وتعليمها. وأقبلت الفتاة على التعلّم بالمدارس الأجنبيّة إلى سنّ الثانية عشرة لتعود مضطرّة إلى كنف البيت لا تتعلّم فيه غير ما كان يليق بأبناء جاوة وبناتها. واستبطنت في ضميرها، ووعيها وفكرتها ما هو من التربية الحديثة والتعليم الجديد، وما هو من صلب القيم الجاوية والشخصيّة المحلّية. وستفيض أفكارها في كلّ ما ستكتب في رسائلها إلى صديقاتها وأصدقائها الهولنديّين بإحساس وصدق لا مثيل لهما تجاه ما كانت ترى وتسمع. وستتجلّى أفكارها تدريجيّا في كلّ ما ستدعو إليه بنات جيلها وأبنائه لتتشكّل من كلّ تلك الأفكار والأنشطة الّتي أنجزتها رؤيةٌ اعتبرها بعض المؤرّخين بادرةً تبشّر بنشأة حركة نسويّة إندونيسيّة، وذهب غير هذا الفريق إلى اعتبار كارتيني شخصيّة تحديثيّة، ودافع غيرهم عن أثر أفكارها في إصلاح التعليم بإندونيسيا بدءا بتشجيع البنت على الدّراسة والجمع بين الفتيان والفتيات في قاعة الدّرس، كما لو كان التّعليم في فكرتها أحد مقوّمات الإصلاح الاجتماعي الشّامل، إن لم يكن أساسه. ولم يتردّد السياسيّون في اعتبارها شخصيّة مقاومة للاستعمار الهولندي، رغم إعجابها بالحياة الحديثة.

عبّرت رادن أدجانغ كارتيني عن هذه الأفكار وغيرها في رسائلها إلى صديقاتها وأصدقائها، وقد حرّرتها باللغة الهولنديّة. تعدّ الرسائل المنشورة 78 رسالة، أرسلت الأولى إلى ستلاّ زيهندلار في 25 ماي 1899، في حين كانت الرّسالة الأخيرة إلى مفروو أبندانون-مندري في 7 سبتمبر 1904، أي عشرة أيّام قبل وفاتها. ولكنّ الرسائل لم تنشر إلاّ سنة 1911 بالهولندية، ثمّ سنة 1922 مترجمة إلى الإندونيسيّة3 وكانت تحت عنوان «من الظّلام إلى النّور»، عنوان وضعه ناشرها وأوّل من اختارها، السيّد أبندانون، (Dr. J H Abendanon)، وزير التّربية والصّناعة الهولنديّ سابقا لأنّها كانت كثيرا ما ترسل إليه وإلى زوجته مودرتجي (Moedertje). وترجمت الرسائل إلى الأنجليزيّة تحت عنوان «رسائل أميرة من جاوة» قدّمتها الأستاذة الأمريكيّة هيلدرد غيرتز بقسم الأنثروبولوجيا بجامعة برنستون، وصدّرتها إيلينور روزفالت، وهو ما يدلّ على قيمة هذه الرّسائل وأهمّيتها في الاطّلاع على عقليّة العصر وقتها، والنظرة إلى الاستعمار والحضارة الغربيّة على وجه الخصوص، ثم التأمّل في الإرث الجاوي والشّخصيّة الإندونيسّة في ذات الظّرف. بل لولا تلك الأفكار التي نشرتها رادن أدجنغ كارتيني في رسائلها ما كانت هذه السيّدة لتتحوّل إلى رمز فكريّ في مجتمعها اليوم، وما كانت لتعتبر صاحبة رسالة تحتفي بها الدّولة المعاصرة والمجتمع بكثير من الاعتزاز والفخر.

يظفر القارئ بأربعة محاور تضمّنتها الرّسائل: اهتمام كارتيني بتعليم الفتيات الجاويّات إلى جانب الفتيان. بل حرصها في أكثر من رسالة على ضرورة أن تفتح المدارس أمام العموم وبنات العائلات الأرستقراطيّة وأبنائها على حدّ سواء. وكان لهذا الموقف شأنه بل يعتبر صوتا إصلاحيّا في تلك الظروف التي كان يعيشها أهالي جاوة وسائر البلاد الإندونيسيّة وقتها. أمّا المحور فدفاعها الصّارم على حقّ المرأة في الحياة الكريمة المتمثّلة في حرّيتها، واستقلاليّتها، ومشاركتها في الحياة الاجتماعيّة، والتعبير عن شخصيّتها بإرادتها. ويمكن اعتبار هذا الموقف أيضا رهانا آخر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ببلاد مثقلة بالتقاليد وسلطة الآباء باستثناء ما كان يسود قبيلة المنغكابو من نظام أمومي مشهور ومقبول في النظام الاجتماعي. والمحور الثالث انحيازها إلى استقلال بلادها من ربقة المستعمر الهولندي رغم إعجابها بالحياة في ذاك البلد، ورغبتها في مواصلة تعلّمها به. بل عبّرت في بعض رسائلها عن نظرة نقديّة إلى الحضارة الهولنديّة مميّزة بين بريق السطح الجذّاب والقيم الخفيّة التي لا ترقى إلى القيم الإنسانيّة البنّاءة. ولعلّ جرأتها تكمن أيضا في نظرتها إلى الدّين ومجابهتها لمجتمعها ولكلّ المجتمعات المماثلة: تقول إنّ الدّين يقوم على صورة واحدة لله، هو نفسه في جميع الملل. ومدار الدين، بقطع النظر عن تشريعات النّاس وعقائدهم، هو العيش الكريم، وأنّ الدّين كلّه حسن وجميل». وتتساءل من ثمّ في مواجهة النّاس: أخبروني ماذا فعلتم بالدين؟ كأنّها توحي بما يجب أن يكون الدّين: يجب أن يكون طاقة توحّد البشريّة كلّها لا سوى ذلك من فتنة الافتراق والاقتتال والتناحر، على حدّ تعليق إلينور روزفالت في تصديرها للرّسائل. لعلّ هذه النّظرة إلى الدّين هي التي وجّهت السياسيّين لاحقا (أو ساهمت في توجيههم) إلى ابتكار الفكرة السياسيّة ووضعوها بلسانهم الجاويّ في عبارة «البانشاسيلا»، ذات الأصول الخمسة، أوّلها «ألوهيّة مطلقة»، وهو ما يعني أنّ الله هو هو في كلّ أديان إندونيسيا وعقائدها. ومن ثمّ كانت البانشاسيلا جامعة لكلّ النّاس على أرض الأرخبيل.

وندرك طرافة الرّسائل من ناحية أخرى في كونها رسائل شخصيّة، فيها من الشّهادة الحيّة على الحياة الجاويّة اليوميّة وطبيعة النّاس بالجزيرة، ونظرتهم إلى الشّأن العامّ والخاصّ، إذ تقول كارتيني صراحة في إحدى رسائلها: «أنا أعرف أهلي وبلادي»، كما لو أرادت أن تقول: «أنا أدرى بهما». كما تظهر طرافة الرّسائل أيضا في البعد الإنساني: تقول كارتيني في بداية رسالتها الأولى: «لقد اشتقت طويلا إلى التّعرف على «الفتاة العصرية»، تلك الفتاة المستقلّة الفخورة التي تحظى بكل تعاطفي! تلك التي تكون سعيدة ومعتمدة على نفسها، تخطو بخفّة ويقظة في طريقها عبر الحياة، مليئة بالحماس والشعور الدافئ؛ فهي تعمل ليس فقط من أجل رفاهيتها وسعادتها، بل من أجل الصالح العام للإنسانية جمعاء.»

رادن أدجنغ كارتيني هي في الختام إحدى السيّدات المصلحات ببلاد هي من أشدّ بلاد المسلمين كثافة، وأكثر مجتمعاتها تنوّعا وتعدّدا، وأحوج ما تكون من البلدان المختومة بالأديان والعقائد والروحانيّات إلى نظرة إلى الآخر تتجاوز حدود المركزيّة الذّاتيّة، لأنّها نظرة إنسانيّة قبل كلّ شيء، وغيريّة أيضا. وهل أضيق من أن يعيش المرء لنفسه، لا يرى غيره، ولا يسمع إلاّ صوته، وإن حدث أن نظر إلى وجهه على صفحة ماء ظنّه هو ذاته والحال أن شبه صورته. ذاك ما يستفاد من مسيرة السيّدة كارتيني وأفكارها، وقد أدرك سوكارنو صاحب «البانشاسيلا» ذلك وأعلاها إلى مرتبة الزعيم الوطني، وأحيا الإندونيسيّون ذكراها. وجدير بمفكّرينا أن يدرجوها ضمن مصلحي العالم الإسلامي الحديث استئناسا بآرائها. وكذلك الأمم لا تنكر رموزها الفكريّة الماضية، وإنّما تسترجع أصواتها عسى أن يفهم البناء من لبناته وعبقريّة من وضعها.

---

1 - Raden Adjeng Kartini

2 - Door Duisternis tot Licht,"

3 – ترجمها إلى الأندونيسيّة أرمين باين (Armijn Pane)

سفير أندونيسيا زهيري مصراوي لـ«الشارع الثقافي» :

علاقة الزعيم بورقيبة بالزعيم سوكارنو ثقافية أكثر منها سياسية

• أنا أكثر السفراء ضحكا لأنّي تربيت على المسرح والفكاهة وعلى الثقافة

حاورته : عواطف البلدي

السفير الاندونيسي بتونس زهيري مصراوي مثقف مختص في الفلسفة. في رصيده 14 كتابا في الفكر والتاريخ وأكثر من 6000 مقالة بلغات عدّة. نشر بعضها بصحف تونسية وبمجلة بيت الحكمة.. يرى أن مهمته كسفير بتونس تتمثل بالأساس في التركيز على الديبلوماسية الثقافية. ويعتبر شغفه بالثقافة التونسية، الذي فاق كل التصورات، مجرّد بحث عن أفكار جديدة لمدّ جسر تواصل بين البلدين من أجل تعزيز الثقافتين عبر مشاريع تحقّق بعضها وبعضها الآخر في طور الإنجاز..

«الشارع الثقافي» التقى سعادة السفير للحديث عن ثقافة أندونيسيا ورموزها وعن نظرته للثقافة التونسية ودواعي اهتمامه الكبير بإنتاجها وللكشف عن بعض مشاريع السفارة الثقافية .

لنتحدث أولا عن اهتمامكم بالفكر والثقافة التونسية ضمن مهامكم الديبلوماسية وعن دواعي هذا الاهتمام الكبير الذي ميّزك ربما عن بقية السفراء؟

أنا مثقف بالأساس وهذا راجع لتخصصي في الفلسفة. كما أنني ألفت 14 كتابا نُشر منها 100 ألف نسخة بعضها موجود بجامعات كبرى...وألفت أيضا حوالي 6000 مقالة في مجلات وصحف ليس فقط في اندونيسيا وانما في مصر وفرنسا وعديد الدول .

كلها في اختصاص الفلسفة؟

لا.. أغلب مؤلفاتي في التاريخ والفكر لأنني شغوف بالتاريخ .. يقول احمد سوكارنو «لا تنسى التاريخ»... وبالتالي الثقافة هي أساس اي حضارة خاصة أندونيسيا باعتبار انها دولة كبيرة تضم 18 الف جزيرة و285 ملايين نسمة ويتبع شعبها أديانا متنوعة ومتعددة ومعتقدات محلية نابعة من تراب اندونيسيا .. لذلك نحن لا نؤمن بالوحدة الوطنية إلا من خلال الثقافة تماما مثلما قال احمد سوكارنو في الماضي «اندونيسيا تُبنى على 3 سيادات سيادة سياسية وسيادة اقتصادية وسيادة ثقافية» لذلك نحن نؤمن بأهمية الثقافة ونعتبرها اللبنة الاساسية لاندونيسيا.

أما مهمتي كسفير بتونس فتتمثل بالأساس في التركيز على الديبلوماسية الثقافية وقد نظمنا في البداية ديبلوماسية الشعر داخل إقامتنا ودعونا شعراء من سيدي بوزيد وسوسة وتونس ونابل ثم نظمنا يوما ثقافيا اندونيسيا تونسيا هذا بالإضافة الى اننا نهتم بفكر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الذي يحظى بإقبال كبير عندنا... يأتي بعد ذلك تبادل المعرفة والثقافة والاحترام والتعاون بين البلدين.. كما ترجمنا بعض مؤلفات المثقفين الاندونيسيين الى اللغة العربية ساعدنا في ذلك المفكر المنصف بن عبد الجليل باعتبار ان للإسلام دور كبير في بناء اندونيسيا الحديثة. الحضارة الاندونيسية مثل اية حضارة.. لدينا اندونيسيا القديمة واندونيسيا الحديثة واندونيسيا المستقبلية وبالنسبة للاندونيسيين الثقافة هي الوحيدة القادرة على بناء هذه المنظومة الفكرية.

هل أحدثتم مشاريع أخرى مع مثقفي تونس إضافة إلى ديبلوماسية الشعر؟

لدي أفكار كثيرة بخصوص هذا الموضوع منها انجاز فيلم حول التعاون بين اندونيسيا وتونس وحول ثقافة الزعماء والصداقة التي ربطت الزعيم الحبيب بورقيبة بالزعيم احمد سوكارنو. فبالنسبة لي علاقتهما كانت ثقافية أكثر منها سياسية لاسيما وأن مبادئ ثقافية كثيرة جمعتهما كعدم الانحياز والنضال من أجل الاستقلال ورفض الاستعمار والتعويل على الذات والسيادة السياسية والاقتصادية والثقافية. كل هذه النقاط المتشابهة جعلت منهما صديقين حميمين. ونحن نعتزّ كثيرا بزيارة الزعيم سوكارنو إلى تونس سنة 1960 ونعتبرها من أكبر الزيارات من حيث عدد التونسيين الذين استقبلوه آنذاك (حوالي 100 ألف تونسي) كما أن السفارة الاندونيسية هي السفارة الوحيدة الموجودة بتونس من بين دول جنوب شرق آسيا إذ لا توجد بتونس سفارات لتايوان ولا ماليزيا او سنغافورة. بالتالي هذه العلاقة الثنائية بين اندونيسيا وتونس مبنية بالأساس على الثقافة. ولا ننسى أن نشكر الحكومة التونسية على إحداثها شارعا يحمل اسم زعيمنا احمد سوكارنو بالبحيرة.

وهل لديكم شارعا يحمل اسم بورقيبة باندونيسيا؟

أنا سأعمل على إحداثه بجاكرتا عاصمة اندونيسيا في اطار العمل بالمثل.

كيف يقدّم معالي السفير التنوع في المشهد الثقافي الاندونيسي للقارئ التونسي؟ وما هي أبرز الأسماء والعناصر التي تميز الثقافة لديكم؟

الثقافة لدينا أفكار ومبادئ نابعة من تراب إندونيسيا، وبالتالي لدينا فلسفة إندونيسية راسخة وهي «البانشاسيلا» (مبادئ إندونيسيا الخمسة) التي وردت في خطاب أحمد سوكارنو الشهير سنة 1945 أمام ملايين الناس شهرًا قبل استقلال إندونيسيا، حول أفكار إندونيسيا ومبادئها الخمسة المتمثلة في «الإيمان بالله» باعتبار أننا نتبع ديانات متعددة كالإسلام والمسيحية (بروتستانتية وكاثوليكية) والهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية، إضافة إلى المعتقدات الإندونيسية الراسخة وهي بالمئات.

كيف توفّقون بين كل هذه الديانات والمعتقدات في الوقت الذي تشهد فيه دول أخرى صراعات عرقية ومذهبية؟

عبر المبدأ الأول، التدين التوحيدي وهو «الإيمان بالله»، مهما كان الدين أو المعتقد، يبقى الإيمان واحدًا والطريق إليه متعددًا. أما المبدأ الثاني فهو «الإنسانية» أو التدين الإنساني، باعتبار أن لدينا 1000 لغة في إندونيسيا.

وهل تحذقونها كلّها؟

لا، أبدًا، فلغتنا القومية الوحيدة هي الإندونيسية. ابنتي، مثلًا، تجيد اللغة الإندونيسية، وأمي تجيد اللغة المحلية، لكن نفهم بعضنا بفضل المحبة والإنسانية. أما المبدأ الثالث فهو «الوطنية» أو التدين الوطني، مثلما قال لي ذلك المفكر التونسي المنصف بن عبد الجليل باعتبار أن «حب الوطن من الإيمان». يمكن القول إذن إن شعارنا الأساسي هو الوحدة في التنوع (تنوع في اللغات وفي الأديان وفي الجزر والاتجاهات السياسية المختلفة). هذه الوحدة هي عبارة عن الوطنية. في حين يتمثل المبدأ الرابع في الشورى التوافقية أو ما يسمى بالديمقراطية الإندونيسية.

كيف ذلك؟

الشورى التي نهتم بها هي الشورى التوافقية. فعلى

سبيل المثال، لدينا انتخابات واختلاف في الآراء والتعددية، ولكن في النهاية يجب أن نتوافق لأن الهدف الأساسي من هذه الشورى هو بناء إندونيسيا. بدليل أنه لدينا اليوم برامج نشتغل عليها على مدى 100 سنة. لا يهمنا من سيكون رئيس جمهوريتنا أو من سيكون عضوًا في برلماننا بقدر ما تهمنا البرامج التي تبني أندونيسيا. أما المبدأ الخامس والأخير فيتمثل في العدالة الاجتماعية، وبالتالي، دبلوماسية إندونيسيا ترتكز على الدبلوماسية الاقتصادية لأننا نهتم كثيرًا بالعدالة الاجتماعية.

كيف ينظر سعادة السفير إلى الكتابات الأدبية الحديثة بتونس ؟ ومن لفت انتباهكم في السنوات الأخيرة من رموز الثقافة التونسية؟

أحب الشعر والكتب الروائية وأهتم كثيرًا بالثقافة والأفكار. وربما أنا السفير الوحيد الذي يزور المكتبات باستمرار لاقتناء الكتب. فمنذ تعييني في تونس، اشتريت حوالي 5000 كتاب في كل المجالات وقرأت مقدمة ابن خلدون أكثر من 30 مرة وقرأته لطلبة إندونيسيا في تونس أيضًا. بالنسبة لنا، «البانشاسيلا» التي ذكرتها سابقًا تكاد تتماهى مع مقدمة ابن خلدون، الذي قال فيها إن «الإنسان مدني بالطبع» وتحدث عن أهمية الصناعة والشعر والقراءة والكتابة وعن العصبية. إذن، قراءتي لمقدمة ابن خلدون في تونس كانت ضرورية وأضافت لي الكثير، أولًا لأن ابن خلدون تونسي، وثانيًا لأنه قدّم لي فكرة كبيرة عن الثقافة التونسية وعن حضارات تونس القديمة. قرأت أيضًا لهشام جعيط، الذي أراه مؤرخًا كبيرًا يعلّمنا كيف نفهم تاريخ مكة والفتنة وإسلام المغرب وأفكاره. إضافة إلى اطلاعي على كتابات عبد المجيد الشرفي ومنصف بن عبد الجليل ومحمد الطالبي ومحمد الحداد، وطبعا لا ننسى اطلاعي على مؤلفات الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عندما كنت طالبًا في الأزهر. كذلك اطلعت على أشعار أبو القاسم الشابي بالإضافة إلى اطلاعي على كتب روائية حديثة. ولكن لاحظت أمرًا أعجبني وهو أن تونس بلد الشعر، وأن كل مواطن تونسي هو شاعر بالأساس. فكلما زرت مكانًا أو ولاية، إلا وقدّم لي أحد الشعراء مجموعته الشعرية أو ديوانه.

وماذا عن الترجمة؟

ترجمنا مؤلفات هشام جعيط للاندونيسية وسننطلق قريبا في ترجمة مؤلفات الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنصف بن عبد الجليل ومحمد الحداد بهدف التعريف بالثقافة التونسية لدى الاندونيسيين والعكس صحيح .. فقد ترجمنا عناوين اندونيسية الى اللغة العربية وكتابي أيضا في الطريق الى الترجمة الى العربية.

وهل ترجمتم مثلا كتب ألفة يوسف ؟

ألفة يوسف معروفة جدا في أندونيسيا ولديها شعبية كبرى هناك. شخصيا قرأت لها كل كتبها باعتبار أننا مسلمون ونقرأ أيضا اللغة العربية. كنت قد تحدثت معها بمعرض الكتاب الماضي وتواصلت أيضا مع مثقفات كثيرات يدرّسن بالجامعات التونسية.. نحن نشجع الاندونيسيين على قراءة الكتب والمؤلفات التونسية.

هل فكرتم في إحداث مركز ثقافي اندونيسي على غرار مراكز فرنسا وألمانيا وبريطانيا وتركيا ؟

فكرنا طبعا ولكن لدينا الآن جملة من الأولويات التي تسبق بناء المركز..

هل يتابع سعادة السفير الكتابات النسوية التونسية؟

تونس تتميز بكفاءات نسائية. شخصيا قرأت كتبا وروايات كثيرة وقريبا سنترجم رواية الكاتبة خديجة التومي ومجموعات شعرية نسائية..

من هم رموز الثقافة الاندونيسية وكيف السبيل للتعريف بهم لدى القارئ والمثقف التونسي؟ هل تفكرون مثلا في إحداث رابطة كتّاب بين البلدين أو مركز ثقافي اندونيسي بتونس؟

انطلقنا بتعليم اللغة الإندونيسية في السفارة خلال الصيف الحالي، إضافة إلى تدريسها في جامعة قرطاج

> قرأت «مقدّمة» ابن خلدون أكثر من 30 مرة وهشام جعيط مؤرخ كبير
>
> نحن نؤمن بأهمية الثقافة ونعتبرها اللبنة الاساسية لاندونيسيا
>
> ألفة يوسف معروفة جدا عندنا ولدينا وجيهة الجندوبي في كل مسرح أندونيسي
>
> ترجمنا مؤلفات هشام جعيط للاندونيسية وسننطلق قريبا في ترجمة مؤلفات الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنصف بن عبد الجليل ومحمد الحداد

للغات (80 طالبًا) وبجامعة سوسة. أما رموز الثقافة والأدب والشعر والفكر وغيرهم في إندونيسيا، فلدينا الكثير على غرار الأديب Pramoedya Ananta Toer «براموديا أنانتا تور». يُعتبر هذا الروائي من أكبر الكتاب المثقفين لدينا لأنه يكتب بمستوى متميز، وقد تم ترشيحه عدة مرات لنيل جائزة نوبل للآداب. أما بخصوص السينما، فقد أولت الحكومة لدينا عناية كبرى للأفلام بفضل عدة منصات، أبرزها «نتفليكس». ولدينا مشروع غنائي أيضًا بين مطربين من تونس وإندونيسيا سيكون باللغة الإندونيسية وبالدارجة التونسية.

هل اخترتم المطرب الذي سيشارك من تونس في هذا العمل ؟

ليس بعد. قد يكون لطفي بوشناق من بين الفنانين الكبار ومرتضى الفتيتي من الشبان، وقد نطلب أيضًا من يسرى محنوش أو ألفة بن رمضان مشاركة مطربة إندونيسية. ودائمًا باللهجة الدارجة التونسية، لأنني لاحظت أن التونسيين يفتخرون بلهجتهم الدارجة ويعتبرونها هويتهم التونسية، تمامًا كما هي لغتنا الإندونيسية هويتنا. سنعمل أيضًا على إنتاج فيلم ثنائي للتعريف بالحضارة التونسية بعنوان «ما أحلاها تونس». بالنسبة لإندونيسيا، الأفلام تجارية، وبالتالي إنتاجها ضخم جدًا. وقد اقترحت على بعض المنتجين إنتاج عمل ثنائي بين تونس وإندونيسيا. لدينا إمكانات هائلة في إندونيسيا لإنتاج الأفلام. أنا متفائل ومطمئن على الدبلوماسية الثقافية.

من يستهويكم من مطربي تونس ومطرباتها؟

تطربني أصوات لطفي بوشناق وزياد غرسة وذكرى محمد رحمها الله ولطيفة وألفة بن رمضان ومن الجيل الجديد اتابع باهتمام كبير مرتضى الفتيتي وبلطي ويسرى محنوش..

خلافا لبقية السفراء نراكم باستمرار في مهرجان قرطاج هل يندرج ذلك أيضا في خانة العمل الديبلوماسي أم هو الشغف بالموسيقى التونسية ؟

لا ليس قرطاج فقط وإنما أزور مهرجانات كثيرة بتونس كمهرجان دقة والجم والحمامات وبنزرت... لأن الهدف من مواكبتي المكثفة للمهرجانات الموسيقية والتظاهرات الثقافية هو البحث عن أفكار جديدة لجعل الثقافة جسر تواصل بين اندونيسيا وتونس..

هذا يعني أنكم تفكّرون في احياء حفلات غنائية اندونيسية في تونس وتونسية في اندونيسيا؟

سننطلق أولا من التعريف بثقافة البلدين، وسيكون ذلك عبر الاشهار أولا...

ما حال المسرح عندكم مقارنة بالمسرح العربي والاسيوي؟

عندما نتحدث عن المسرح في إندونيسيا، نتحدث عن قوة الثقافة في الأرياف والقرى الإندونيسية. الثقافة لدينا ليست في المدن فقط، وإنما منتشرة بكثرة في الأرياف والقرى، حيث لدينا 70 ألف قرية في إندونيسيا، ولكلٍّ منها ثقافتها الخاصة. ولدينا بالطبع في كل قرية مسرح، ولكن ما يميز مسرحنا هو الأصالة، على الأقل من حيث اللغة، باعتبار أن لكل قرية لغتها الخاصة. إذ بالمسرح نكتشف أهمية اللغة المحلية والعادات والتقاليد. كذلك في المدن والعاصمة، يهتم المسرح بالثقافة التي تعتني بالوطنية. فإذا كان المسرح يعتز في القرى والأرياف باللغة المحلية، فإنه في العاصمة يعتني بالقومية والوطنية. الثقافة في إندونيسيا ليست ثقافة رأسمالية، وإنما لدينا ثقافة للجميع عبر تشريكهم. ويمكن القول لدينا ثقافة شعبية، ولكن بالمفهوم السلبي. قاعات المسرح في قريتي، مثلًا، تفتح من الساعة الواحدة صباحًا إلى الرابعة صباحًا، ويحضر الجمهور بالمئات والآلاف، لا سيما للمسرح الضاحك والفكاهي. وكما لديكم في تونس وجيهة الجندوبي، لدينا وجيهة الجندوبي في كل قرية ومدينة إندونيسية.

هل واكبتم عرض وجيهة الجندوبي «BIGBOSSA» وماذا لفت انتباهكم في عملها؟

عندما يضحك الشعب نكون في أمان، ووجيهة واحدة ممن يدخلون الأمان والفرحة في قلوب الناس. سأقول لك أمرًا: أنا من أكثر السفراء ضحكًا وابتسامة لأنني تربيت على المسرح والفكاهة وعلى الثقافة. أذكر أن والدي كان يحملني إلى المسرح من الواحدة إلى الرابعة صباحًا، وكنا نضحك ونفرح ونبكي أحيانًا. كل ذلك كان يحدث قبيل الانصراف لأداء صلاة الفجر.

من هم رموز الفن التشكيلي لديكم؟

وهل تفكرون في تنظيم معارض لدينا؟ جزيرة بالي مشهورة جدًا بالفن التشكيلي، وأيضًا جزيرة جاوة، لأن الفن التشكيلي هو نظرة إلى الحياة والإنسانية، فإذا كانت الإنسانية متطورة، كان الفن كذلك. الفن التشكيلي متطور جدًا لدينا لأنه يستقي أفكاره من الجزر الكثيرة عندنا، وقد أصبح رمز السياحة الإندونيسية بامتياز. في أوروبا، مثلًا في إسبانيا وإيطاليا، هناك تعاون وشراكة بين فنانينا وفنانيهم التشكيليين.

ماذا عن فناني تونس؟

اقترحت تنظيم معرض إندونيسي تونسي للفن التشكيلي في تونس، ويبقى على سفير تونس في إندونيسيا أن يفكر أيضًا في تنظيم معرض مشابه. وسأعمل أيضًا على تنظيم استقبال كبير للخط العربي، بعد أن لاحظت ثراء هذا الفن لديكم. نحن نحب الخط العربي كثيرًا في إندونيسيا ونتابع تجربة نجا المهداوي بشغف كبير.

لو يحدثنا سعادة السفير عن الإرث العربي المخطوط ونحن نعلم ان هذا مجال اهتمامكم في اندونيسيا.. ما هي أصنافه وهل هو محقق؟

لدينا مخطوطات إندونيسية تعود إلى القرنين 17 و18. كتبها علماء إندونيسيا عن الصوفية باللغة العربية، وقد دُرست في مكتبة الأزهر بمصر وبالسعودية وباليمن. ولكن ما يعنيني هو الشراكة بين علماء العرب والإندونيسيين، لأنهم يتبادلون تجربة المعرفة. ومعروف في المالكية العادة المحكّمة التي نقتبسها نوعًا ما من

المالكية، رغم أننا شافعيون. إذ لكل بلد خصوصيته في كل شيء، حتى في ثقافته. وبالتالي نحن نقتبس نوعًا ما من أفكار ومن مخطوطات البلدان العربية، وأيضًا لأن علماءنا كتبوا كتبهم باللغة العربية، بحيث تُدرس مخطوطاتنا في البلدان العربية. لذلك، عملت حكومتنا على جمع المخطوطات التي كتبها علماء إندونيسيا والتي يفوق عددها 1000 مخطوط باللغة العربية، وسنعمل على تنفيذ هذا البرنامج مع خبراء في مجال المخطوطات. كما قمنا بدراسة تلك المخطوطات في بلدان عربية، وخاصة في مكتبة الإسكندرية التي تزخر بمخطوطات ثرية. وبصفتي سفير إندونيسيا في تونس، حفّزت طلبتنا الإندونيسيين في جامعة الزيتونة على دراسة المخطوطات التونسية الموجودة في المكتبة الوطنية للتعرف على الثقافة التونسية القديمة. لأنني لاحظت أن لديكم مخطوطات مهمة جدًا. مثلا، اكتشفنا مؤخرًا أن أقدم كتاب في التفسير كتبه تونسي، بعد أن كنا نعتقد أن الطبري هو أول من كتبه. واكتشفنا أيضًا أن ابن منظور، صاحب لسان العرب، تونسي من قفصة. واكتشفنا مؤخرًا أيضًا أن أقدم مخطوط في علم القراءات في القرآن تونسي. لذلك، أنا أحفّز طلبتنا على الاهتمام بالمخطوطات التونسية.

على ذكر الطلبة لدينا طلبة اندونسيون يدرسون بجامعاتنا التونسية فهل لديكم طلبة تونسيون يدرسون باندونيسيا ؟

طبعًا، وهم كُثر، حيث يدرس أغلبهم في مجالات الطب والإدارة وعلوم الكمبيوتر والتكنولوجيا والمطاعم والفنادق والسياحة، وكذلك في طب الأعشاب. بينما يدرس اثنان فقط في علوم الدين. لدينا كفاءات في مجال صناعة السيارات في إندونيسيا، وسنشجع شباب تونس على الدراسة في هذا المجال، وسوف يتم تحفيزهم عبر منح دراسية. ولذلك، عملنا على التعريف بإندونيسيا أولًا لأنها بعيدة جدًا من حيث المسافة، وثانيًا لأن أغلب التونسيين يدرسون في أوروبا لقربها من تونس. لذلك نحن نشجع الشباب التونسي على الدراسة عندنا في مجالات التكنولوجيا وصناعة السيارات، لأننا نعلم جيدًا مدى ارتفاع أسعار السيارات وتكاليف إصلاحها في تونس مقارنة بإندونيسيا.

كيف ينظر سعادة السفير الى المجلات والصحف التونسية ؟

طبعًا، لدينا اهتمام من خلال مجلة بيت الحكمة، وقد شجع عضو بيت الحكمة الدكتور المنصف بن عبد الجليل الإندونيسيين على الكتابة فيها. أنا أيضًا أكتب عن إندونيسيا في الصحف التونسية، وشجعنا بدورنا التونسيين الذين يدرسون في إندونيسيا على الكتابة في المجلات الإندونيسية. بفضل التكنولوجيا الحديثة، يمكننا اليوم الاطلاع على المجلات التونسية، وقد ساهمت في التعريف بمجلات تونسية في إندونيسيا عبر مواقع التواصل الاجتماعي، مثل مجلة بيت الحكمة وصحف «الشارع المغاربي» و«الصباح» و«المغرب»، إضافة إلى ترجمة الحوارات التي أُجريت معي في تونس إلى اللغة الإندونيسية.

لو يحدثنا معاليكم عن ملامح الشخصية الاندونيسية وفي ما تلتقي مع الشخصية التونسية ؟

الشخصية الإندونيسية تتميز بحب الوطن وحب العمل، كما تحترم الآخر جدًا وتعتبر شخصية بنّاءة باعتبار أنها تعمل كثيرًا على بناء الحضارة. نحن نفتخر بعاصمة إندونيسيا ونعتبرها أفضل من نيويورك ومن بكين ومن غيرها من العواصم. أما الشخصية التونسية فقد عرفتها من خلال ثورة 2011 (ثورة الياسمين)، واكتشفنا من خلالها شعب تونس المناضل والإصلاحي، شعب يعرف الخير والحق. عندما وصلت إلى تونس وتعرفت على شعبها، لاحظت مدى الحفاوة والكرم اللذين يتحلى بهما التونسي. فقد عشت سابقًا في مصر والسعودية وتركيا، وتكونت لدي فكرة خاصة عن

> ما يحدث في غزة لا يحتاج الى ديبلوماسية بقدر ما يحتاج الى الإنسانية
>
> قد نختار لطفي بوشناق ومرتضى الفتيتي ويسرى محنوش للمشاركة في عمل غنائي اندونيسي تونسي
>
> تطربني أصوات لطفي بوشناق وزياد غرسة وذكرى ومرتضى الفتيتي وبلطي ويسرى محنوش
>
> حفّزت طلبتنا الاندونيسيين بجامعة الزيتونة على دراسة المخطوطات التونسية الموجودة بالمكتبة الوطنية للتعرف على الثقافة التونسية القديمة
>
> تونس بلد الشعر وكلّما زرت مكانًا أو ولاية إلا وقدّم لي أحد الشعراء مجموعته الشعرية

الشخصية التونسية المتحضرة. الشخصية التونسية منفتحة ومثقفة، وعندما أتحدث إلى التونسيين، خاصة في الأرياف، ألاحظ ذلك أيضًا.

أي الأماكن التونسية تذكركم بإندونيسيا؟

القيروان وقابس وسيدي بوزيد وقرقنة والحمامات ... كل مكان في تونس يعجبني .. كما تجذبني المادة الشخمة لدى التونسي مثلما قال بورقيبة سابقا. بالنسبة لي كل تونسي مثقف طالما أنه يحدثني عن الحضارات القديمة الرومانية والقرطاجية والإسلامية وحتى عن تونس الحديثة.. وبفضل تلك الثقافة القوية والصامدة كان حديثي مع الشعب التونسي بلسان الثقافة..

وفي البلدان الأخرى تتحدثون بلسان الديبلوماسي فقط؟

أنا مثقف أكثر من ديبلوماسي... أنا لست ديبلوماسيًا لأن الديبلوماسي يراوغ. لذلك أعتبر الثقافة هي الديبلوماسية والعكس صحيح. بدليل أن ما يحدث في غزة الآن لا يحتاج إلى ديبلوماسية بقدر ما يحتاج إلى الإنسانية. لماذا يتم الحديث عن اتفاقية هدنة في غياب العرب؟ لأن اللغة كانت ديبلوماسية قائمة على مصلحة معينة ولم تكن إنسانية، ونتيجة لذلك تأخرت الاتفاقية. أقتَرح أن تكون الديبلوماسية إنسانية قبل كل شيء.

لنتحدث عن اليومي الاندونيسي والتونسي ؟ هل ثمة نقاط تشابه؟

«زرت مؤخرًا قليبية وقربة بولاية نابل وتحدثت مع التونسيين في القرى والأرياف. لاحظت أن الثقافة الحقيقية توجد في القرى والأرياف، تمامًا كما لدينا في قرى إندونيسيا. لاحظت تلك اللُحمة بين الأهالي وتميز ثقافتهم بالبساطة. كنت أجلس معهم لاحتساء القهوة دون أن نخوض في أمور المادة والمال. ما جمعنا هو الإنسانية، واكتشفت تشابه عاداتهم وتقاليدهم مع عاداتنا وتقاليدنا، إذ لا يمكن مغادرة منزل أي تونسي قبل تقديم واجب الضيافة. وحتى أفراحنا تكاد تتشابه في إعداد الحلويات وذبح الخراف والأبقار، غير أننا نحن نعدّ أطباقًا من الأرز أو الذرة، بينما يطبخ التونسيون الكسكسي. قد نختلف فقط في طريقة عقد القران، لأننا نحن شافعيون وأنتم مالكيون. أنا منبهر جدًا بعادات وتقاليد الحومة التونسية.»

ماذا يأكل سعادة السفير من أطباق تونس ؟

تذوقت أطباقا كثيرة كالكسكسي والكفتاجي واللبلابي والبريكة ... لا يمكن ان أحب تونس حبا جمّا الا بعد تذوّق كل أطباقها.. ولكن بما انني ابن الجزيرة أميل اكثر الى أكل السمك.. و»الحوتة» من البحر التونسي تختلف طبعا. اذكر انني عندما قدمت الى تونس توجهت الى السوق المركزية بحثا عن السمك.. وعندما عدت الى السفارة اخبرت الموظفين هناك انني سأكون مرتاحا بالعمل في تونس لأنني وجدت السمك. ولنفس السبب أحب قرقنة كثيرا وأواكب مهرجانها سنويا الذي يتم فيه صيد الاخطبوط بالشرافي..

هل تفكرون في إحداث مطاعم اندونيسية في تونس مثل سوريا ولبنان والصين وفرنسا وإيطاليا ...؟

سنفتح قريبًا مطعمًا إندونيسيًا في البحيرة لتشجيع السياح الإندونيسيين على زيارة تونس، فبالنسبة للإندونيسيين، تذوق أطباق مختلفة قبل التعود عليها أمر صعب. وقد وضعنا العام الماضي خطة لجلب مليون سائح إندونيسي إلى تونس. لكن قبل ذلك علينا التعريف بتونس لدى الإندونيسيين بهدف تشجيعهم عبر شريط فيديو نشرناه على مواقع التواصل الاجتماعي. وسنسعى أيضًا لفتح خطوط جوية خاصة من مطار جدة إلى تونس، أو من الدوحة، أو دبي، أو من تركيا إلى تونس مباشرة. بعد ذلك، نفتتح المطعم الإندونيسي.

كيف تنظرون إلى الحداثة اليوم؟

لكل جيل حداثته، فالجيل الجديد يختلف عن الجيل القديم، لكن روح الإنسانية هي نفسها. لا يمكن الحديث عن الحداثة بعيدًا عن الإنسانية، وبالتالي نغرس الأخلاق والقيم لأن الحضارة الإندونيسية تقوم أساسًا على الأخلاق والقيم الإنسانية.

هل فشلت الحداثة أمام ما حدث في غزة؟

طبعًا، نحن اليوم في حاجة إلى القيم، وإلا ستكون الحداثة مجرد تخريب، كما حدث في غزة. حداثة إسرائيل هي حداثة تخريب وقتل.

في حوار سابق مع المفكر عبد المجيد الشرفي، قال إن الحضارة الإسلامية انتهت وتم تعويضها بحضارة اسمها «الحداثة». وأنتم دولة إسلامية، إلى أي مدى يصح هذا القول؟

لا، الحضارة الإسلامية عندنا هي الحضارة الإنسانية، لأن الإسلام، وحتى الأديان الأخرى، كلها حضارة إنسانية. وبالتالي، الإسلام في إندونيسيا هو أخلاق وإنسانية، وطالما أن الإنسانية لم تنتهِ، فإن الحضارة الإسلامية لم تنتهِ بعد.

لكن للحضارات أعمار مثلما قال ابن خلدون ؟

نعم، ولكن الإنسانية قائمة إلى يوم القيامة، لذلك نحن نبذل كل مجهوداتنا من أجل بقاء الإنسانية.

في دروب تجديد آليات التكوين في مجال مناهج التدريس الجامعي في الآداب والإنسانيات

التكوين العلمي المنهجي والعقلانية النقدية واللغات، ضرورات وشروط...

محمّد الكحلاوي (أستاذ بجامعة قرطاج)

هشام جعيط

محمد أركون

فوزي البدوي

1)- تدريس اللغات.. من شروط تقدّم الأوطان وبناء الحضارة

مهمّ للغاية التركيز على تدريس العربية والعناية بتعليم أصولها وقواعدها وفنون بلاغتها وبيانها، وأيضا دراسة ما كُتب بحروفها وبيانها من مصنّفات أدبية وعلمية وفكرية وحضارية وفلسفية، ولنوسع من ثمّ أكثر مجال اكتشاف جمالها وقدرتها على مواكبة حركة التاريخ وقدرتها على التعبير عن حقائق العلوم ونظريات المعارف والفنون. ذلك أنّ العربية ليست لغة بيان وشعر كما شاع ذلك خطأ، فهي أيضا لغة العلم والفكر والحجاج والمنطق، وكما ترجم إليها ونقلت إلى ثقافتها سابقا علوم الأقدمين وحكمهم، فهي ما تزال قادرة على إمكان حمل نظريات العلم والمعرفة وتحقيق الرقيّ بالإنسان العربي، لاسيّما أنّ المرء لا يبدع فنّا أو علما أو فكرا إلّا بلغته وفي لغة قومه؛ أبدع أفلاطون وأرسطو باليونانية، وديكارت ورسو وفلوتير وبودلير وهيغو وسارتر بالفرنسية وأبدع كذلك كانط وهيغل وهيدغر بالألمانية وسبينوزا وشكسبير ورسل بالانقليزية ودوستويفسكي بالرّوسية.. ثمّ إنّه لم يحدث أن تميّز مبدع واعترفوا بالريادة وهو يكتب بلغة غير لغته الأمّ.. وفي معرض ذلك جاءت عبارة الأدب العربي الناطق بالفرنسية... لكن لا يعني ذلك الرفض أو الإعراض عن تعلّم اللغات الحيّة، فهي طريقنا إلى اكتساب الخبرات والاطلاع على النظريات الحديثة...

لا بأس بل من الضروري أن ندرس بالتوازي مع العربية اللغات الحيّة؛ لغات العلم والفنّ والفكر الجديد وأزمنة العصور الحديثة، كالفرنسية والانقليزية والألمانية والإيطالية... هذا يكون بعد تهيئة العربية وجعلها أكثر مرونة وقدرة على مواكبة زمن المعرفة والحداثة والتقدّم..

في معرض ذلك قال الأستاذ محمد سعد تعقيبا على قول عالم الرياضيات رشدي راشد في دعوته إلى تدريس العلم باللغة العربية تماما كما يُدرّس العلم في اليابان باللغة الوطنية: ... لأنها (اليابانية) أصبحت لغة رسمية كما البرتغالية (إنّ) الوضع مختلف بالنسبة إلينا. فالعربية تقدم وتصمد إزاء الفرنسية ولم تستطع الفرنسية إزاحتها. والتعليم باللغة التي يتكلم بها الناس أيسر للمتعلم. لكن اللغة العربية الكلاسيكية المستعملة حاليا لمْ تفِ بالحاجة لأسباب متعددة. منها عدم توفر نيّة في إصلاحها وجعلها مواكبة العصر، فالعربية من ناحية ما مثل اليونانية فهي من اللغات القديمة، ومن ثمّ لا بدّ من تحيينها وتطوير أساليبها وإثراء معجمها. طبعا مع الانفتاح على لغات العالم وهو أمر مطلوب لاستيعاب المعارف والمهارات. ذلك ما يطرح، في تقديري، ضرورة تجديد العربية من جهة المعجم والأسلوب وسياقات التداول وبنيات الخطاب

2)- تطوير مناهج البحث والدّراسة وعقلنة الوعي المعرفي

أورد منذ سنوات الدكتور فوزي البدوي، أستاذ الأديان المقارنة وقضايا الفكر الإسلامي والحضارة العربية بعض الآراء والأفكار المهمّة بشأن رسالة الجامعة وآفاق التدريس والبحث في اللغات والآداب والحضارة والإنسانيات، متسائل عن إمكانات التأسيس لملكة الوعي النقدي التي من شانها أن تسهم في تجدّد بناء المعرفة ومن ثمّ التأسيس للحضارة وإنجاز التقدّم والتحرّر والتعايش بين الآراء المختلفة ووجهات النظر المتباينة.

حيث قال، وتحت وسم عنوان؛ هـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِه: من خلال تجربتي في التدريس الجامعي لطلبة الآداب تحديدا وتدريس مسائل ذات صلة بالدين طوال أكثر من عقدين يمكنني أن اشهد بما يلي: أنّ جزءا كبيرا من الطلبة يأتون إلى الجامعة جاهزين من حيث غسل الأدمغة ولا نفلح إلّا قليلا في تغيير قناعاتهم طوال فترة التدريس الجامعي وتدريبهم علي الفكر النقدي والشك المنهجي وحتى (على) تقنيات الجرح والتعديل القديمة الخ ....بما يعني أن عملا كبيرا يتم من اجهزة مختلفة في فترة المراهقة وفترة الثانوي تؤدي إلى تشكل نهائي تقريبا للأدمغة.

في مستوى ثاني يقول الأستاذ البدوي

إنّ بعض من ندرّسهم يتلقون تكوينا موازيا خارج الكليات أي في المساجد المحيطة والبعيدة وعند مشايخ يعتبرونهم مراجع علمية مقنعة، وحدث أن شاهدت كيف أن بعض طلبتي يخرجون مباشرة من الدروس إلى المساجد القريبة، بل ويعلقون في سنوات الثورة الأولى لافتات في حيطان الكلية تدعو إلى الالتحاق بدروس الشيخ فلان والشيخ علّان أو الاختلاف إلى حلقات مغلقة أو غيرها حيث يتم حقنهم بمضادات التفكير الحر».

إنّ أهمّ ما يمكن أن نستنتجه نبعا لما تمّ طرحه من آراء أن تتكثّف الجهود المعرفية والإصلاحية لأجل دعم الفكر النقدي العقلاني الحر الذي يقوم على إقرار مبدإ الاختلاف والمغايرة، وإشاعته في حلقات الدرس والتكوين وفي فضاءات البحث وفي مجالات الفضاء التواصل العام، فالذهنية الأكاديمية من البديهي انّه تقوم على القطع مع العقلية الاتكالية الاتباعية التي تقدّس أئمة المذاهب.

ويمضي الأستاذ البدوي قائلا:

بعض هؤلاء الطلبة ينظرون إلى أساتذة الكليات علي انهم علمانيون فاسدون (رأيا ونظرا) ويتجرأون على الين.

-في مستوى آخر يرى الأستاذ البدوي أنّ ضعف التكوين والاطلاع في مجال اللغات يساهم في انحصار رؤية العالم داخل اللغة العربية بما يعني أن حوالي 95 بالمائة مما يطالعونه لا يصلح لأيّ شيء... والـ 5 بالمائة الباقية ترجع إلي الترجمات أو كتابات المتنورين العرب وهؤلاء يحاصرون من خلال سب الاستشراق من ناحية واتهام البقية بأنّهم علمانيون لا يوثق بعلمهم في مسائل الدين...

ومن ثمّ يستنتج الأستاذ البدوي كيف أنّه ترسخ لديه اقتناع من خلال التدريس الجامعي أن أخطار الإسلام السياسي والدعوشة ستتواصل لعقود قادمة ولا علاقة للأمر بالفقر أو بالمنشأ الاجتماعي بل هو يتّصل بتقنييات غسل الأدمغة التي تتم بشكل مبكر وسطوة وسائل الاتصال الحديثة التي لا تشجع كثيرا علي التفكير وإنما تقدّم في الغالب وجبات دينية جاهزة لا يملك الطلبة لا الوقت ولا القدرة علي هضمها ذلك أن عامة الناس لا يعلمون أنّه نتيجة لنظام (إ م د) لا يقضي الطالب إلا سنة ونصف في الجامعة إذا ما تم احتساب العطل والامتحانات وشرط أن تكون الدروس منظمة دون إضرابات واحتجاجات . إن قضاء سنة ونصف في الجامعة لا يعني شيئا ولا يمكن من تنظيف مواطن من أدران غسيل الأدمغة والجهل وصنع وعي تاريخي وديني جديد.

وهو ما يعني في نظر الأستذ البدوي أنّ مسالة الدين وتدريسه والتعامل معه تمّ منذ عهد الزعيم بورقيبة، طرحها بشكل سطحي وغبي يلفه شكل من العمى المعرفي والتاريخي، يكاد يصل إلى درجة ينجم عنها ضرب للنظام الجمهوري، لاسيّما عندما «لا تفلح الجامعة في تعليم الطلبة أن يفكروا بأنفسهم بل يفلح آخرون في تلقينهم "التفكير»، فيفكّر القادمون إلى الجامعة بغيرهم، يعنى من خلال «الأموات من أسلافهم».

هكذا، فالأمر يحتاج أكثر إلى توظيف أدوات العلوم الإنسانية في حقول دراسة الفنون والآداب والتراث. إنّنا نحتاج إلى ضرورة التفاعل النقدي بالتساؤل وإعادة النمذجة والتأطير للمصطلح والمنوال في البحث والتحليل والقراءة بما يتوافق منهجيا وابستمولجيا مع جديد المعرفة والعلم ومع سيرورة الواقع المعقّد لمجتمعاتنا ولمدونتنا الفكرية والروحية الدينية والجمالية التي تشكل مقومّ بنيان رصيد حضارتنا العربية والإسلامية. ولنعي أنّ العلوم والعلوم الإنسانية لم تعد تنفصل عن فلسفتها في المعرفة والعلم واللغة في استعمالاتها المختلفة.. وما صار يدرّس تحت اسم تحليل الخطاب.. خطاب الأدب، وخطاب التاريخ، وخطاب والدين خطاب والصورة وخطاب والسياسة خطاب والإعلام وخطاب...

وهو ما يعني أن نسعى كذلك أن نعيد الاعتبار لمدوّنات مفكرين أفذاذ مثل محمد أركون وعبد الله العروي وهشام جعيط ونصر حامد أبو زيد وغيرهم... من أصحاب مشاريع معرفية نقدية في قراءة التراث وتأويل التاريخ ونقد المرجعيات الدوغمائية للمذاهب الفقهية والعقدية الأصولية وتيارات الإسلام السياسي التي تريد أن تظلّ أديولوجياتها فوق النقد ومتعالية على الواقع والتاريخ.

الشِّعرُ طعامُ الأشباح

محمود هدايت

1

كلُّ قصيدةٍ نداءُ هاويةٍ ذاتيةٍ، تتكثّفُ بالتجربةِ كما في حالةِ صرصارِ «كافكا»، فتصيرُ استراحةً كونيةً للإنسانِ واللغةِ معاً. فالهاويةُ تقيمُ في الأغوارِ الروحيةِ لكائنٍ مُتداميجٍ مع مأزقِهِ الباصرِ لعمقِ شعورِهِ بمحنةِ الوجودِ ، التي هي أساسُ كلِّ عدمٍ ، والتي هي أيضاً مصافحةٌ لصدقيةِ ما ذهبَ إليه الفيلسوفُ الألمانيُّ سلوتردايك في (نقد العقل الكلبي) في قوله «نحن القنبلة»، بذلك لا يفتأُ الشعرُ أن يُباطنَ الهاويةَ الكبرى إنطلوجياً، إذن، على وفق هذا الاعتبار ينبغي أن يكونَ الكوجيطو الشعريُّ المعاصرُ على النحوِ الآتي: «أنا أكتبُ إذن أنا الفاجعةُ» بالمعنى البلانشوي للكلمةِ ـــــ نسبةً إلى موريس بلانشو.

2

بين عينِ فهدٍ يحتضرُ، وصورةِ «أورفيوسِ» الغائبةِ صمتاً في اللا نهائيّ، يُقيمُ الليلُ آبارَ منفًى يشربُ منها الغريبُ هيأتَه الدائرية، فيغيبُ رقصةَ شمسٍ في « كوبِ دمٍ» بُشارةَ ختمِ سابعٍ. هكذا يختطفُ الزمنُ أبديّتَه أجنّةَ ليلٍ: أولئكَ الشعراءُ الّتائهينَ في وثنيّتِهم المقدسةِ بموتِهم رطناً تحت تماثيلَ عاريةٍ، شعيرةُ خيالاتٍ سوداءَ ـــــ تلاميحُ جذامٍ لهيأةِ عريٍّ في موتٍ يوميٍّ للوجودِ سعادةَ هواءٍ يغيبُ نظرةً في عينٍ رخاميةٍ، تُحدقُ كيدٍ تؤرّخُ رغبتَها احتضاراً عارياً في أحبارٍ مشؤومةٍ، تتهاطلُ على ورقِ العهدِ الأخيرِ من عيونِ أوديب، في الجانبِ الآخرِ من المسرحِ الوثنيِّ ينحرُ «هاملت» شكوكَه تحتَ مباخرَ غُراةِ الجبلِ المقدسِ، حينئذٍ يستشيرُ الشاعرُ عظامَ طائرِهِ، فيبرقُ الختمُ السابعُ كما لو أنّ إلهاً قد ماتَ.

3

«غونّار إيكيلوف» لا يعرف في أي نافورة ينامُ موتهُ الآنَ؟ والنارُ في معدنِها المنبوذِ تُناومُ الوجهَ الغائبَ سمادًا ذهبيًّا، وما بينَ النظرةِ والأخرى تتهاوى الكتبُ الملعونةُ من الأعلى مفتوحةً كفاجعةِ نسورٍ، كأنّنا نشهدُ زمنَ ولادةِ الحبرِ الوثنيِّ الذي سيمنحُ الكتابةَ مواثيقَ الختمِ السابعِ، رعدةً ينتقلُ فيها النسرُ الناريُّ من شمعةِ الخرافةِ إلى رأسِ «غونّار إيكيلوف».

وفي «الهناك» ثمَّةَ نزالٍ بينَ قنفذٍ وخُذروفٍ، فإلى أيِّ ناحيةٍ ستفرُّ الألوانُ عندَ موتِها قصيدةً في نظرةِ الغريبِ؟ إنّها الزمنُ الفارقُ الذي لا يسمعُ سوى أجراسِهِ موتى يتنافذونَ عدماً نحوَ ليلٍ خرافيٍّ، فماذا لو أكلَتْ النارُ دوائرَها خرافةً جديدةً؟

4

على مشارفَ مغارةِ الذهبِ الليليِّ، يتجمهرُ شعراءُ اللغاتِ المفقودةِ، مترقبينَ إشعارَ ملءِ أكياسِهم بالخيالاتِ المحرّمةِ.

5

الصمتُ المتكوّرُ في ليلِ القصيدةِ، تلاميحُ يدٍ تحتضرُ. إنَّهُ «فارماكون» البراءاتِ اللامرئيةِ، تلك التي رصدَ عوالمَها «فالتر بنيامين» في كتابِهِ الرفيعِ (عن الحشيش) الذي يُعدُّ كارتوغرافيا سريةً لسيركِ سرنماتٍ لا نهائيةٍ.

6

الشعرُ خيالٌ يصنعُ لغةً وليس العكسَ، ولتدعيمِ رؤيتِنا هذه، يمكنُنا أخذَ تجربتي الشاعرينِ فاضلِ العزاويّ، وسعدي يوسفَ مثالاً لذلك، فالأخيرُ وعلى الرغمِ من رصانتِهِ اللغويةِ الفائقةِ، إلا أنّ قصيدتَهُ بقيَتْ مباشرةً وذاتَ صوتٍ واحدٍ ، في حين تتحرّكُ قصيدةُ العزاويِّ في فضاءِ الخيالاتِ المستحيلةِ ـــــ المُتعددةِ الحركاتِ، ما جعلَهُ يملكُ لغةً خاصةً به منبعُها الخيالُ والتفريدُ، لأنَّه تعاملَ مع الشعرِ كتدميرٍ جماليٍّ وفكريٍّ للغةِ، إذ الشعرُ ليس سوى تداريبَ في التخريبِ، وارتجالِ زعزعةٍ لامرئيةٍ. كما أنَّهُ تلك المسافةُ الواقعةُ ما بين قنفذِ «دريدا» وخذروف «غادامير»، بذلك يغدو الشعرُ توأمَ الموتِ، لكنْ أيُّهما جاءَ أولاً؟ وحدَهُ «جورج باتاي» يمكنُهُ أنْ يُعلِمَنا بذلك. وفي أحيانٍ كثيرةٍ يكونُ الشعرُ بالنسبةِ لي محاولةً في تحديدِ نوعِ الطعامِ الذي يتناولُهُ شبحُ «هاملت».

7

في سينما «موريس بيالا»
الخطيئةُ
محاولةٌ أخيرةٌ
لاستعادةِ
روحانيةِ العالم.

8

بين وجهي
«صموئيل بيكيت»
و«دانيل خارمس»
ماتَ
حصانُ «بيلا تار».

9

إلى فليب بيك

القصائدُ صناديقُ تبرعاتِ الموتى بالصمتِ الخالدِ، ثُم إيداعُه في اللغةِ كربيعٍ آخرَ للشرّ. إذ لا فرقَ بين موتِ حصانٍ وكتابةِ قصيدةٍ.

10

الشذرةُ ختانٌ أوديبيٌّ هي « نقيةٌ كتشريحِ ضبعٍ» ميروسلاف هولوب*، إنَّها لحظة ذَحل كبرى من المعنى واللغة على حدٍّ سواء.

11

الحاشيةُ السفليةُ للموتِ تتساءل: ما اسمه ذلك الذي ذهبُ منا مع الأظافرِ؟ ربما يكون كنغراً مختبئاً في وجهِ «هنري ميشو».

12

في كتابه الموسوم(خيبة التمثيل ـــــ الجسد وأنثروبولوجيا الإفراط) يقول عبد الصمد الكباص «في قلب التفلسف توجد التجربة» والسؤال: في قلبِ ماذا يوجدُ الشعرُ أفي اللغةِ أم الخيالِ أم في كليهما؟ يبدو لي أن الإجابةَ على هكذا سؤالٍ تحيلُنا إلى «هايدغر» في «أصل العمل الفني»، وفي تقديري أنّ فهمَ ما ذهب إليه صاحبُ «الكينونة والزمان» سوف يمنحُنا فرصةَ وضعِ اليدِ على جوابِ سؤالٍ كان قد شغل «أرشيبالد مكليش»، مما دفعَه إلى تأليفِ كتابِه الرائدِ «الشعر والتجربة».

13

من أيّ خيالٍ جاء «بول شاوول» إلى الشعرِ، من سكونِ اللغةِ أم من عواصفَ الجسدِ؟ إنَّه يكتبُ كي يُوحِّدَ جزرَ قلقِه الميتافزيقي بعضَها إلى بعضٍ، بتوتر الخيالاتِ وسعادتِها الغامضةِ، في تلمسِّه لهزَّةِ الرغبةِ المتفجرةِ، وهل بغيرِ الشعرِ تُلمسُ الهمهمةُ؟ وماذا لو غاب الشعرُ، كيف نُخدّدُ الفكرَ ونصقلُه؟ وبأيَّ مباردَ نستقبل حوافَّ ثلمِ الفاجعةِ الحسيّة الكامنَ في اللغة. وحدَها نصوصُ «بول شاوول» قادرةٌ على استقبال هكذا أسئلةٍ، وهذه هي الحالةُ المُثلى التي يحلمُ بها الشعرُ، مما يعني أنَّه استطاع أن يجمعَ بين الأثر وغيابِه الشعري في كتابة »جذمورية ـــــ أرخبيلية» في آن واحد، حيث لا ابتداءَ ولا خاتمةَ، الكلُّ يحضرّ في الكلِّ ليغيبَ، هكذا يمضي النصُّ إلى غيابٍ مكثَّفٍ أشبه بمتواليةِ «تعازيم صُور» في أفلام «روبير بريسون»، حيث المشهد يأكل المشهدَ ليؤسِّس بذلك سيادة حركته الشعرية. ولا شك في أنَّ هذا النزوع السّري للشعر هو أكثرُ ما يشغل شاعرًا مثل «بول شاوول» برعَ في التعاملِ مع الشعرِ كمؤرخٍ غياباتٍ، وحافظٍ لمواعيد الرغبةِ في قصائدَ موغلةٍ في تعميقِ لعبةِ اختفاءِ الشاعرِ داخلِ اللغةِ ، لدرجة أنَّ القارئَ لا يرى في قصائدِه سوى أثرٍ يستذكرُ كلَّ شيءٍ بوساطة غيابِه. وهذا اشتغالٌ سينمائيٌّ جليُ الملامح، وأبعدُ من ذلك هو توقيرٌ للهاوية الروحانية، وبعد هذا كلّه، ما الشعرُ؟ سعادةُ تقويضات أم اختمارٌ حواسي في أحواض «الفارماكون»، أم كولونيالية الحواس للغة بوصفها شعباً بلاغياً؟ فمن خلال قراءاتي للنصوص الكبرى كنرد «مالارمه»، وجحيم «رامبو»، وحجر «بونفوا»، وأناشيد «لوتريامون»، تبدّى لي الشعرُ محاولةٍ في تأسيسِ جرحٍ انفصاليٍّ، يتداوى بالتمرد على حكوماتِ النظرةِ الواحدة. ولا طَموحِ لديه سوى تكثيرِ ألمِه في الطيِّ والانبساطِ.

14

لا يحوزُ الشعرُ أصالتَهُ بغيرِ تكثيرِ احتوائِهِ للعزلةِ وبلوغِ شساعتِها، لذا ينبغي على القصائدِ أن تُرتجلَ جذاميرَ ، وإفلاتاتِ خيالٍ من المنابتِ والينابيعِ الأولى، مما يعني أنَّ في الشعرِ وحدَه تتجذّمرُ اللغةُ متلمسةً بذلك تَصيُّرَها السريَّ، كنسفٍ للتوطيد. وتعييدٍ خلاسيّ في معابدِ آجرها ملحوسٌ بجذامِ صلوات.

---

*تر: سامي مهدي.

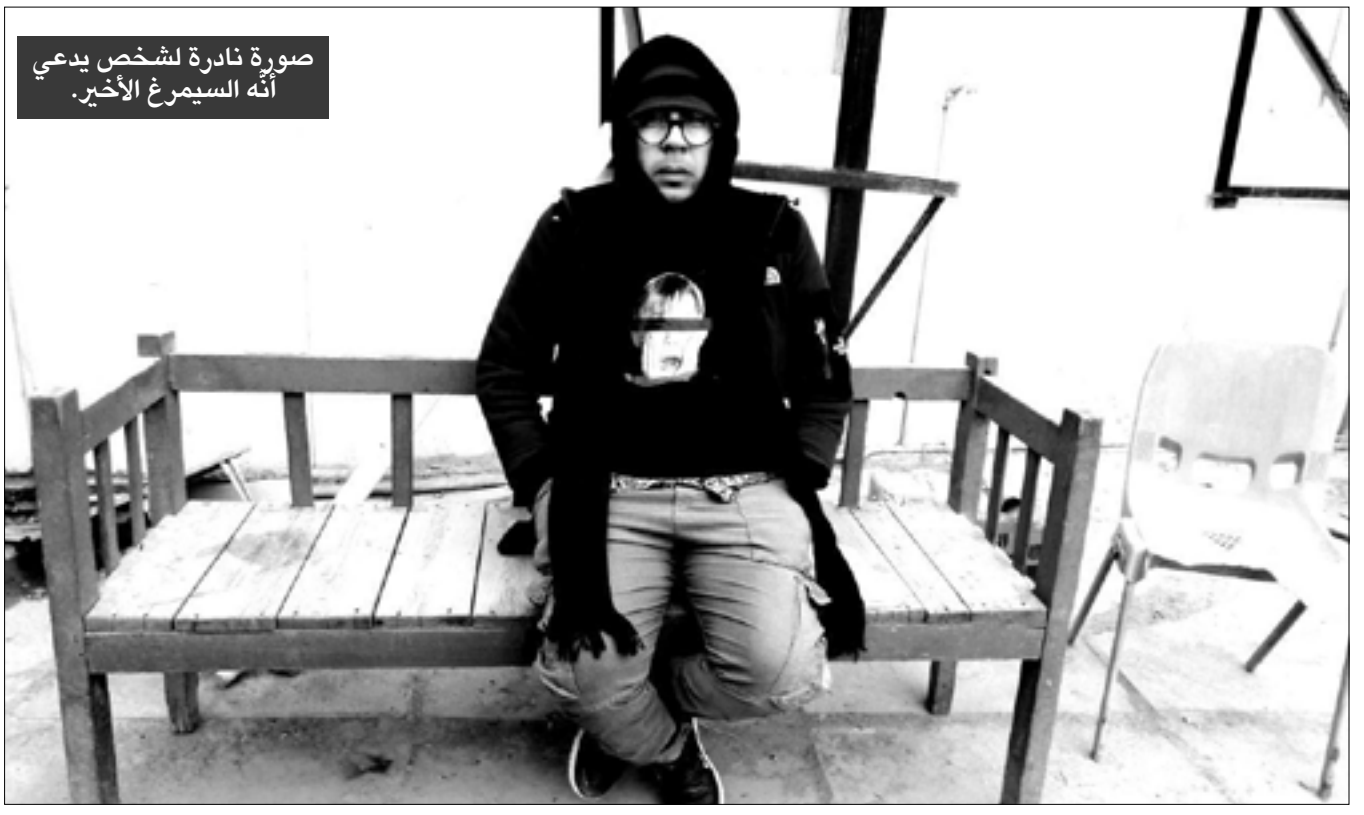

صورة نادرة لشخص يدعي أنّه السيمرغ الأخير.

«صباح غزة القتيلة: سحر الكتابة والمقاومة» :

قراءة في قصيد « على حافة صباح قتيل» للروائية والشاعرة د. أم الزين بنشيخة

فيصل السائحي - استاذ الفلسفة – ناقد وباحث

يمكننا القول إن الكتابة بعد غزة واجب أخلاقي وإنساني، وهي مهمة كل مثقف، أديب، وشاعر لتوثيق معاناة شعبه وتحفيز المقاومة. كيف نكتب الآن بعد هولوكوست غزة؟ عندما يتعرى القلب وتتشقّق جذوع الروح، يقف الإنسان كهيكل عظمي يقاوم الهلاك، تسري سحر الكلمة الصادقة والشعر والخيال الرمزي لينقذ الحياة ويبعث فيها إرادة حرة متوثبة. لحظة غزة هي اللحظة التي تظهر فيها الحاجة إلى سحر الشعر والكتابة لمواجهة السقوط الأخلاقي. لعلنا نجيب عن سؤال الطفلة في قصيدة «على حافة صباح قتيل»: هل هناك أمل في المستقبل؟

سؤال الطفلة في قصيدة أم الزين بن شيخة يجب أن يكون بداية الكتابة، كتابة جديدة تقاوم حقارة عالم يتفرج بصمت على مشهد القتل المروع. كيف يمكننا، ككتاب ومثقفين، أن نتجاهل هذه المأساة؟ وكيف يمكننا أن نستمر في الكتابة دون أن نصرخ ضد هذا الظلم الفادح؟ في خضم الظروف القاسية التي يعيشها الشعب الفلسطيني، يظهر الأدب كنافذة للتعبير عن الألم والأمل. تعكس القصائد، بتجلياتها الفنية والرمزية، تلك اللحظات التي تعجز الكلمات العادية عن وصفها.

وهو ما يتبدى في قصيدة «على حافة صباح قتيل» للشاعرة والروائية وأستاذة الجماليات بالجامعة التونسية أم الزين بن شيخة كصرخة وجع يتشابك فيها الألم مع البحث عن الخلاص.

تحملك قصيدة أم الزين بن شيخة إلى حافة الهوة الوجودية، حيث تتداخل الرموز وتتشابك الدلالات في متاهة من الأسرار التي تُبقي القارئ في حالة من الاضطراب والتردد. قراءة نصوصها ليست مجرد تجربة أدبية؛ إنها مغامرة في عوالم مشوشة، حيث يتناثر المعنى بين الشقوق، وتتحطم الأيقونات الرمزية إلى شظايا من الغموض.

عند الغوص في عمق الأبيات، تلتقي بعبارات مشحونة وصور متناقضة، لتجد نفسك في دوامة من الحيرة. كل سطر يشكل معضلة جديدة، وكل رمزية تُبقيك على عتبات الارتباك. الصباح القتيل، العتبات الموحشة، تلك المعاني التي تتآكل في خضم التصورات المتباينة، تجعل كل خطوة نحو فهم أعمق رحلة متعبة، مرهقة، ومذهلة في آن واحد.

لكي تفك طلاسم أم الزين، عليك أن تخترق عتبات عقلها، أن تتجاوز حدود المنطق المعتاد، لتكشف عن كيفية تفكيرها ومهارة تشبيك الرموز. يجب عليك أن تغوص في أعماق رموزها، أن تتجاوز حواجز الغموض، كي تصل إلى جوهر رسالتها. ذلك ليس بالأمر السهل، بل هو تحدٍ للقدرة على التوغل في أغوار الفكر، للوصول إلى فهم حقيقي للمنطق الذي يصنع عالمها الشعري.

الصباح القتيل :من عتبات العبث الى عتبات الخلاص

تضعنا الشاعرة أمام مفارقة عميقة حول رمزية الصباح، الذي يرتبط عادةً بالبداية المتفائلة والمفعمة بالأمل. لكن في قصيدتها، يصبح رمزًا للخراب والألم، محملاً بثقل الأسى. إنه حافة بين الأمل والموت، يعكس حالة من الحيرة والمرارة، وكابوسا يحيط بوجود الإنسان.

إن بشاعة الصور التي يحملها الصباح القتيل ليست إلا انعكاسًا لبشاعة ترسخت في أعماق الشاعرة، نتيجة مشاهد حرب الإبادة التي دمرت صورة الإنسان في غزة القتيلة. فالصباح الذي كان رمزًا للأمل والبدايات، أصبح في قصيدتها رمزًا للخراب والألم، تترجم بوضوح صورة الفجر الدامي والمآسي التي شهدتها المدينة.

ان قصيدة ام الزين بهذه الملامح الرمزية المشحونة باليأس والحزن الى درجة الشعور بعدم الجدوى لا تشذ عن الاتجاه الشعري العربي المعاصرالذي تميز منذ النكبة الفلسطينية بهذا الميل الصارخ نحو الحزن الى درجة العبثية احيانا . هو ما برز مثلا في اشعار الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان التي تعبر فيها عن هذا اليأس الى درجة العبثية (1)

انسان هذا العصر قاحل فقير
تاكلت جذوره تسطحت ابعاده
سدى نريد الحب ان ينمو ولا ....
اعماق ولا جذور

هذا الحزن الى درجة اليأس والذي نجد جذوره في الهزيمة التي ترسخت في الذات العربية منذ النكبة نجده في قصيدة ام الزين من خلال كثافة رمزيات الموت والقتل وانعدام الافق والشك في امكانات التغيير .فرمزية الصباح القتيل مشحونة باليأس الى درجة العبث وهو ما يتجلى في الابعاد التالية :

1. البعد الوجودي: العبثية والعدم

- يشير «الصباح القتيل» إلى عبثية الحياة وفقدان الأمل في كل بداية جديدة. الصباح الذي يُفترض أن يجلب الأمل والتجدد، يصبح في هذا السياق قتيلًا، ما يعكس انعدام المعنى في مواجهة الفوضى والدمار

- يتجلى قلق الإنسان الوجودي في فكرة «الصباح القتيل»، حيث تُسلب منه القدرة على رؤية بداية جديدة أو تجربة أمل. يصبح كل صباح تذكيرًا بالخراب والفقدان، مما يفاقم شعور الشاعرة بالقلق وعدم الاستقرار.

2. البعد السياسي: اليأس والمرارة

- هذا «الصباح القتيل» يعبر عن مأساة شعب يعيش تحت وطأة القصف والإبادة. الصباح، الذي كان من المفترض أن يكون رمزًا للسلام والتجدد، يتحول إلى رمز للدمار والموت. تعبر هذه الصورة عن الوضع المؤلم الذي تعاني منه غزة، حيث يتحول كل صباح إلى تذكير بواقع العنف والدمار. هذا الواقع يقتل الأمل ويغتال كل فرصة للتغيير .

هذه الصورة القاتمة للصباح القتيل حيث يمتزج الدخان بآهات الأمل المكسور،و تتردد صرخات الإنسانية في فضاء مشحون بالظلام. هناك، حيث تستلقي الأرض بين أنقاضها، وتلتف المأساة بخيوطها السوداء حول القلوب، تبحث الأرواح المذبوحة عن بصيص نور يكسر حلكة الليل. في هذا المشهد القاتم، تتجسد معاناة الحياة، كما في قصيدة «ارض اليباب « التي تروي تفاصيل العدم والقنوط، حيث تبرز صور الدمار كرموز للقلق العميق.(2)

تبدأ قصيدة ارض اليباب او الخراب تماما مثل الصباح القتيل بمشهد مؤلم يصف فيها اليوت «الأرض التي لا تنمو فيها الحياة»، و«الشمس التي تشرق بلا دفء»، تزرع الشعور بالوحدة واليأس وتشهد على سطوة الخراب والفوضى.

في «على حافة صباح قتيل»، الصباح يتجلى كرمز للمساحات الرمادية التي تتوسط بين الحياة والموت. إنه لحظة من الانتظار المشوب بالقلق، حيث يتحدى الفجر القادم ظلاماً من العذاب المستمر. الصباح القتيل هنا لا يمثل بداية جديدة، بل استمراراً للمأساة، وتحويلاً للأمل إلى صرخات صامتة.

في «أرض الخراب»، الصباح يشير إلى محاولة جديدة في عالم غارق

على حافة صباح قتيل ..
تزدحم أرواحهم في يدي
وأنا على عتبات الله واقفة
أحمل ظلي وحيدة
بلا محدقين..
على حافة صباح قتيل
عالقة أنا كوردة حذو قبر قديم ...
عالقة أنا بين أعراس الدم
ومرتفعات الأمل الصغير
وأنا على عتبات الله واقفة
أحمل حرفي الثقيل
كي أنثره في ابتسامة الراحلين ..
وتأتي الظهيرة على مضض
بأوسمة الضجر
ومراسيم الدفن
وسماء وغيمات
وسحب على ركح مهرج كبير...
واقفة أنا في قلب الظهيرة
على عتبات عبث زخيم
أبحث عن ظلي الراحل معهم
أجمع أرواحهم في كفي
ثم أبسطها حتى يلتقطها ملاك
في قيامة للعائدين..
عالقة أنا بين الصباح والظهيرة
وغروب لا ينتهي
وأفق ملبد بغبار القتلة ..
ومن مكان بعيد في ذاكرتي
صوت طفلة تناجي ما تبقى من الوقت القاتل
«يا الله هل ستكون معهم في غدهم
أم أن الياسمين قد انتحر في قلوب
القادمين والراحلين ؟»...

الشاعرة أم الزين بن شيخة

قراءة في قصيد

بالدمار. هو بداية متأخرة، تغلفها ظلال الفوضى وعدم اليقين. لا يقدم الصباح في هذا السياق الأمل، بل يضاعف الإحساس بالفشل المستمر في إحداث تغيير حقيقي.»الضوء الذي يأتي بعد الفجر هو ذات الظلام الذي كان موجودًا، تكرار لا نهاية له»

يبرز الصباح في القصيدتين كرمز مميز للمعاناة المستمرة، حيث يعكس كل منهما حالة من الألم المستمر والضياع. في «على حافة صباح قتيل»، يعكس الصباح الواقع الفلسطيني المؤلم، في حين يعبر «أرض الخراب» عن فشل الإنسانية في تجنب دمارها. كلا الصباحين يعكسان التوتر بين الأمل والمرارة، بين البداية التي لا تنتهي وبين الدوامة التي لا تنفك تتجدد. في النهاية، يظهر الصباح كرمز للألم الذي يتجاوز حدود الزمن، ويعبر عن محطات تعبيرية عن الحيرة المستمرة والبحث عن الخلاص في عالم يغمره الخراب.

العتبات والله: رحلة بين الانتظار والتجلي

في قلب هذا الخراب، تبرز فكرة الخلاص الإلهي عند « ل ت .س. اليوت الشاعر الانجليزي كأمل بعيد. هنا، حيث يزداد الدمار من حولنا، يبقى الإيمان بالله هو النور الذي يهدي في ظلام الأزمات. يقول الشاعر: «وفي عمق الظلام، نبحث عن نور من السماء»، ليؤكد على اللجوء إلى الله كطوق نجاة وسط المحن.

وهو المنعطف ذاته الذي نجده في قصيدة على حافة صباح قتيل : البحث عن الخلاص.

«وأنا على عتبات الله واقفة»، هي عبارة تحمل دلالة عميقة من الترقب والانتظار أمام قوة كبرى. تُجسد هذه اللحظة لحظة الوقوف على أعتاب الأمل والخلاص، منتظرة تدخلًا إلهيًا يغير الواقع.

تشير لفظة «العتبات» إلى حدود الأشياء وأطرافها ..و هي ليست مجرد نقاط عبور فيزيائية، بل هي لحظات تحول نفسية ووجودية تصف الانتقال من حالة إلى أخرى. هي مواقع تحول ومرور، حيث يتلاقى النقيضان: البداية والنهاية، الوجود والعدم، الاستقرار والحركة. مساحات تُتيح للذات تجاوز حدودها والتفاعل مع التجربة بطريقة جديدة

إحدى النقاط المهمة في «الوجود والزمان»لهيدجرهي الفكرة «االتي تشير إلى لحظة الانتقال التي يتخذ فيها الإنسان قرارًا حاسمًا يغير مجرى حياته. هذه اللحظات تمثل العتبات الوجودية، حيث يتجاوز الإنسان ذاته الحالية ويستكشف إمكانيات جديدة للوجود.. هنا تحديدا يمكن ان نفهم معنى ان تقف الشاعرة على عتبات الله(وأنا على عتبات الله واقفة ..احمل حرفي الثقيل)

هل بلغ اليأس من امكانية التغيير البشري للواقع الماساوي الى تسليم هذه المهمة الى قوة الهية معجزة ؟ يتحدث مارتن هايدغر في أعماله، خاصة في نهاية حياته، عن فكرة أن الله وحده يمكن أن ينقذنا. اذ يرى أن الوجود البشري في حالة من السقوط والاغتراب، وأن الخلاص الحقيقي يأتي من التدخل الإلهي. في حواره مع DerSpiegel، يقول هايدغر:

«فقط إله يمكن أن ينقذنا.»،(3)

هل يمكن ايضا ان نتحدث عن نزعة صوفية لدى ام الزين تبرر لها اللجوء الى الله؟ ا

ما يبرر هذا التاويل ايضا هو ما لفكرة عتبات الله من اشارات الى توجه صوفي لا نغفله في تمثل الشاعرة لفكرة الخلاص حيث تمثل العتبات مرحلة انتظار وترقب وأمل في تدخل الهي. وفي كل الحالات فان الحاجة الى انقاذ الهي ليس سوى تعبير رمزي يحيل على حالة اليأس والاحباط من امكانية تغيير في الواقع العربي.

تثير اشكالية البحث عن الخلاص في القصيدة «على حافة صباح قتيل» الكثير من التساءلات التي تحتاج الى مقاربة تاويلية حول المعنى الذي تتجه اليه الشاعرة في تحديد فكرة الخلاص : فمن جهة توحي لنا القصيدة بان الخلاص قد يكون في الوقوف على عتبة الاله لينقذنا ومن جهة اخرى تفاجئنا بوقوفها على عتبات العبث بحثا عن ظلها الضائع ؟ كيف يمكن فهم هذه المفارقة ؟

في عالم يكتنفه عبث زخيم، حيث يلتقي الزمان والمكان في نقطة تجمدت فيها الأحلام وتلاشت فيها المعاني، تقف الشاعرة في مواجهة صراع لا ينتهي. «قلب الظهيرة» يمثل ذروة من الجمود والركود، حيث يصبح كل حلم مشروع قد مات، وينساب الوجود في دورة مفرغة من الفوضى. في هذا الوجود العبثي، يصبح كل جهد وكل أمل مجرد صدى ضائع في فراغ لا يرحم. هو مكان لا تكتمل فيه الأفكار، حيث تتداخل المعاني لتجعل كل محاولة للنجاة تبدو عبثية.

لكن، كيف يمكن للشاعرة أن تجد في عتبات الله ملاذا وسط هذا العبث؟ كيف يمكن للعتبات الإلهية أن تكون المنقذ من عبثية الكون؟ هنا، نجد مسعى الشاعرة في الانتقال من العتبات العبثية إلى العتبات الإلهية، وهو تناقض يعبر عن أعمق صرخات الروح البشرية. على عتبات الله، تجد الشاعرة ملاذًا يحمل في طياته الأمل والراحة التي لا يمكن العثور عليها في عالم عبثي. وعلى عتبات العبث ستكون مهمتها البحث عن ظلها الضائع.(على عتبات عبث زخيم ... أبحث عن ظلي الراحل معهم)

عتبات العبث بحثا عن الظل الضائع :

يمثل وقوف الشاعرة على **عتبات العبث** نقطة تحول جوهرية في تجربتها الروحية والنفسية، حيث تلتقي مع تعقيدات الحياة المليئة بالفوضى واللامعنى. ، تجد الشاعرة نفسها في مواجهة مباشرة مع واقع يهدد القيم الإنسانية ويطحن الروح تحت عجلات اليأس.

وفقًا لألبير كامو، العبث هو التناقض بين رغبتنا في العثور على معنى للحياة وعدم قدرة الكون على تقديم هذا المعنى بوضوح (4)في هذا الصراع بين القيم السامية والواقع القاسي، تشهد الشاعرة تدمير الإنسانية وتفككها، ما يعكس عمق الأزمة الوجودية التي تواجهها.

ما دلالة البحث عن الظل في عتبات العبث ؟

يستلزم البحث في دلالة الظل في القصيدة الكشف عن الخلفية النظرية التي قد تكون الهمت الشاعرة رمزية الظل في لحظة وقوفها على عتبات العبث . وهي الرمزية التي وظفها بكثافة كارل غوستاف يونغ، عالم النفس السويسري في الكثير من اعماله

في فلسفة كارل يونغ، يُمثل **الظل** الأجزاء المظلمة والمكبوتة من النفس التي نميل إلى إنكارها أو تجاهلها. هذه الجوانب غير المقبولة تنبثق بشكل مكثف في أوقات الأزمات أو الصراعات. في كتابه «ذكريات، أحلام، تأملات» يشرح يونغ رمزية الظل كاحالة على الأجزاء المكبوتة والمرفوضة من الشخصية، والتي يتم دفعها إلى اللاوعي لأنها تتعارض مع الأنا الواعي. هذه الأجزاء تبقى في الظل لأنها تتعارض مع القيم والمعايير التي يتبناها الفرد بوعي.

يؤكد يونغ أن مواجهة الظل والتعرف عليه هي خطوة حاسمة نحو تحقيق التكامل النفسي والنمو الشخصي. من خلال مواجهة الجوانب السلبية والمظلمة في شخصيتنا، يمكننا أن نصبح أكثر وعيًا بذاتنا وأكثر توازنًا. يوضح يونغ أن عملية مواجهة الظل تتطلب شجاعة وصدقا مع الذات.

فهم الظل هو جزء من عملية فردية لتحقيق الذات. من خلال التعرف على جوانب شخصيتنا التي نفضل إنكارها أو تجاهلها، يمكننا تطوير فهم أعمق لأنفسنا وتحقيق توازن نفسي أكبر. هذا لا يعني القضاء على الظل، بل التعامل معه ودمجه في شخصيتنا بشكل صحي.(5)

حينما تقف الشاعرة على عتبات العبث، فإنها تتعامل مع هذه الأبعاد المظلمة التي تعكس تدمير القيم الإنسانية وتفككها. هذا الموقف يمثل مواجهة مع الظل الشخصي الذي يكشف عن الصراعات الداخلية التي لا يمكن تجاهلها.

بحث الشاعرة عن **ظلها** يُعتبر رحلة نفسية عميقة للتصالح مع الأجزاء المخفية من ذاتها. في هذا البحث، تسعى لإعادة اكتشاف معنى فردي وشخصي وسط عالم يبدو مغمورًا بالعبث. عملية التصالح مع الظل تتطلب مواجهة الجوانب التي قمنا بإخفائها أو إنكارها، وهي عملية تصفية داخلية للوصول إلى الذات الحقيقية .

بهذا التاويل الذي نراه لرمزية الظل نخلص الى النتائج التالية:

تُظهر رحلة الشاعرة البُعد المأساوي للصراع بين الأمل واليأس. هي مواجهة مستمرة بين القيم التي كانت تسعى لتحقيقها والواقع الذي يشكل تهديدًا لها. هذا الصراع يعكس الصعوبة في العثور على معنى في عالم يبدو خاليًا من المعنى، مما يجعل رحلة الشاعرة رحلة مأساوية في سعيها لإيجاد الإنسانية والأمل في عالم يغرق في اللامعنى

ان العلاقة بين الوقوف على عتبات الله والوقوف على عتبات العبث ليست علاقة تناقض : فاللجوء الى الله هو استدعاء لقوة خفية تنقذ الانسانية من نفسها والبحث عن الظل على عتبات العبث هو دعوة الى مواجهة الذات والتصالح معها كشرط امكان كل بحث عن المعنى . هذا المعنى نصنعه نحن في عالم بلا معنى.

تحمل هذه المقاربة موقفا محددا من الذات العربية المهزومة: ان الخلاص يكمن في مصالحة حقيقية مع التاريخ العربي ومع الجذور الروحانية الايجابية الملهمة فيه(عتبات الله) وفي مصالحة مع الذات والتحرر من العوائق التي تعوق الذات العربية عن الانجاز والفعل(عتبات العبث بحثا عن الظل).

رمزية الوقت القاتل:

يعبر الزمن القاتل عن اللحظات المأساوية المستمرة، بينما تعبر رموز أخرى مثل «أعراس الدم ومرتفعات الأمل الصغير» عن الأمل الذي ينبعث من الألم، مما يعكس الصراع الدائم بين الأمل واليأس. الزمن هنا هو عدو يسرق اللحظات الجميلة ويحول المستقبل إلى كابوس مستمر. هذا التناقض يعزز فهمنا للقصيدة كمزيج من الصراع بين قوى الأمل واليأس.

ليس الزمن في هذه القصيدة مجرد مرور لحظات، بل هو سيف مسلط يسرق منا الأحباء ليتركنا وجها لوجه مع الفراغ. يتلاقى الزمن القاتل مع رموز أخرى مثل «غروب لا ينتهي» و»أفق ملبد بغبار القتلة»، ليعبر عن العنف المستمر والانتظار الدائم لنهاية مأساوية ويتحول الوقت إلى قوة طاغية تُثقل الروح باليأس. كما يتجلى في كلمات كافكا في *»المحاكمة»(6)، حين يمر «الوقت بطيئاً في ظل قسوةٍ لا تطاق، ولا مفر من قبضته القاتلة»

تصرخ الطفلة في قصيدتنا في وجه هذا التدمير الذي يطال الجمال،و ينزع عبق الياسمين من قلوب الناس.

ليس الزمن القاتل هنا في صرخة الطفلة قدرا حتميا يلغي كل امكانية لتحقيق المستقبل. ان صرخة الطفلة ليست الا تشبثا بالامل في مستقبل اكثر اشراقا يصنعه جيل يأبى الا ان يتمرد لينقذ الياسمين من الموت, لينقذه من «الموت الشرقي « الذي ينفي كل امكانية للمستقبل وهو ما وصف بشاعته فتحي المسكيني حين عرض النهاية الماساوية للطفل ايلان الكردي (إنّ الزّمن هي أكذوبة الشّرقيين. إنّ أعمارهم تعابير مجازيّة. تظلّ قلوبهم تنتظر يوم الرّحيل نحو جهة مّا لا يعرفونها بالضرورة..... لم يعد ثمّة ما ينتمي إليه الأطفال في المستقبل. إنّ حاضرنا قاعة انتظار رهيبة لما لا يحدث أبدا: المستقبل»(7)

ترفض طفلة ام الزين بنشيخة رغم قسوة الزمن وبشاعة التوحش المصير المرعب لايلان الكردي.

تتغير المعادلة هنا بين طفلة القصيدة والطفل ايلان: ان الموت الذي تقاومه الطفلة هو «الموت الغربي» :

في زاوية مظلمة من تاريخ البشرية، يتجلى وجه الغرب الاستعماري المتوحش في مشاهد دمار غزة. حيث يتناثر ركام المنازل التي كانت تأوي العائلات، ويختنق الهواء بروائح العفن والدماء. هنا، في شوارع غزة المدمرة، تتبدد الأحلام وتتحطم الأماني تحت وطأة القتل والتدمير الذي يمارسه الكيان الصهيوني بوحشية لا تعرف الرحمة.

بينما ترتفع صرخات الأطفال وتئن النساء تحت الأنقاض، يتجسد الموت الغربي في كل زاوية. مشاهد الجثث الممزقة تروي قصص الألم والفقد، تفضح الوجه الحقيقي للإرهاب الذي يُمارَس بدم بارد. في ظل هذه الفظائع، يبرز الجيل المقاوم(جيل طفلة القصيدة)، ممسكاً بخيوط الأمل وسط الرماد. يتمسك بالصمود والتصدي، متحدياً آلات الدمار الغربية، مصراً على أن تكون غزة رمزاً للحياة رغم كل شيء.

هذه اللوحة السوداوية، تفضح العالم أمام وحشية الاستعمار، وتضع الإنسانية جمعاء أمام مسؤولية أخلاقية للتصدي لهذا الطغيان. فغزة، رغم الجراح، تظل صامدة، تحكي بصمودها قصة شعب لا يعرف الاستسلام، شعب يتمسك بالأمل وسط الدمار، ويرفع راية الحياة فوق أنقاض الموت: يرفض الموت الشرقي ويقاوم مصير «الموت الغربي». تتحول رمزية سؤال الطفلة إلى صرخات مكبوتة تعبر عن شعورجيل بأكمله بالقهر والغضب تجاه التوحش الذي يشهدونه في غزة. الاستعارات التي تستخدمها الشاعرة ليست سوى وسيلة لإبراز حجم الألم والقهر الذي يعتمل في أعماقها.فليست الطفلة سوى ذلك الحلم البريئ الساكن في قلب الشاعرة .و كل رمز في قصيدتها يضج بآثار الغضب، وكل صورة تروي قصة الجرح الذي يسببه التوحش في الأراضي الفلسطينية.

الهوامش

1 – الياس وخيبة الامل في قصائد فدوى طوقان وسيمين بهبهاني لنسرين برزوبي مجلة الكلية الاسلامية الجامعة العدد 57

2 –أرض اليباب» ل ت .س. اليوت الشاعر الانجليزي ترجمة فاضل السلطاني دار المدى 2021

3 – مجلة دير شبيغل حوار مع هيدجر نشر بتاريخ 31 ماي 1976 ترجمة حمودة اسماعيلي نشر بمجلة انفاس من اجل الثقافة والانسان في 6 مارس 2015

4 – (كامو، *أسطورة سيزيف*،ترجمة انيس زكي حسن – منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

5 – في «ذكريات، أحلام، تأملات»، كارل غوستاف يونغ ترجمة الدكتور نجيب الحصادي، دار الشروق القاهرة .2015

6 – (كافكا، *المحاكمة*، ترجمة نبيل حفارالناشر: منشورات تكوين – الكويت / دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع – دمشق / دار الرافدين – بيروت ; الطبعة: الأولى 2018.

7 – أيلان الكردي... أو الهجرة إلى الإنسانية – مجلة الأوان فتحي المسكيني 10 سبتمبر 2015.

الشخصية المتمردة في رواية «حرير الوجد» للكاتب محمد الحيزي

أ. عبد الدائم العمري

"حرير الوجد " الرواية الفائزة بجائزة المدينة لسنة 2003 ، للروائي محمد الحيزي ، صادرة عن دار المدينة للنشر - سنة 2004 .

لقد خصص محمد الحيزي في روايته حرير الوجد فصلا مثيرا للدهشة و الغرابة ، ليس من باب ثورة الشخصية وانفرادها بالسرد وطرد الراوي أو تغييبه وليس من باب موت الراوي أو الكاتب أو التغريب كما أسس له بريخت في المسرح التجريبي بإسقاط الجدار الرابع ووهم الحقيقة ولكنه أمر موغل في التجريب بلغت فيه الشخصيات حالة من الوعي ليس فقط بعالم الرواية وموقعها منه ولكنه وعي مفارق يجعلها تطرح أسئلة الوجود و الكيان أسئلة انطولوجية ANTHOLOGIQUE بامتياز" إذ يقول قاسم في فصل المحاكمة " إنهم يحيطون بنا يترصدوننا دائما كظلينا(...) يعروننا متى شاؤوا (...) إنهم يرومون بنا مقاصد عدة ويوحون بها إلينا(...) يسخرون منا وقد يدهشون لفعلنا أحيانا (حرير الوجد: 173) فتجيبه ليلى الوافي " تقصد ذلك الراوي المخبول الذي زارك في سجنك وحط رسالتي بين يديك ثم سطا على كل ما حبرت في ذلك القبو بعد عودتك من العاصمة خائبا " (حرير الوجد: (174 ، في اشارة الى نهاية رواية " هذا الدون ..." لنفس الكاتب فهي تعي إنها كائنات ورقية ابتدعها كاتب بعينة لا تجهل هويته وكساها لحما ودما ونفث فيها روحا تحب وتكره وتحزن وتفرح وصنع لها أقدارا لم تُستشر فيها ، باختصار إنسان ابتدعها كي يتلهى بها ويحملها ما لا طاقة لها به يتركها وهي في أمس الحاجة إليه ، ثم يعود إليها ساخرا عابثا ليبعثها في تجارب جديدة قاسية مريرة يقول قاسم متذمرا " أكاد أجن وهو يعجنني ثم يتخلى علي لحظة حاجتي إليه "(حرير الوجد :174) .هذا باختصار مضمون الحوار الذي دار بين قاسم عبد الرحمان العامري وليلى الوافي عندما انتبه فجأة لهذا السارق الذي التقاه في خمارة من خمارات المدينة وإربك أيامه وتسلل إلى القبو ليأخذ دفاتره ويهتك أسراره كما يشير إلى هذه العيون الكثيرة التي تراقبهما حيثما حلا وتخترق أسرارهما بل تتسلل إلى غرفة نومهما وتمرق بينهما ولعله لا يقصد الراوي أو الكاتب وإنما يقصد القارئ المتلهف لاختراق الجدران و الاستمتاع بمساسي الآخرين .

لقد تحول الحوار إلى محاكمة للكاتب وليس أي كاتب انه الروائي محمد الحيزي الشخص الحقيقي الذي يحمل هوية في دفاتر الحالة المدنية كما يعرفه جرار جنات في عقد السيرة الذاتية LE PACTE AUTOBIOGRAPHIQUE دون أن ينزل ذلك الرواية في جنس السيرة الذاتية لان الشخصيات ورقية بامتياز ولكنها تعرف عن الكاتب الكثير فقاسم عبد الرحمان العامري تتجاوز معرفته فضاء الروايات الثلاث (طفل ذلك القاع ، هذا الدون ..، حرير الوجد) التي خصه بها محمد الحيزي لتنفتح على مدونته كاملة يعرضها حسب ترتيبها وينتقدها انتقاد العالم بمكوناتها موجها للكاتب نقدا لاذعا في بناء شخصياتها ومساراتهم ويسخر من الكاتب وهو يقارن رواياته بما كتبه غارسيا ماركيز وغيره ويسخر من نواياه في كتابة الرواية واختيار مدينة الحمامات فضاء يحتضن شخصياتها تزلفا للجنة جائزة مدينة الحمامات حتى يحصل على الجائزة ، إذ يقول " هل أدهش بروايته المبتذلة (الباب الخلفي لمدينة النسيان و الدهشة) ..هل استطاع أن يلفت إليه الانتباه برواية مسافات الغبار ؟ ما العجيب في بطله عزيز وناس مجرد كائن خائب فقد نصفه مع ...في ذاكرة الملح..." (حرير الوجد :177) ثم يضيف بعد ان تساءل عن مقاصده من كتابة الرواية قائلا :" لم يجد من بد إلا مصافحة

محمد الحيزي

مدينة الحمامات لأنه يعشقها دون نوايا لذلك كتب عنها . نقل شحنة وجده من مدينته إليها "(حرير الوجد :178) بما يذكرنا بمقدمة الكاتب نفسه في بداية الرواية عندما يقول ؛" ها انا ألج هذه المدينة أودعها أحبتي الذين أشبعتهم هتكا "(حرير الوجد : 5) وهكذا يبلغ وعي الشخصية منتهاه إذ تمرق من عالمها المتخيل الورقي إلى عالم الكاتب الواقعي المتعالي ثم يثور عليه رافضا ما يعمد إليه في كل مرة اذ يربك أيامه ويدخله في تجارب جديدة ومرهقة فيثير حفيظة ليلى الوافي لتندفع منافحة عن الكاتب ذاته وتظهر في الرواية وهي شخصية ورقية بامتياز مطلعة ليس على واقع الكاتب فقط وإنما على نواياه الحسنة إذ جمعه بها عندما زاره في سجنه وقدم له رسالتها وان تعرية الشخصية ليست إلا تطهيرا لها من أدران الماضي على شاكلة التداعي الحر وإعادة بناء تاريخ الشخصية بأوجاعه وآلامه بناء صحيحا حتى تتخلص من عقدها تماما كما يفعله المحلل النفسي في جلسات العلاج كما أسس لها فرويد في كتابه خمسة دروس في التحليل النفسي وتعبر عن مدى إعجابها به حتى تثير غيرة قاسم وخوفه أن يستأثر بها الكاتب دونه إذ يقول :"

- صرت تدافعين عنه ؟ هل تورطت فيه ؟
- مغامرته معي لم تكتمل بعد ؟
- تتوقعين تخليه عني والاكتفاء بك ؟ (حرير الوجد:176 (، ومن الطريف أن مخاوف قاسم تتحقق فعلا ، اذ يتخلى الكاتب عنه في رواية " نشيج السهو " ، ويكتفي بليلى الوافي وقد اصبحت سلوى الشاهد تخوض مغامرة جديدة وقد تحررت من قيود كثيرة.

ثم يعدل قاسم من مواقفه تجاهه الكاتب ويبين أن الكتابة عند محمد الحيزي ليست تزلفا ولا وفق الطلب SUR DEMENDE وإنما هي نتاج هاجس ورغبة في الاحتفاء بالمدينة التي طالما أحبها وأحب أن يزورها كلما مر في طريقه إلى العاصمة.

وهذه الطريقة التي يتحول فيها الكاتب إلى موضوع لشخوصه التي ابتدعها لم أجد لها في ما يحضرني شبها إلا ما شاع في شعر عمر بن ربيعة من تغزل النساء به اذ يقول :

قالت الصغرى وقد تيمتها. قد عرفناه وهل يخفى القمر .

ولا أظن أن محمد الحيزي يروم التباهي لان ما تعرض له من انتقاد لاذع في الحوار بين العاشقين يتحول إلى محاكمة لفعل الكتابة ونوايا الكاتب وهنا يبلغ تمرد الشخصية منتهاه وقد مر بأطوار عديدة من الاستئثار بالسرد وطرد أعوان الكاتب ومنهم الراوي خاصة والسخرية من القارئ المتحفز للأسرار والوعي بكيانه الورقي وانه ليس ألا نزوة من نزوات الكاتب يعلن انه شخص حقيقي من لحم ودم وروح إذ يقول " نحن أحياء فعلا ولسنا من صنعه .... بلغنا مدينة الحمامات أخيرا ، ومحونا معا هذا الراوي ، ما دمنا حقيقة من لحم ودم ولسنا من صنع وهمه كما توقعت ليلى للحظة عابرة " (حرير الوجد :176 (وان لا سلطان عليه وانه متعال على وجود الكاتب لأنه لا يخضع لمفهومي الزمان و المكان وجود مغاير لن يبلغه الكاتب على كل حال. أما السؤال المسكوت عنه فهو : من اوجد الآخر ؟ هل هو هذا الكاتب العابث المتلهي الذي ابتدع شخصية ورقية لكي يؤثث "غابة الرموز " التي ابتدعها أيضا ، آم إن الشخصية هي التي مكنت له في الأرض عندما اكتمل خلقها ؟ يبدو السؤال الأول من البداهة بحيث يصبح طرحه من باب العبث فضلا عن الإجابة عنه، أما السؤال الثاني فمن الغرابة بمكان ، إذ كيف للمخلوق أن يصبح علامة على الخالق ، ولا غرابة فابو هريرة و غيلان وميمونة شخصيات قصصية فاقت شهرتها شهرة الكاتب وكذلك دون كيشوت و عطيل بل إن بعض الشخصيات الورقية لم تعد في حاجة إلى كاتب بعينه بل أصبحت تستمد كيانها من ذاتها مثل شهرزاد وشهرياد وكذلك السندباد.

ثم يطرح قاسم بعد ذلك أسئلة حارقة : أشدها إيلاما قوله " أ كان عليه أن يفعل بي ذلك بعد أن أَنِسْتُ لصحبته ؟!"(حرير الوجد :180 (ولكنه يستدرك قائلا: " دائما ما توقع الخمرة شاربها في مزالق كان يرهبها "(حرير الوجد :180 (فيتهم الخمرة زورا وبهتانا بما يبين أن الشخصية تتملق الكاتب وقد اكتسبت بعض الصفات البشرية أو إنها لا تنسى في ثورة غضبها وشائج " العشرة " التي تشكلت بينها وبين الكاتب عبر الزمن ،ثم تتوالى أسئلة قاسم أكثر عمقا ،بأي حق يبدع الإنسان العابث شخصيات يلهو بها حينا ثم يتخلى عنها وهي في اشد الحاجة إليه ؟هل يحق له أن يدفعها في مسارات خطها مسبقا ثم يسخر من مالاتها ؟ هل يحق له إن يهتك أسرارها وكل الأعراف و الدساتير تصر على حماية المعطيات الشخصية ؟ ما هذه الصادية المقيتة التي تجملها الكتابة عندما يصور عذاباتها وآلامها ؟ ولعل أسئلة الشخصية في الرواية تحيل إلى مباحث القدرية وما اختلفت فيه الفرق الإسلامية ولن أزيد على ذلك حتى لا احمل النص أكثر مما يحتمل واتهم بالتفتيش في مقالات الشخصيات في الرواية طبعا وانأ اعلم أن الدستور المعلق أقر حرية الضمير LA LIBERTÉ DU FOI .

ويتحول الفصل في النهاية إلى جلد للذات في علاقة الراوي بما يبتدعه من الشخصيات وما يخطه لها من مصائر قد يكون نقطة تحول في مفهوم الكتابة الروائية عند محمد الحيزي تظهر بوادره في العطف على شخصية قاسم عبد الرحمان العامري فهيأ له رحلة سياحية في أجمل المدن الساحلية رفقة من أحبها وهام بها طفلا وشابا وكهلا ليعوض عليه الآلام و الأوجاع التي هيأها له في الروايتين السابقتين وفي جانب كبير من حرير الوجد ويتأكد هذا التطور في علاقة الحيزي بشخصياته من خلال روايته الأخيرة " نشيج السهو " إذ قل فيها منسوب الألم وبدت الشخصيات رغم اغترابها أكثر امتلاء ومصائرها تؤول إلى نهايات أفضل على الأقل من وجهة نظر الشخصية دون الاهتمام بمنطق الأحداث أو بما ينتظره القارئ.

قراءة في ديوان «وعد الحبّ دين» للشّاعرة هيفاء الزرّاد

فتحي مديمغ - شّاعر

«للحُلمِ بقيَّــةٌ»

هذهِ المجموعةُ الشِّعريَّة البكر التي تُصدِرُها الشَّاعرة « هيفاء الزّرّاد « «وعدُ الحبّ دين»...

في ديوانها هذا الذي بينَ أيدينا نجدُ هنالكَ تفاوُتًا وتفوُّقًا إبداعيًّا فنيًّا مُمَيَّزًا ناجمًا عن تجربةٍ حياتيّةً حَوّلتها الشّاعرةُ إلى نبضاتِ قلْبٍ مُفعمٍ بالإيجابيّةِ والإيحائيّة الواقعيّةِ في مُعْظمِ معانِي المفرداتِ.

والجديرُ بالذّكر أنَّ الشَّاعرةَ «هيفاء الزّرّاد» تقبَعُ بين خفايا السّطورِ فتُعْطي للمعاني حياةً ممّا ألهَمَ المَخطوطَ دورا كبيرا و فعَّالا في حَراكِ الحُروف التي خطّتْ المعاني و أضافتْ انسيابِيّة أدبيَّةً في تفجيرِ طاقاتِها و مَوهبتِها الشِّعريَّة وفي صقلِ وتطويرِ أدواتِها الكتابيَّة التّعبيريَّة وَرَهَافةِ حِسِّها الفنِّي المُرهَف ومَلَكتِها الشِّعريَّةِ إلى مسافاتٍ وَ مَدَاراتٍ و أبْعادٍ أوسعَ.

(صفحة 14 / سطر 13 : قصيد «رجل الأحلام» :

يا ليتني أعثر على جوابٍ واحدٍ
يعيدُ إليّ السّكينة...)

و «هيفاءالزّرّاد» تتحلَّى بثقافتِها الواسعةِ المُستمرَّة ممّا عملَ على شحْنِ طاقاتِها وتطويرِ وتوسيع آفاقِها الشِّعريَّةِ الإبداعيَّةِ.

إنَّ قصائِدَ هذا الدّيوان لامسَت التّجديد، إذ نجدُ عندَ شاعرتنا الصُّورَ الشِّعريَّةَ الجميلةَ المُبْتكرةَ و الخَيالَ الواسعَ و الأسلوبَ الرَّشيقَ الشَّائِق السَّريعَ المُعَبِّرَ و المُباشرَ أحيانًا.

(صفحة 19 / سطر 20 : قصيد «الحياة تفرّق بيننا» :

كم تمنّيتُ أن تداعبي نجاحي بورودِك...)

فهي تستعملُ الكثيرَ منَ الرُّموزِ المُسْتَحْدثةِ للتّوظيفِ الدَّلالي للمعاني والأهدافِ و المواضيعِ التي تُريدُهَا و تَبتَغِيها، فتجعلها هدَفًا و قد وُفِّقَتْ «هيفاء الزّرّاد» إلى حدٍّ بعيدٍ عبر ديوانِها البكر «وعدُ الحبّ دين» في جعلِ معاني حروفها تصطفّ وراء موسيقى داخليَّةٍ أخّاذةٍ، فهي تنتقلُ في قصائِدِها بشكل مُلائِمٍ ومُتناغِم، ونجدُ بعضَ المقاطع في العديد من قصائِدِها قد جاءَتْ مَوزونَةً مُلتزمةً بنمطٍ مُعَيَّنٍ منَ الإيقاع...

(صفحة 39 / سطر 15 : قصيد «حبيبك إلى الأبد» :

هذه المرّة يهزمني واقعك
و يغرّر بي جنونك
أصبحت أعيش من خلالك
فأحتسي على الرّيق جرعات التّفاؤل من نبرات صوتك
و أحقن في دمي مرحَ تصرّفاتِك...)

فهي تقُول الحقيقةَ بطريقةٍ غيرِ مباشِرةٍ، و تجعل من الغزَلَ سبيلاً للتّواصل و شُعُورا بعَالَمٍ سابقٍ و مُستقبلٍ، و طريقًا للوجود... وكشفتْ عَوالمَ الخُصوصيّةِ للعَامّةَ فعرّتْ خُصوصيَّةَ المُتلقّي و أبَانَتْ عمُوميّةَ الباثِّ... بأن أضافت شاعرتُنا النّثْرَ المَوزُونَ ممّا أضفى على شِعْرها صِبغةً جماليَّةً أخرى، لأنَّ

الوزنَ الخارجيّ (الخليليّ) يُحَلِّي وَ يُجَمِّلُ القَصيدةَ شَكليًّا و ذَوقيًّا ويكونُ لكلماتِ القصيدةِ ومُوسيقاها وقْعًا جميلاً أخَّاذًا في نفسِيَّةِ و وجْدانِ المُستمعِ المُتذَوِّق للشِّعرِ...

(صفحة 59 / سطر 1 : قصيد «هل نكون أصدقاء؟» :

إن لم تكن حبيبي
فهل نكون أصدقاء؟
المهمّ أن يجمعَنا شيء ما...)

هي تكتبُ بصدقٍ و حرارةٍ و بحِسٍّ عاطفيٍّ جيَّاشٍ... وهذا ما يلمسَهُ القارئُ عندما يقرأ شِعرَها من خلال عُمق التّجربةِ الشَّخصيَّة و الذّاتيَّة و التّجارب الحياتيَّة فنلمسُ الإنسانَةَ المُتَروِّيَةَ بالمُثُلِ و القِيمِ و المبادئ السَّاميةِ و الالتزام بنُظُمِ الحياةِ العَلائقيّةِ. وفي شِعرها نجدُ طابعَ و روحَ الأمل و التّفاؤُل في مَحطّاتٍ متعدّدة الملامح ممّا يجعلُ أشعارَها تُغدق على الحياة حياةً أخرى...

(صفحة 73 / سطر 14 : قصيد «هل تحبّها؟» :

تصنع من معاناتي فرحا...
تخلق من قلب أزماني
كمّا هائلا من الإيجابيّات...
فتزيّن حتّى خيباتي
تزرع في ثنايا الأشواك...
ورودا من الصّمود و حدائق من الآمال...)

في شعرها... لا زيفٌ و لا تمثيلٌ مُصطنعٌ... فتجسّدَت القصائدُ في أسمى أشكال الفعل الإنساني النّبيل... فشِعْرُها الغزليُّ مُتَسَرْبِلٌ بالكثير من العباراتِ والمُفـردات الجديدة و بالصّور الشّعريَّةِ المُبتَكَرَة... بل هي تُعْمِلُ موْهبتَها و تختارُ المعاني الجميلةَ والإشعاراتِ الجديدةَ التي تتلاءَمُ و تتناغمُ مع روحها و مع مُنطَلق التّجْديد و الحداثة.

و في أشعارها الغزليَّةِ لا تكتفي فقط بوصْف المحبوب و ببثّ لوَاعِجِه وشوقه... بل نجدُ في شِعْرها البُعدَ الإنسانيّ والفلسفيّ للحياةِ و الوجود و الكثيرَ من العناصر و الأطياف الجماليَّة و الفنّيّة والتَّألُّق و الإبداع و الأصالة.

(صفحة 65 / سطر 11 : قصيد «العمر لحظة» :

و لكنّك في الكذب تبدو أحلى
أتصدّق بأنّني أحببتك أكثر
و أنت تحاول أن تتجاهل حبّي و لم تقدر...)

ففَنُّ تصفِيفِ الكلماتِ و العبارات مُجدِّدٌ... إذ أنّها تعرفُ جيِّدًا كيفَ تُوظِّفُ المفرداتِ و العباراتِ و المصطلحاتِ في مكانِها و مَوْقعها الصّحيح، فلديها مُعجمٌ شعريّ حافلٌ بالصُّور و الجُمل والعباراتِ الجديدةِ، و بالصّور الجميلةِ المُتْرَعةِ بروح الابتكار و التّجديد.

(صفحة 145 / سطر 13 : قصيد «الفستان الأحمر» :

عش الدّور و ساعدني
أن أكذبَ على نفسي
أريد أن يسجَّلَ صوتك في أذنيّ
كي أسمعه عندما
ينزل السّتار و تنتهي المسرحيّة...)

و خلاصةُ البوْح، نجد شاعرةً لها القدرةُ على كتابة القصيدة الغائرةِ من حيث المعنى و المبنَى و المغنى... فتُنَوّعُ أغراضها وتوصلُ فيه صوتَها و ترسمُ لنفسها هُويّةً جديدةً و تمارس الخروجَ باللّغة عن أصل مَجْراها بما يُحلّق بنا بعيدا عن الفردانيّة المُقيّدة في مكانها و زمانها فتنفتح المفردة على تآويلَ عديدةٍ فيضمنُ النّصّ استمْراريتَه في الزّمن ليكون متجدّدا مع كلّ قراءة و يستأنف مِيلادَه و لذلك لا ينقادُ القارىء إلى روتين الفهم الأوّليّ في ديوان أعطى للشّعر مُيولاتٍ قَصَصيّة ليخرج به عن المألوفِ و يُؤسّس... إن صحّ القول... لـــــ «شعْر القصّة»... فإذا كان الأسلوبُ طريقةَ المُبدع في التّعبير عن أفكاره و أحاسيسه وانفعالاته، فإنّ الأسلوبيّة طريقة المُتلقّـي في قراءة النّصوص و تـأويلها...

أتمنَّى للشّاعرة الشَّابّةِ المبدعةِ «هيفاء الزّرّاد» المزيدَ من العطاءِ و الثّراء الشّعري و الأدبيّ بإصدارِ دواوينَ شعريّةٍ أخرى جديدة و مُميّزة. و أنا على ثقةٍ وقناعةٍ تامّةٍ أنَّهُ في فتراتٍ قريبةٍ إذا تابعَت مِشوارَها و مسيرتَها الأدبيَّةَ و عملَت على تطوير أدواتِها الشّعريَّةِ و صقل موهبتها و شحْذِها وتوسيعِ عوالمِها و آفاقِها الفنّيَّةِ ستتحوّل إلى روائيّة و قاصّة نَظرا و أنّ سلاسة المعاني في ديوانِها «وعدُ الحبّ دين» تُفضي إلى ترابطِ الأحداثِ و تسَلْسُلِها... لأنّها تملكُ جميعَ الأدواتِ والعناصرَ و الأسُسَ الفنّيَّةَ و الإبداعيّةَ و لديها مَلَكةٌ و طاقةٌ شعريّة مُميَّزةٌ...

وكما تقول الشّاعرة «بسمة الحذيري» : الأدب عموما... إنسانيّ بدرجة أولى...

تراتيل عزاء في مرايا الوجد وأنسنة الرمز

قراءة نقدية في المجموعة القصصية «بائعة الياسمين» للكاتبة والشاعرة د. هالة مهدي

مجدي شلبي

تتجلى قصص هذه المجموعة كلوحات زاخرة بالرمزية والتعبير العاطفي العميق، ويشير العنوان «بائعة الياسمين» إلى حالة من الوجد النفسي والحنين الداخلي، الذي تنعكس تفاصيله في مرايا السرد، حيث تتردد أصداء الحزن والألم كتراتيل خافتة في خلفية النصوص، وهذه التراتيل لا تعبر فقط عن الفقدان أو الأسى، بل تأخذ طابعًا روحانيًا يعيد صياغة الحزن؛ كجزء من رحلة الإنسان نحو الفهم، وكيفية تعامله مع واقعه.

فكل قصة تفتح نافذة إلى قلب من القلوب المضطربة، وتعكس في الوقت نفسه شعورا بالوحدة والعزلة، مما يجعل القارئ يتأمل فيما وراء الظاهر.

وعندما نقول «مرايا الوجد»، فإننا نستحضر تلك اللحظات التي تُحاكي فيها القصص أعماق النفس البشرية، كاشفةً عن بواطن الألم والفرح، الحزن والأمل، عبر صور فنية تختبئ خلفها معانٍ ودلالات لا تُفهم إلا بتأمل عميق.

أما المقصود بـ «أنسنة الرمز» فهو تحول الرموز المجردة إلى عناصر حية تتفاعل مع محيطها، وتعبر عن الذات الإنسانية بكل ما تحمله من تعقيدات، وفي هذه المجموعة، يأخذ كل رمز دوره في رسم ملامح الشخصيات وصياغة تجاربها، وبهذا الربط العميق بين الوجد الداخلي وأنسنة الرمز؛ تفتح القصص أبوابها أمام القارئ، ليدخل في عوالم من السرد الغني بالتأملات والرموز، التي تتشابك لتكوّن فسيفساء فريدة، تأخذنا في رحلة عبر أحاسيس إنسانية تتجاوز حدود الكلمات.

ومن هنا تبدأ قراءتي النقدية والتحليلية في كل قصة على حدة، والغوص في أعماق الرموز والمشاعر التي تعكسها مرايا السرد، لأسبر أغوار الشخصيات وألقي الضوء على جوهر المعاني المستترة.

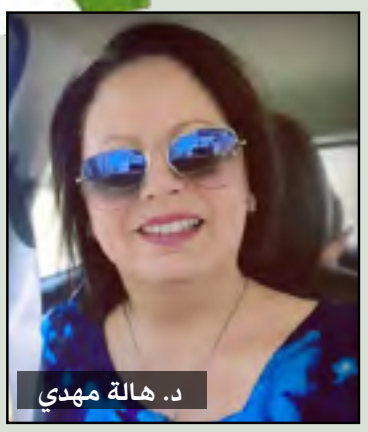
د. هالة مهدي

جماليات السرد في الرمز والوجد

في عالم الأدب القصصي، تلعب تجليات السرد دورًا محوريًا في تشكيل التجربة القرائية، وذلك من خلال إلقاء الضوء على أصداء الرموز وعمق الوجدان، واكتشاف أغوار العلاقة بين الرمز وجماليات السرد، حيث تتناغم الرموز المعقدة مع الأبعاد العاطفية، والتأملات الوجدانية والنفسية للشخصيات؛ لتخلق تجربة سردية متميزة؛ على نحو ما توضحه قصص المجموعة، التي اخترت من بينها خمسة عشر مثالا:

1ـــ جماليات السرد في قصة (بين اليقظة والحلم): تتداخل في هذه القصة عناصر الواقع والخيال، مما يعكس تناقضات الوعي البشري بين ما يعيشه الإنسان، وما يحلم به، والسرد في هذه القصة يعتمد على الانتقالات السريعة بين مشاهد اليقظة والحلم، وهو ما يعزز شعور القارئ بالتردد بين الواقع والوهم.

وتتجلى «أنسنة الرمز» في تفاعل الشخصيات مع عناصر الطبيعة مثل (الشمس والقمر)، حيث تأخذ هذه الكيانات صفات إنسانية؛ تعبر من خلالها عن آراء وأفكار تتعلق بحياة الإنسان اليومية، والشاهد على ذلك: «في الليل سأل القمر... أجاب القمر باستغراب...» (ص 7)، القصة هنا أنسنت القمر ليكون مصدرًا للحكمة والضوء رغم استغراب الشخصية من طريقة تفاعله معه.

والشاهد المعبر عن «مرايا الوجد»: «لم يعرف بأن الحب إذا بقي طيّ الصدور يكون مآله ظلمة القبور.» (ص 8)؛ فهذه العبارة مرآة تعكس الحالة الوجدانية للشخصية والصراع الداخلي بين مشاعره المكبوتة وواقعه الذي لا يستطيع التكيف معه، وتوضح عدم قدرته على التعبير عن مشاعره العاطفية، مما يؤدي إلى نهايات مؤلمة وحزينة.

2ـــ جماليات السرد في قصة (حوار مع الأموات): القصة تعتمد على فكرة الحوار مع الموتى، وهو ما يتيح للشخصية الرئيسية استرجاع ذكريات وتصورات حياتية في ضوء مواجهتها للموت، واستخدام الحوارات الداخلية يعزز من التوتر النفسي للشخصية.

وتتجلى «أنسنة الرمز» في الحوار الذي جرى بين البطل و(صوت الميت) من داخل القبر، والشاهد على ذلك: عندما سأله الميت «لماذا تأتي إذن إلى المقبرة كلّ يوم مادام لك في الحياة من يحلو البقاء بجانبه؟» (ص 12)، هنا نجد أن الموتى يمثلون ضميرًا حيًا يوقظ الشخصية الرئيسية من سباتها، مما يعكس تحولًا في رمزية المقبرة من مكان للموت، إلى مكان للحياة الروحية والاستنارة.

والشاهد المعبر عن مرايا الوجد: « جلس قبالة القبر وبدأ يحدّث الميت: كيف كانت وفاتك؟ أجاب صوت من داخل القبر.» (ص 11)؛ فالحوار مع الأموات يمثل مرآة لوجد الشخصية العميق، وشعورها بالانتماء إلى عوالم غيبية، وماضٍ لم يغادرها بعد، مما يعكس حالة تأمل وتواصل مع الماضي.

3ـــ جماليات السرد في قصة (القط والكلاب): تعتمد القصة هنا على تجسيد الصراع بين القطط والكلاب، كرمز للصراعات اليومية التي يمر بها الإنسان.

وتتجلى «أنسنة الرمز» في تحول الحيوانات في القصة إلى كائنات تعكس مشاعر وأفكار إنسانية، كالخوف والرغبة في الانتصار، والشاهد على ذلك: « هربت الكلاب وبقي القط يستجمع طاقته لمواصلة سيره... وجد جحرا كبيرا بالقرب من مكانه فاحتمى به منتظرا..» (ص 19)، وهذا المشهد يظهر كيف أنسنت القصة (القط)، ليكون عاكسًا للحذر والتخطيط البشري.

والشاهد المعبر عن «مرايا الوجد»: «تعالى صوت ذلك القط مرة أخرى لكنه بدا واضحا هذه المرة وكأنه يستعدّ لشن حرب شرسة ضدّ الكلاب.» (ص 22)، والقط هنا يمثل مرآة لحالة وجدانية؛ تعكس الثقة بالنفس مقابل الخوف الكامن من الآخرين (الكلاب)، مما يعكس صراعاً داخلياً بين القوة والخوف.

4ـــ جماليات السرد في قصة (حديث الأعمى والأعرج والأبرص): تبرز جماليات السرد في الحوار الثلاثي بين شخصيات تمثل حالات إنسانية مختلفة، مما يجعل القارئ يتأمل في التنوع البشري ومعاناته.

وتظهر «أنسنة الرمز» في الرموز الثلاثة (الأعمى، الأعرج، الأبرص)، والتي لا تُختزل في المرض، بل تعبر عن مشاعر وأفكار أعمق تتعلق بالوجود الإنساني، والشاهد على ذلك؛ من قول الأعمى: «أما أنا فما أبصرت يوما، لكني كنت أرى الجمال في كلّ مكان أسير فيه معكما.» (ص 26)، وهذا المقطع يعبر عن أنسنة حالة العمى من مجرد فقدان البصر إلى رؤية أعمق بالحواس الروحية.

والشاهد المعبر عن «مرايا الوجد»: محاولة كل منهم أن يثبت للآخرين أن آلامه هي الأكبر، وتنافسهم في سرد حكاياتهم المأساوية، وهذا الحديث هو مرآة لوجدهم المشترك، حيث يعكس كل منهم إحساسه بالعجز والمعاناة.

5ـــ جماليات السرد في قصة (تكنولوجيا): يعتمد السرد هنا على الحوارات الداخلية والخارجية، وانتقال السرد بين الواقع الافتراضي والحياة اليومية بشكل سلس.

وتتجلى «أنسنة الرمز» في ظهور (التكنولوجيا) في القصة ككائن حي؛ يتدخل في تشكيل حياة البشر، مما يضفي عليها طابعًا إنسانيًا، والشاهد على ذلك: «لمح الهاتف الذي بيد الشاب فإذا به منغمس في الحديث مع أطراف عدة.» (ص 28)، وهذه الجملة تُظهر كيف تحولت التكنولوجيا إلى كيان حي يؤثر في الإنسان، الذي يتفاعل ويتعامل معه.

والشاهد المعبر عن «مرايا الوجد»: «نهض من جانبها يلعن التكنولوجيا ومخترعيها، فالكلّ صار منغمسا في عالم خيالي ناسيا أنّ لواقعه عليه حق..» (ص 29)؛ فالتكنولوجيا هنا هي مرآة لعزلة الشخصيات عن بعضها، وفقدان التواصل الحقيقي، مما يعكس وجع الغربة والانفصال عن الواقع الاجتماعي.

6ـــ جماليات السرد في قصة (بائعة الياسمين): اعتمدت الكاتبة هنا على سرد قصصي ذو طابع شعري ـــ ربما لكونها في الأصل شاعرة ـــ حيث جمعت بين وصف الطبيعة ومشاعر الشخصية الرئيسية بحرفية وإبداع.

قراءة في كتاب

وتتجلى «أنسنة الرمز» في (الياسمين)، الذي يشكل جزءًا لا يتجزأ من حياة البطلة ويمثل ارتباطها بأمها وذكرياتها؛ فالرمز يتجاوز كونه مجرد زهرة ليصبح حاملاً لمشاعر وأحاسيس البطلة، والشاهد على ذلك:»بقيت أنا بائعة الياسمين أنثر صور الياسمين على الورق علّني أجد فيها رائحة أمي.» (ص 39).

والشاهد المعبر عن «مرآة الوجد»: «توفيت والدتي، وقبل دفنها جمعت الياسمين والفل الموجودين في حديقة بيتنا مع أبناء أخوتي، ونثرته على جسدها الطهور، ثم ودعتها الوداع الأخير ليكون ذاك آخر عهدي بالياسمين.» (ص 39)، والوجد هنا يتمثل في الفقد العميق والشوق للأم الراحلة، مما يجعل البطلة تشعر بالغربة عن عالمها دون أمها.

تراتيل عزاء: فانتازيا الموت على مسرح الحياة

هذا العنوان «تراتيل عزاء» يعبر بعمق عن الجو العام للمجموعة القصصية، حيث يشكل الموت ــ المادي أو المعنوي ــ محوراً بارزاً ومسيطراً على أحداث وحوارات الشخصيات، والموت هنا ليس مجرد نهاية محتومة، بل هو عنصر يمارس سلطته على الحاضر والماضي، ويتسرب إلى تفاصيل الحياة اليومية، ويتجلى في مشاعر الحزن والفقدان، التي تلتف حول الشخصيات، وفي كل قصة تظهر هذه التراتيل كمرايا لعوالم الشخصيات المليئة بالأسى والذكريات، حيث تحاكي الكلمات إيقاع الحياة والموت في تناسق عجيب، معبرة عن الوجدان الإنساني في مواجهة الفناء.

هذه التراتيل ليست مجرد مرثيات، بل هي دعوة للتأمل في معنى الحياة والموت، ومحاولة لفهم كيف يمكن أن يكون العزاء؛ جزءاً من رحلة البحث عن معنى أعمق للوجود.

مع وجوب الإشارة إلى الجانب الفنتازي في قصص المجموعة، وعلاقته بالعنصر المسيطر عليها (الموت)؛ حيث بدت قصة (حوار مع الأموات) على سبيل المثال، نموذجا مدهشا ومعبرا عن تلك الفنتازيا الرائعة؛ من خلال ذلك التفاعل مع الموتى بطرق غير ممكنة في الواقع؛ مما عزز من قدرة الكاتبة على التعبير عن القضايا الإنسانية الكبرى ــ في مجموعتها القصصية ــ بطرق إبداعية فريدة.

خلاصة القراءة النقدية

إن هذا العمل الأدبي يقدم لنا رؤية متكاملة لعمق التجربة الإنسانية، من خلال تصدير الرموز إلى مستوى الإحساس المباشر، حيث يصبح كل رمز تجسيدًا لحالة وجدانية وثقافية، تعكس تباين جاذبية الظاهر وتعقيد الباطن.

ولهذا أرى أن «بائعة الياسمين» ليست مجرد مجموعة قصصية، بل هي رحلة في متاهات النفس البشرية، تجسد ببلاغة شديدة ما تعنيه «مرايا الوجد» و»أنسنة الرموز» في تشكيل معانٍ جديدة.

إنها دعوة للمزيد من التأمل، كما أنها شهادة على براعة الكاتبة د. هالة مهدي في صياغة الأدب، الذي يتحدى الزمن، ويجعل من كل قراءة؛ رحلة اكتشاف جديدة.

(*) عضو النقابة العامة لاتحاد كتاب مصر

قراءة في كتاب

ماذا أكتب للطفل اليافع اليوم وكيف أكتب ؟

نجاة نوّار

نور الدين بن بوبكر

"عفوا أيها الجبل" الحلقة الثانية لرواية " حسّان وحارس الكنز" للكاتب الاستاذ نور الدين بن بوبكر رواية أجابت عن هذين السؤالين الضروريين برأيي.

قراءة سأقارب فيها الملامح او الخصوصيات الفنّية والمضمونية لهذا الصنف من الكتابة. وان كانت هذه الخاصيات قد تحاذت بل وتشابكت لأجل تحقيق مُرام الكاتب فهي تآلفت لتشكل النسيج الروائي. نسيج نفكك لُحمته و نفصّل ألوانه هنا إجرائيا لأجل الدرس.

1 / الخصوصيات المضمونية :

الحكاية او مادة السرد؛

انتقى الكاتب بعناية موضوعا بل مواضيع متصلة بالواقع وهي « استغلال ثروة من أهمّ ثروات البلاد « وهي الفسفاط فبعد أن عرض في الجزء الاول من الرواية إلى مواطن توفره و إنتاجه وطريقة اشتغال العمال بالداموس حين سافر حسّان صحبة الخفاش حارس الداموس عبر الزمن إلى الماضي ليكشف كيفية تكونه. يسافر في هذا الجزء مع الطائر حارس جبل الفوسفاط» عبر الزمن إلى المستقبل ليكشف قيمة هذه المادة واهميتها في مختلف المجالات ..ولماذا تسعى الدول وتتنافس في الحصول عليها. يطرح تساؤلات ترهق ذهن الطفل ومن ورائها يلفت نظر للقارئ إلى ضرورة حماية ثروات البلاد التي استنزفتها دول اجنبية.

بالنصّ قيم كثيرة رام الكاتب إحياءها بنفس وعقل الطفل اليافع اليوم في تونس ومنها واجب الأبناء نحو الآباء التي تبرز في ردّ الجميل إليهما والاعتراف بفضلهما والاجتهاد في الدراسة لنيل رضاهما .فيجتهد «حسان» بطل القصة الرئيسية ليكون محل فخر والديه و تجتهد «شهد» و تنبغ في دراستها لكنها ترفض الابتعاد عن والدها وتقرّ بفضله عليها وحاجتها المتواصلة الى أبوته الجينية والمعرفية فترفض عرضا مغريا مقابل المكوث برفقة والدها. كما سعى» تاج الزمان» في الحكاية المضمنة لإنقاذ جدّه وتحرير والدته من شرّ سحر ساحر مشعوذ فرّق شملهم ونغّص حياتهم ويبذل حياته لأجل هذه الغاية النبيلة.. « حلمي « ايضا شابّ رام قطع البحار لبلوغ ارض بعيدة بحثا عن قرش يوفر لقمة كريمة له ولعائلته لأجل نظرة رضا من عيني والدته التي تنتظره كل مساء ..هو حلم الهجرة الذي بات يراود كل شاب ببلدنا بل وببلدان العالم العربي والقارة الافريقية ..نحو أوروبا وامريكا فرارا من البطالة والعطالة و الفقر وعدم احترام الكفاءات وتثمين طاقاتها . لكي لا يكون مفرطا في المثالية جعله يتراجع عن قراره بعد أن رأى كيف يتحول الناس إلى آلات تعمل دون اعتراض وقد جردت من المشاعر..

2/ الزوايا الفنّية :

* السرد: جاء السرد مراعيا لسنّ القارئ المفترض (الطفل اليافع" بعبارات بسيطة و تراكيب يسيرة طرح حيرته و تساؤلاته ولامس إشكالات واقعه. اعتمد الكاتب على تقنية التضمين فكانت الحكايات تتوالد حينا و تتقاطع حينا أخر و تتوازى احيانا بسلاسة لا يشعر معها القارئ بالتشتت بل يتحفز ذهنه أكثر ليخوض المغامرة ..مغامرة البطل حسان في رحلته ..ومغامرة السّارد يوزّع الاحداث و ينسج القصص ببراعة لعله يدرك الخيط الناظم لهذه الحبات ..

* الوصف: اهتم به الكاتب ايما اهتمام فجاءت الفقرات لوحات دقيقة التفاصيل أعطت الشخوص والأماكن والأحداث مابه تشد انتباه القارئ وتحفز مخيلته حتى ليكاد يسمع الأصوات ويرى التفاصيل حوله يتشممها و ينصت لها ويتحسس جزئياتها في مشهدية رائعة.

* الحوار كان وظفيا كاشفا لحيرة أبطال القصة دافعا لسير الأحداث.

*الشخصيات تنوعت واختلفت حسب موضوع القصة فمنها البشرية ومنها الحيوانية ..الحقيقية والاسطورية ..قريبة من عوالم الطفل ومن مخيلته ..تعددت أصواتها لكن السارد أنطقها بما يلائم نسيج السرد وما يتطلبه هذا النوع من الكتابة الموجهة لليافعين.

*الأطر المكانية والزمانية..تباينت من أماكن وأزمنة معلومة توحي بالواقعية إلى أماكن وأزمنة متخيلة غالبا ما تشبع فضول الأطفال وميلهم الفطري للاكتشاف وطلب المعرفة وطرحهم المتواصل للأسئلة وتعلقهم بالعجيب والغريب من الحكايا.

خلاصة

اختار الكاتب من الأساليب الفنية ما رفدت المضامين فجاءت القصص قطعا من النسيج محبوكة الصنعة متناسقة الألوان تشد العقل ونحفز الذهن حيث جعل الكاتب سبل الانتقال بين الواقعي والخيالي يسيرة حققت برأيي الهدف المرصود ..وهو شدّ انتباه طفل اليوم ولفت نظره واستمالته وتحقيق المتعة الذهنية والمعرفية المطلوبة وتلبية حاجياته النفسية فيقبل من جديد على الكتاب ويعانق عوالم الورق في زمن تعددت فيه المغريات وتنوعت بيد هذا الطفل.

قصر باردو أو باردو باجة في الفترة الحديثة: المعمار والأدوار

د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

وعاقبة هذا البرج في زماننا استحوذ حُكّام باجة على ما فيه من الرّخام والجليز واللوح المدهون وشبابك الحديد وكل شيء له قيمة، وجرّوهم إلى ديارهم، وأخذ بنيان علي باشا في الميلان والسقوط، وكل ما صرف عليه علي باشا صار هباء منثورا.

بن يوسف، تكميل، 1768

****

باردو: التباس التسمية

باردو أو قصر باردو قصر من القصور الملكية لا يخلو ذكره على الأسماع من إثارة التباس في الأذهان :

- ليس من حيث التسمية، فتسميته واضحة لا لبس فيها إذ يسمّى بـــاردو أو أيضا قصر بـــاردو وهو الإسم الذي عرف به في المصادر التاريخية الحديثة التونسية منها والأجنبية على حدّ سواء وفي كتب الرّحلة أيضا، وسمّاه المؤرخ محمد الصغيّر بن يوسف (ت 1772) برج الباي حينا وسرايا الملك حينا آخر .

- وإنّما من حيث موقعه، ذلك أنّ الأذن التونسية لم تتعود على كلمة باردو تسمية إلا لضاحية تونس العاصمة التي يقترن ذكرها اليوم بالمتحف الوطني ومقرّ مجلس النوّاب، واقترن اسمها تاريخيا بالقصور الملكية والمتنزهات الأميرية والبساتين المغروسة بالأشجار المثمرة منذ عهد السّلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (1394-1443)، ثم بمقرّ مؤسسات السلطة المركزية والفضاء الذي ستكتسب فيه مؤسسة الباي مع المراديين بعدها السياسي، وبالمدينة الملكية مع حسين بن علي (1705-1735) وانتصاب الدولة الحسينية بتونس منذ 1705 .

- والحال أنّ باردو ليس واحدا وإنّما اثنان، أحدهما بـاردو تونس، أو باردو السّعيد، وهو الضاحية المعروفة، والثاني بـاردو باجة ويعرف حاليا بقصر بـــاردو، وما تزال معالمه قائمة الذات إلى حدّ اليوم شمال غربي المدينة في عمق النسيج العمراني الحديث معطيا اسمه للكثير من المنشآت كالحيّ الذي يتوسطه والمدرسة الابتدائية الواقعة في جواره فضلا عن البساتين القريبة التي تحف به، و قد كان بالأصالة في سُرّة هذه البساتين ذاتها .

2 - من أين جاءت هذه التسمية ؟

هذه الكلمة أي بـاردو هي من المعرّب الدّخيل اقترضتها اللغة العربية المحلية في بلادنا عن الإسبانية منذ القرن 9 الهجري/ 15 للميلاد .

- أصل الكلمة هـــــو - / EL- PARDO و تعني القصر أو السّرايا، أو البستان المخصص للنزهة والترفيه، تسرّبت الكلمة مع إنشاء السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز(1394-1443) أوّل قصر ملكي في « بستان النزهة جوار بساتين أبي فهر»، وكان العاملون فيه من العلوج الإسبان من أسرى القرصنة البحرية، وهم الذين سرت على ألسنتهم هذه التسمية حتى دخلت في المعجم التونسي مقترنة بالمتنزهات والبساتين والرّياض والقصور الملكية .

3 - من أين استمد باردو باجة تسميته ؟

الظاهر أنّ تسمية باردو لقصر باجة الملكي إنّما هي على اسم القصر أو المجمّع الملكي الموجود بضاحية الحاضرة أي تونس العاصمة .لماذا هو كذلك وليس العكس ؟ ببساطة لأنّ باردو تونس أقدم ذكرا في المصادر التاريخية وفي مقدمتها المصادر الحفصية كما سبق أن ذكرنا .

أمّا باردو باجة فأوّل من أشار إليه القرصان الإيطالي الأسير القبطان روبارتو إلياطا جونتليومو ROBERTO ELLIATTA GENTILHUOMO INGLESE وقد استرعى انتباهه قصر باردو بروعة زخارفه وجماله المعماري وذلك خلال مروره بالمدينة سنة 1615 وقد كان القصر آنذاك، على حد تعبيره، «مقرا لإقامة أحد أثرياء الجالية التركية التي استقرت بهذه الربوع» VI É UN TURCO PRINCIPALE CHE VI HÀ FATTO ÉDIFICARE UN BEL PALAZZO ، ممّا يرجح أنّ بناء هذا القصر يعود إلى بدايات العهد العثماني أي أواخر القرن 16 أو بدايات القرن 17 .

4 - باردو باجة في المصادر الإخباريّة ووثائق الأرشيف

سيلفت هذا القصر انتباه الرّحالة الفرنسي بيليسييه PELLISSIER سنة 1847 بحدائقه الغنّاء وبساتين البرتقال التي كانت تحيط به ذاكرا في كتابه «وصف إيالة تونس « أنه شاهد عيانا باي المحالّ، وهو مَحمد باي، حينها عندما كان مقيما بذلك القصر في الفترة المذكورة وقد أصابه مرض الوخم» (= حمّى المستنقعات).

وإذا كان القس نوABBÉ NEU قد أشار إلي باردو باجة، في لمحته التاريخية عن مدينة باجة NOTICE HISTORIQUE SUR LA VILLE DE BÉJA ا التي أصدرها سنة 1910، نقلا عن الترجمة الفرنسية لكتاب المشرع الملكي CHRONIQUE TUNISIENNE لمحمد الصغير بن يةسف، وهي من إنجاز محمد الأصرم وفيكتور سار، فإنّ القصر سيلفت، قبل ذلك، انتباه جول مونتالJULLES MONTELS في مقاله المنشور بالمجلة التونسية سنة 1894، بحالة التدهور المعماري المتقدم التي كان عليها هذا القصر الملكي القديم، حسب وصفه له، وسيشير إليه في فترة متأخرة بول بوننفان PAUL BONNENFANT في مقاله الصادر في كرّاس مفرد عن معهد الآداب العربية الجميلة(IBLA)ك ق باجة من الانتشار الإسلامي إلى سنة 1881»..

وأشار إليه بيرم الخامس(ت1889) في «صفوة الاعتبار « بقوله : « عمل باجة كبير، وقاعدته ذات حصون، وقصر لنائب الوالي(يقصد باي المحالّ) الذي يسافر بالمعسكر(= المحلّة) كل صيف إلى هناك في القديم» .

وورد ذكره في «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» على لسان أحمد بن أبي الضياف(ت1874) في سياق تعداده لمآثر علي باشا « ومنها تجديد باردو باجة حتى كاد أن يحاكي به برج باردو تونس»، وفي عدة مواضع كلما جرى الحديث عن محلّة الصيف أي حملة الباي العسكرية السنوية لجمع الجباية .

وسيشير حسن حسني عبد الوهاب (ت1968) في فصله عن باجة، المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية) وفي «ورقات»(بالعربية) إلى قصر باردو باجة ، عادّا إياه قلعة من قلاع باجة، ربّما لطبيعة مكوناته التاريخية ومنها بالأساس السور الخارجي.

كما ورد الحديث عنه في دفاتر الجباية، وفي وثائق الأوقاف :

- حيث يشير الدفتر رقم 2091 مثلا إلى بعض من تقلدوا خطة وكيل على قصر باردو، وهي خطة أولى المهام فيها الآهتمام بقصر البايليك وصيانته باعتباره قصرا رسميا ومقرّ إقامة ترفيهيا للباي يستقر به خلال فترة جمع الجباية في الصيف، علاوة على تسويغ العقارات التي يمتلكها القصر وصيانتها وترميمها، على غرار الحاج سالم بن نجمة الذي كان وكيلا للقصر عام 1172/ 1758، ومحمد صالح زروّق الذي نجده في هذه الخطة في حدود 1855-1857، وصغيّر بن يوسف الحنفي الذي «باشر أعمال الصيانة والترميم به من سنة 1816/1232 إلى سنة 1236/ 1820»، والطريف في بعض تقارير ما أنجزه من أشغال بهذا المركّب المعماري الملكي إشارته إلى العديد من مكوّناته المعمارية كالحمّام، والعلوّ، وساحة القصر والمخازن والإسطبل ودار البش كاتب وغرفة الخزندار والسّاقية،،، « بنى ساقية عين عمّال التي تزوّد حمّام القصر بالماء، وإصلاح قبّة الحمّام ونقشها، وترميم غرف الطابق العلوي، والإسطبل، وبعض المخازن، وإزالة ما تداعى من المباني الحديثة وترميم ممراتها وجدرانها، بعد أن كان في سنة 1231/1815 قد أتمّ ترميم مخزن المراكيب بالقصر وإعادة بناء دار باش كاتب وغرفة خزندار وإصلاح ساحة القصر والحمّام».

- كما تشير وثيقة تحبيس سانية باجة المعروفة بباردو،،، مؤرخة بشهر ذي الحجة 1107/ جويلية 1696متصلة بوثيقة انجرار ملكية مؤرخة في ذي الحجة 1072/جويلية-أوت 1662، وهو الوثيقة التي قام بتحقيقها الأستاذ أحمد السعداوي ضمن «وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين»، إلى « الجنان المشجر بالغراسات،،، وما اشتمل عليه من البرج

قصر باردو: أطلال المدخل الرئيسي للسرايا

قصر باردو، سرايا سيدي سليمان

الجديد البناء».

وانتبه ديرافور Duraffourg في تقريره « باجة وما جاورها إبّان الاحتلال الفرنسي عام 1881» إلى أنّ باردو قصر قديم للباي أصبح خرابا بالكامل استخدمت بعض مواده في بناء ناد لضباط جيش الاحتلال، ونسبه، خطأ، إلى حسين باي الثاني(1824- 1837) باعتباره واحدا من متنزّهاته.

فالقصر بهذا مقرّ إقامة ملكي صيفي وبالتالي موسمي ينتصب به حاكم البلاد الأعلى أي الباي أو باي المحالّ أي الباي المكلف بقيادة الجيش النظامي وكامل الجهاز الإداري والمالي المرافق له كلّما قدم إلى الشمال الغربي مستخلصا للضرائب أو محاربا لقبائل الجبال التي كانت دائبة التمرّد على سياسة الإجحاف الضريبي التي دأب الدّايات والبايات من بعدهم على تسليطها على السكان المحليين، ومن غريب ما يذكر في هذا السياق أنّ مراد الثالث(1699-1702)، لمّا « خرج بمحلّة الصيف إلى باجة وفعل بها ما هوّن عليهم فراق الوطن» « دخل باردو باجة، وأخذ في شرب الخمر وضرب المغاني ليلا ونهارا» .

ويبدو أن حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية، وقد كان آغة لوجق باجة قبل أن يعتلي العرش، هو الذي أعاد بناء هذا القصر في إطار سياسة الإصلاح العمراني التي شهد له بها المؤرخون نعم ولكن أيضا بأفق تكريس الفخامة وبناء المكانة .

5 - سرايا باردو: تطوّر المنشآت والأدوار

لعل أكثر من أفاض في الحديث عن هذا القصر خلال حكم البايات الحسينيين الأربعة الأوائل المؤرخ محمد الصغير بن يوسف(ت1772) في كتابيه «المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي» و» التكميل المشفي للغليل»، حيث ذكر:

- أنّ الباي كان يباشر القضاء بنفسه بهذا القصر كلّما حلّ بالمدينة لقوله متحدثا عن الباي حسين العاهل الحسيني الأول: « يصل الباي إلى بلد باجة فيدخل باردو...ويجلس على تخته لفصل الحكومات (=النوازل) ودفع الظلامات ورفع الخطيّات. «..وتشير المصادر إلى أنّ أول من تولّى دورا قضائيا بقصر باردو باجة القاضي علي شعيب(ت1750/1193) قبل أن يصبح قاضيا للمحلّة، وأنّه إلى جانب مجلس القضاء، كان الباي ينصب مجلسا للأعيان يفضّ فيه جميع الشكايات التي كان يتقدم له بها السكان مستوسطين في ذلك بأحد كبار أعلام المذهب الحنفي الإمام أحمد برتقيز نجل الإمام يوسف برتقيز (ت1735) مستشاره الخاص،

- وأنه كان يقيم به سنويا أربعين (40) يوما في العادة، وهي المدة التي كانت تستغرقها عملية استخلاص الجباية وتكميل الصيفية من عروش المنطقة وأعيانها،

- وأنّ حسين بن علي كان ينزل من هذا القصر في الجناح الذي سيتولى علي باشا(1735-1756) فيما بعد هدمه ليقيم على أنقاضه، علاوة على الجناح الذي جعله لخاصّة نفسه وأفراد عائلته، جناحا آخر لنزول ابنه المريض سليمان باي وعائلته، «جدّد بناءه، وزوّقه، وجلّزه» و» أتم بنياته»، «حتى صار كأنّه جنّة نعيم»، ولذلك سيدعى المكان بكشك سيدي سليمان ويسمى ايضا منزه سليمان .

إلى جانب قصر حسين بن علي أذن علي باشا لأمين بناء أندلسي شهير يدعى عمر البلانكو في حدود سنة 1154/1741 ببناء قصر آخر « على أسلوب باردو تونس» بذل فيه أموالا طائلة، هو قصر سليمان باي سمّي السرايا أو دار البايات أو أيضا بيت الملك، وقاعة للجلسات أو محكمة « لتنفيذ الأحكام وفصل الخصام والقضاء بالصواب بين العباد»، كان بها مجلس الباي ومجلس القاضي ومساعديه، وهو القصر الذي تردد عليه علي باشا ونزل به، كما أقام به باي الأمحال يونس باي إلى حدود سنة 1752 مرارا وتكرارا، واعتكف به، قبل «أن يستقر بمحاله و نجوعه ومن معه» بدار بلطة أو قصر بلطة، شمال غربي باجة، يقول محمد الصغيّر بن يوسف في التكميل الشافي للغليل:» وقصد علي باشا باجة (في بداية استقرار الحكم في بيته ذات ربيع)(بهدف معلن هو النزهة ووسع البال)، ونزل في باردو باجة، وتأمّله، وهرع إليه أهل باجة بالضّيافة» فاستقبل أكابرهم وفي مقدمتهم علي بن حمودة الصمادحي(ت بعد 1159/1746) شيخ الزاوية الصمادحية الكبرى النافذ محيطا إياهم بأوفى مظاهر الإجلال والإكرام والإنعام.

ويذكر أنّ عمر البلانكو الأندلسي هو نفسه أمين البناء الذي تولى حفر البئر التي تتوسط الثنيّة الرابطة بين المدينة وقصر باردو، وهي البئر المعروفة إلى اليوم باسم بير دلنسي أي بئر الأندلسي (في عملية قلب واضحة).

ولم تبق من هاتين المنشأتين اللتين كانتا تمتدان على مساحة لا تقل عن اربعة (4) هكتارات وتقومان على غابة من السّواري المرمريّة مبلّطتين بلوحات الرّخام المستورد مكسوّتين بالجليز الخزفي الرّفيع وبالجصّ المُخرّم المعروف عندنا بنقش حديدة سوى بعض الجدران والقاعات المتداعية علاوة على الطابق الأرضي الذي يطلق عليه محمد الصغير بن يوسف تسمية الدوامس وهي التسمية التي ما تزال مستقرة له إلى وقتنا الحالي، ولم يكن هذا الطابق الأرضي مخصصا للجند خلافا لما أشار إليه أحمد الحمروني وإنّما اقتضته ضرورات المناخ والحاجة إلى التكييف وفقا لتقنيات البناء المتاحة آنذاك حيث كانت تنتصب عليه « دار على الهواء» على حد تعبير صاحب المشرع الملكي، وإنّما كان الجند يقيمون خارج القصر،» قدّام باردو « ، على مقربة من عين الباردة غربي باردو، شمال حديقة القصر المعروفة باسم الجنينة (وهي غير السانية أي حدائق القصر وبساتينه الكبرى التي كانت تمتد على مساحة حوالي 19 هكتارا) وما يزال الموضع إلى اليوم يسمى «المحلّة» في إشارة إلى معسكر الجند الموماً إليه.

ويشير الشيخ امحمّد بن يوسف الملقّب بالفقيه إلى أنّ علي باي قد غادر تونس سنة 1756 ليستقر بسرايا باردو باجة و قد أمسك

قصر باردو تونس: قاعة العرش

دار بدري: أنموذج للمحاكاة المعمارية لقصور البايات

على غير عادته عن استغلال نفوذه و تجاوز سلطاته حريصا كل الحرص على استضافة بعض أعيان المدينة والاجتماع بهم كلّ مساء وكأنه أمسى واحدا منهم « دخل (= علي باي) باردو باجة كأنه ضيف، ونعم الضيف، لا ظلم أحدا ولا في حكمه يحيد، أمر كل ليلة أن تنزل إليه جماعة من أعيان الباجية، فيدخلون إليه ويسامرونه، وهو كواحد منهم».

6. فصل القول في من بنى قصر باردو

يقول محمد الصغير بن يوسف(ت1772) في التكميل المشفي للغليل:

«وأوّل ما احدثه مراد باي(1675-1666)، أبو علي باي(-1675 1688) ومحمد باي(-1675 1676، -1688 1695)، كان ينزل بدار له في وسط المدينة يقال لها دار الباي، واليوم استولى عليها الخراب. واستثقل مراد باي(-1666 1675) نزوله بالبلد فأمر ببناء عدد من بيوت قليلة تستره ما دام قايما بباجة. وزاد فيه ولده محمد باي (1676-1675، -1688 1695) بناءات وقبّة مرتفعة عظيمة، وزاد فيه الباي حسين(1735-1705) بيتا للملك ودارا للعيال ودارا للكتاب ما يكفي الإقامة به، وعاقبة هذا البرج في زماننا (1768):استحوذ حكام باجة على ما فيه من الرّخام، والجليز، واللوح المدهون، وشبابك الحديد، وكل شيء له قيمة وجرّوهم الى ديارهم بباجة، وأخذ بنيان علي باشا في الميلان والسقوط، وكل ما صرف عليه علي باشا صار هباء منثورا.»

ومعنى هذا أنّ سرايا باردو، اعتمادا على محمد الصغيّر بن يوسف، تعود إلى بدايات الفترة المرادية، وأنّ أعمال البناء والتشييد في هذا المركّب الملكي، فضلا عن أعمال التوسعة والإضافة والتفخيم، قد تواصلت على امتداد الفترة المراديّة وأنّه عرف بعض التحويرات المعمارية خلال الفترة الحسينية وشهد تحويرات مماثلة إبّان العهد الباشي وبالتالي فإنّه قد شهد تطوّرا تدريجيا ليس فقط من حيث وظائفه وأدواره وإنّما أيضا من حيث تخطيطه ومكوّناته ومساحته ومعماره.

فإذا كانت النواة الأولى لقصر باردو، وتعود إلى سنة 1071/ 1660، من تأسيس مراد باي الثاني (-1666 1675)الذي حبّس عليه، منذ أن كان وليّا للعهد، عدّة أوقاف: أراض ورباعات(سانية سبانيول،سانية باردو، 3 مواش بعين سلاّم، أفران، مخازن، فنادق، طواحين، حمّام، ديار،،،) انطلاقا من سنة 1073/1662، فإنّ القصر قد شهد توسعات وإضافات في عهد محمد باي المرادي(-1676-1675 -1688 1696)، كما كانت للعاهل الحسيني الأول حسين بن علي(1735-1705) فيه تحويرات وزيادات، ولعل أوسع أعمال التجديد والتوسيع والتفخيم التي حظي بها، هي تلك يشير إليها الدفتر رقم 3397 بتاريخ عام 1066/ 1752، وتعود إلى علي باشا(1756-1735) وابنه يونس، جرّت فيها العربات أو الكرارط، وكان عددها أربعا وأربعين (44) كريطة، بحسب ما أشار إليه الأستاذ أحمد السعداوي في مقاله Palais et Demeures Mouradites ، الرّخام من الحاضرة إلى باجة، وهي حضيرة الأشغال الكبرى التي وردت بياناتها بالتفصيل في « التكميل المشفي للغليل» لقول الشيخ ابن يوسف: « وأخذ علي باشا في الحركة فيه على أسلوب باردو تونس، وكم جرّ له من الرّخام، وكم جرّ له من الكذّال وغيرها، وكم بعث له من الجليز المحكم الصنعة، وكم جرّت الكرارط من فرش الرّخام والعود واللوح والدخّانين والزوّاقين، وكم دخله من الجصّ والجير والحجر ومن شبابيك الحديد» ممّا يشي بارتفاع تكلفة نفقات التشييد والإنشاء نعم ولكن أيضا بفخامة المعمار والبناء.

على أننا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ملاحظة روبيرطو إلياطا الذي مرّ بمدينة باجة عام 1615 والإشارة المعماريّة الطريفة التي اختص بها قصر باردو، وإن نسب تشييده إلى أحد الأعيان الأتراك المحليين، وإذا ما راجعنا وثيقة تحبيس سانية باجة المعروفة بباردو المؤرخة في ذي الحجة 1072/جويلية- أوت 1662 وتنصيصها على وجود برج جديد البناء بهذه السّانية، أمكننا بالتقاطع أن نذهب إلى أنّ « برج الباي »:

- كان في الأصل برجا سكنيا أو قصرا قديما لأحد أعيان الجالية التركية المحلية،
- قام مراد باي الثاني فيه بزيادات أو توسعات ومن غير المستبعد أن يكون قد جدّد بها القصر بأكمله،
- وأضاف إليها نجله محمد باي بدوره بناءات أخرى وفقا لتطور حاجيات الدولة ومقتضيات أبّهة الملك وتدعيم السلطة،
- قبل أن يتدخل فيه حسين بن علي بإحداثات تندرج في سياق الرهانات ذاتها وفي مقدمتها تدعيم السلطة وتلميع صورة صاحبها،
- ليشهد مع علي باشا وابنه يونس أكبر عملية تجديد وتوسيع وتفخيم عرفها على امتداد تاريخه الطويل.

قصر باردو تونس: مدخل القصر

7. قصر باردو ووحداته المعمارية

يتكون قصر باردو من عدّة وحدات معمارية يمكن تلخيصها فيما يلي:

السانية أو البساتين والأجنّة أو حديقة القصر الكبرى

السور الخارجي(بني في جزء منه بالطابية) بوابة ملكية جنوبية المفتح أعلى من السور الجنينة أو حديقة القصر الصغرى المراح أو فناء القصر

الطابق السفلي للقصر(وبه المخازن، وساحة للقصر، وسجن القصر، ومطبخ القصر، ودار العيال، ودار القصعة، واسطبل القصر، ومسجد القصر، وحمّام الباي)

الطابق العلوي للقصر(وبه بيت الملك او السرايا أو دار البايات، وأجنحة خاصة بحاشية الباي، ودار الخزندار، وغرفة الذمّي، ودار باش كاتب، والمحكمة، وهي من منشآت عام 1157/1741).

اعتمادا على اقسام قصر باردو وأجنحته والتحويرات الجذرية التي خضع لها في هيكلته المعمارية في سياق البحث عن الأبّهة والفخامة التي تليق بالملك، وكذلك مختلف التسميات التي دعي بها على امتداد تاريخه في الفترة الحديثة من برج الباي إلى دار البايات أو بيت الملك إلى السرايا أو الصرايا إلى القْصَرْ، بإمكاننا أن نقول إنّ باردو باجة ، على غرار باردو تونس، ولا سيما خلال الفترة المرادية، تحوّل:

- من مجرّد مقرّ للسكنى باذخ وسط المنتزهات والبساتين،سواء تعلق الأمر بأحد أعيان الجالية التركية أو بشخص مراد باي الثاني بايا للأمحال ثم باي كرسيّ وهو ما يشي به مصطلح البرج ومصطلح المنازل، ومصطلح الصرايا أو السرايا في جزء من معانيه،
- إلى مقرّ للسلطة، وهو ما تشي به تسميات من قبيل دار البايات التي لا تعني بحسب المعجم المحلي حينها مثل دار الشرع، ودار القايد، ودار الكاهية، ودارالقاضي، الوظيفة السكنية وإنّما «تختزن في التقسيمات الإدارية، وفقا لما يذهب إليه الباحث محمد فوزي المستغانمي، مفهوم المقر الإداري والسكني في الوقت نفسه» وبالتالي إحدى أجهزة الدولة ومقر المؤسسة الممثلة لسلطة هذه الدولة، وآية ذلك أيضا المؤسسات التابعة للقصر مثل دار الخزندار، وهو المشرف على مقابيض الدولة ومصاريفها من الجباية والخطايا والدوايا وغيرها وبالتالي على « الخزينة العامة للدولة»، ودار الباش كاتب، وهو المشرف على توثيق ميزانية القصر مداخيل ومصاريف ومراقبتها وتحرير المراسلات الرسمية، ودار الذمّي، وهي خطة تبدو متصلة بالتصرف المالي الخاص بميزانية الدولة وتجارة العملة والصرف، وأكثر اتصالها باليهود، والجامع والمحكمة والزندالة فضلا عن المنشآت الخدمات الأخرى، وهو ما يشي بتعدد وظائف قصر باردو وأدواره بين الدور السياسي (= بيت الملك أو دار البايات حيث يقع استقبال الضيوف والأعيان المحليين ومختلف رموز سلطة الضبط) والردعي(= المحلّة)، والدور الإداري المؤسسي (الخزندار، الباش كاتب،،،)، والدور القضائي(المحكمة)، والدورالعقابي(= سجن القصرأو الزندالة)، والدور الروحي (= الجامع، وهو جامع معزز بمئذنة، متميز بهيكلته المعمارية وموقعه المنفصل عن الصرايا عن سائر مساجد قصور البايات) شهد ترميمات خلال سنة 1820)، فضلا عن الدور السكني(= السّرايا)، والدور الترفيهي(= الجنائن والمنتزهات، مجالس الغناء).

خاتمة

على غرار قصور البايات بأحواز تونس، ومنها قصور المرسى ومنوبة وباردو، وقصور المناطق الداخلية مثل دار الباي القيروان ودار بلطة، التي بنيت ببساتين شاسعة خارج المدن، تمّ إحداث قصر باردو باجة أو برج الباي في محيط يخضع للمقاييس والمواصفات ذاتها، وعلى قدر كبير من المحاكاة المعمارية لباردو تونس، ونظرا إلى طبيعة الرهانات التي كانت معلقة به وارتباطه بمؤسسة الباي منذ ظهور الأسرة المرادية ثم الأسرة الحسينية، فقد عرف هذا الفضاء العديد من التغييرات، ليس فقط في مستوى المعمار وإنّما أيضا في مستوى الأدوار بحيث شهد تحولات ليس في مستوى دوره السياسي فحسب (مراقبة المجال وضبطه ماليّا وجبائيا) وإنما أيضا على مستوى تركيبته ومساحته ومكوناته المعمارية والبشرية بحيث عبّر ما شهده من منشآت وتعمير عن تلك التحولات العميقة التي حدثت في تمثلات السلطة وإعادة رسم صورة صاحب السلطة مع انتصار مؤسسة الباي والأفول التدريجي للديوان ومؤسسة الداي.

قصر باردو تونس: قاعة العرش

القيروان تستغيثُ:

مرقد الإمام سحنون و معالم تاريخية بين الإهمال و التهميش

صلاح بوزيّان

1/ القيروان حزينة : سور المدينة ساقط ومرقد الإمام سحنون مقرّ للمنحرفين:

إنّ الإصلاح نعمة كونية من نعم الله ، وطاقة إيجابية تحتاجها الشّعوب والبلدان، لبناء كياناتها ونقد منجزاتها و تجاوز العثرات و فكّ المعضلات، ومن الأشياء التي تساهم في تحقيق الإصلاح الإنصات للنّقد والاستئناس بآراء النّاس و الأخذ بنصائح الإعلام والباحثين و الخبراء و المثقّفين و أهل كلّ مجال في مجاله و كلّ حرفيّ وصنائعيّ و فنّان ملهم وهي من شروط إتمام الإصلاح في أيّ مؤسّسة أو مجال وعكس ذلك خبط عشواء. إذ بقدر ما يكون الإصلاح تشاركيّا يكون منسوب النّجاح أرفع . لأنّ الإصلاح فنّ يقتضي تضافر الجهود، والعمل في فريق، عمل جماعي لإنجاز مشروع أو ترميم معالم تاريخيّة. كما يستوجب مواجهة الحقيقة إذ لا يمكن السّكات على هذا الحجم من الإهمال و البطء في الإنجاز و التّوجيه والإدارة وهي مخاطر تستهدف مسار الإصلاح و تعيق جهود الإصلاحيين. فماذا أصاب القيروان في معالمها التاريخية منذ سنوات ؟ الكلّ يعلم أنّه منذ عام تقريبا سقط جزء من سور مدينة القيروان الشرقي ولم يترمّم إلى حدّ هذه اللّحظة ، فما سببُ هذا البطء؟ قد يكون أمر سور المدينة يستوجب دراسات و تنسيق لأنّه ربّما مسجّل ضمن التّراث العالمي ، ولكن طالت المدّة لقد مضت سنة تقريبا على سقوط السّور، ولم تبدأ أشغال التّرميم و إزالة هذا المشهد الدّرامي، و إذا تأمّل المشاهد حجم التشقّقات في أقواس أبواب المدينة و على أجزاء السّور المحيطة بالمدينة العتيقة ، يدرك أنّ الشروع في التّرميم أمر أكيد و سَدُّ أبواب المدينة بأعواد الحديد ليس حلاّ للمشكل، بل هو مشكل على المشكل الرئيسي، إذ يعاني متساكنو المدينة العتيقة تعبا في المرور إلى بيوتهم أو في العبور إلى خارج المدينة العتيقة ، تلاميذ وطلبة وعمّال نساء و رجال وأطفال، كما استحال مرور سيّارات المتساكنين ممّا أجبر العديد على البحث عن مأوى قد يكون بعيدا ممّا يزيد في تعب النّاس، المسألة طالت و أشعلت غضب السّكان ، وإمّا إذا ذكرت الإهمال الذي حلّ بمقام الإمام سحنون، فإنّ حديث أهالي القيروان في الأسواق و الطرقات حول هذه المواضيع و تساؤلاتهم تزيد كلّ يوم ، و تتناقل الألسن أنّ منحرفين خلعوا باب دار الإمام سحنون و صاروا يتردّدون على المكان، يشربون الخمرة و يمارسون الرّذائل ، و كلّما اقتربَ الزّائرُ من المرقد يرى أكوام الأزبال و بقايا المرمّات ، قطع البلاستيك والعجلات المطاطية والأكياس و الملابس القديمة ، والغريب أنّ سوق القيروان الأسبوعية تنتصب قرب المقام ، كلّ ذلك يحصل في صمت من جهاز التّراث الرسمي و السلط الجهوية والمركزيّة و إهمال من الأهالي و المتساكنين الذين كثيرا ما تقدّموا بشكايات للسلط و لكن لم يلقوا أيّ اهتمام ، كما نلفت الانتباه إلى امتعاض عديد الوفود الأكاديمية التي أتت لزيارة الإمام سحنون و استنكارهم للوضع الذي عليه مقام هذا العالم المالكي الذي أنفق حياته في نشر العلم والدّفاع عن المذهب المالكي وإرساء الوسطية الإسلامية و نشر العلم في ربوع إفريقية. كما تمّ سدّ باب زاوية أبي عمران الفاسي بالآجر و الاسمنت فلم يعد أيّ زائر يقدر على دخول الزاوية ولا يستطيع أيّ أجير أن يصلح سقف المقام وجدرانه و لا طلائه ، فلماذا تُعامل المعالم التاريخية العالمية في القيروان بهذه الطريقة؟ وتهدّمت قبور ؟

2/ يمكن أن تكون معالم القيروان موردَ رزق للبطّالين الجامعيين و مصدر مالي للخزينة

يُمكن استصلاح هذه المعالم و تحويلها إلى منارات ثقافية تجلب الزّوار و تشدّ المهتمّين، و يقعُ الترويج لها بطرائق جديدة مواكبة للثورة الرقمية التي تكتسح العالم ، كما يمكن للسّور المتهدّم أن يُرمّم بتصوّر مختلف يبعث الأمل في النّفوس و يُخمد نار المشكّكين في صدق التّوجه الإصلاحي ، فتتحوّل هذه المعالم التاريخية المهملة في القيروان إلى منبع حركية ثقافية و موردا ماليا يضخّ الأموال في خزينة الدّولة و مصدر ربح لقطاعات عديدة كالنقل - فيتمّ إحداث خطوط جوية نحو بلدان عربية وإسلامية وغربية مرتبطة بمطار النفيضة- و لوكالات الأسفار و النّزل و المطاعم والمقاهي و تنبعث بها موارد رزق فئات اجتماعية هشّة و يُساهم تنشيط المعالم و توظيفها في إحياء عديدة الصناعات التقليدية التي يهدّدها الزوال مثل نسيج الزّرابي و صناعة الأواني الفخارية و منتجات السّعف و الحلفاء، يُمكن لمدينة القيروان و مدن أخرى تجاوز المحن و الصعوبات و التخلّص من العقول البيروقراطية الهدّامة التي تعطّل الإصلاح ، عقول متهاونة متواكلة كسولة غير واعية بخطورة اللحظة التاريخية التي تمرّ بها تونس و بلدان العالم داخل تقلّبات جيوسياسية و تجارية مذهلة ، تستوجب الحيطة و التّنبه و التركيز على صيانة الثقافة و التعليم و الاقتصاد و الماء في البلاد. يُمكن أن تتحوّل مداخل مدينة القيروان إلى مراكز مشاريع تجارية يستثمر فيها الشّباب عقولهم و يوظّفون مهاراتهم في فضاء تنافسي مفعم بالتعايش و التعاون ، هذا مشروع ثقافي إصلاحي مُمكن التحقيق في وقت وجيز . بيد أنّ الإهمال شائع ، وقد يكون من ثمرات الحكومات السابقة منذ 2011، التي آثرت الصّراع على السلطة و أضاعت التنمية و واجبات صيانة التراث و حماية المعالم . ورغم ذلك نُكرّر السّؤال: لماذا تعاني المعالم التاريخية في القيروان التهميش والإهمال ؟ فعندما يقف زائرٌ أمام مرقد الصّحابي أبي زمعة البلوي أو قبر التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني أو مرقد الإمام سحنون أو زاوية أبي عمران الفاسي أو زاوية أبي يوسف يعقوب الدهماني أو زاوية أبي الحسن القابسي أو زاوية عرفة الشّابي، و يُشاهد مظاهر التهميش و الإهمال يحتار و يتألّم و يتعجّب من صُنع البشر بتاريخه و تراثه .

3/ مرقد الصّحابي أبي زمعة عُبيد بن أرقم البلوي و قبر التّابعي حنش بن عبد اللّه الصنعاني، إهمال مُسنّ

تُخبرنا كُتب التّراجم أنّ صاحب هذا المقام هو الصّحابي أبو زمعة عبيد بن الأرقم البلوي، من أصحاب بيعة الرّضوان تحت الشجرة. شارك في فتح مصر مع عمرو بن العاص سنة (20 هـ / 641م)، ودخل إفريقية في جيش معاوية بن حديج سنة(34هـ/ 654م) مع أعيان الصّحابة منهم عبد الله بن الزّبير وعبد الله بن عمر بن الخطّاب الذي تُوفيت ابنته زينب في تلك السّنة و استشهد الصّحابي أبي زمعة في معركة ضدّ الجيش البيزنطيّ قرب عين جلولة (30كم غرب القيروان). و نُقل جثمانه و دُفن في موضعه الحالي بالقيروان. و معه شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلّم دُفنت معه. يقعُ مرقده في الجهة الغربية من القيروان في أرض منبسطة. و تذكر المصادر أنّ حمودة باشا أقام قبّة أندلسية على قبر أبي زمعة في سنة (1085هـ) ، ثمّ شيّد الأمير محمد بن مراد سنة(1094هـ) قبّة الهواء و الصومعة و المدرسة و الدور الثاني . و يلاحظ الزّائر تعطّب حنفيات الميضة بين الحين والآخر، و تراكم الأتربة والفضلات و الأوساخ و الأكياس البلاستيكية في الحديقة الملاصقة للمقام ، و نُطالبُ في هذا السياق بتركيز مركز أمن قارّ بجانب المقام في شكل بوكس ، و مركز أمن قارّ قرب جامع عقبة بن نافع ، ومركز أمن قارّ ثالث وسط المدينة العتيقة في جهة الجرابة قُرب المستوصف و مركز البريد ، وهو مسلك سياحي عالمي فيه معالم متجاورة على نفس الخطّ و الممرّ مثل مقام عبيد الغرياني و جامع الثلاثة أبواب و مقام مولاي الطّيب و زاوية الشّيخ حسين العلاّني و زاوية

للاّ حليوية و مقام سالم القديدي ، و نُلفتُ انتباه السُّلط إلى تردّد المنحرفين في هذه المواقع التاريخية و وقعت عديد عمليات النّشل و السّرقة و يتجول أطفال و شباب بلا رقيب و لا رادع في شكل مجموعات مختلطة بنات وأولاد في أوقات مختلفة ليلا ونهارا، ولم يسلم زوّار جامع عقبة بن نافع من إذاية الأطفال سواء أثناء أوقات الصلاة و خاصّة في شهر رمضان أو في الأوقات العادية ، ونشكر جهود أعوان الأمن المتواصلة لصدّ هذه الفئات الضّالة. ورغم كلّ الجهود يلقي الأطفال الحجارة على الفوانيس البلدية والبيوت و الأبواب و يتكلّمون بفاحش القول ، أو يفتحون حنفيات ميضة جامع عقبة لينهمر الماء أثناء أداء الصلوات . و نعتقد أنّ تركيز مركز أمن قار قرب جامع عقبة بن نافع (في شكل بوكس متطوّر و مجهّز) حلّ ناجع . ولربّما انعدام الفضاءات الثقافية والأندية الرياضية في الأحياء الشعبية مثل : حيّ ملاجي سحنون و حيّ المنشية و حيّ التّبان و حيّ حومة علي باي و حيّ أولاد منّاع و غلق المسبح البلدي منذ سنوات ، هي ضمن أسباب تنامي هذه الظواهر. ولمّا وقفنا أمام قبر التّابعي حنش بن عبد الله الصنعاني (ت 100هـ) أثارت انتباهنا اللوحة الرخامية التي تحمل اسمه، وقع تثبيتها قفا القبر و ليس في وجهه ممّا يدلّ على الاستهانة بهذا التابعي الجليل الذي غزا المغرب مع رويفع بن ثابت الأنصاري و غزا الأندلس مع موسى بن نصير وولاّه حسّان بن النعمان على صدقات النّاس بالقيروان.

4/ الإمام سحنون بين مظلمة اليوم ومجد الأمس، إهمال مفضوح

إنّ ما آل إليه وضع مقام الإمام سحنون يشكّل خطرا و تعدٍّ على جزء من تاريخ تونس و تراثنا العربي الإسلامي بكلّ المقاييس، إذ لولا جهود الإمام سحنون لكان أمرنا اليوم مختلف تمامًا ، إهمال و اعتداءات يومية على بيته و قبره و تاريخه و رمزيته العلمية والدينيّة ،اعتداءات من طرف المنحرفين الذين انتهزوا فرصة إهمال المسؤولين المعنيين بالتّراث لمقام الإمام سحنون ، واختاروا بيته مكانا يتعاطون فيه الرّذائل ،ممّا أثار استغراب أهالي القيروان و غضبهم على حال مدينتهم ، أهكذا يُجازى العلماء و الفقهاء ؟؟ إنّه أبا سعيد عبد السّلام بن حبيب بن حسّان بن هلال بن بكّار بن ربيعة بن عبد الله التّنوخي ،حمصي الأصل مالكيّ المذهب قيرواني المسكن ولد سنة(160هـ/774م) يقع مرقده في الجهة الشرقية من مدينة القيروان في أرض منبسطة و على مساحة كبيرة ، يأتيه الباحثون والعلماء من مختلف البلدان ،و مرّت السّنوات بسرعة ودخلت البلاد في دوّامة التنافس على السّلطة بعد 2011 ، فتمّ إهمال هذا المرقد إهمالا تامًّا ، فهو اليوم و منذ سنوات يتعرّض إلى الاعتداءات ، نُزِعَ باب بيته و سُرق باب البئر.إنّها لفضيحة من العيار الثّقيل أن يكون مقام الإمام سحنون مَهملا بلا أجير حارس، أبوابه الأمامية مكبّلة بسلاسل الحديد جدرانه متصدّعة ، بينما الأبواب الخلفية مخلوعة و من حوله أكداس الأتربة والفضلات و بقايا المرمّات و الأكياس البلاستيكيّة في منظر مقرف و محزن. أيُعقل أن يُعامل الإمام سحنون بهذا الجحود و النُكران ؟؟ وهو الذي عَمِلَ على نشر المذهب المالكي طيلة ال80 سنة التي عاشها ، ورسّخه فصار مذهب أهل افريقية وامتدّ إلى غيرها من بلدان العالم الإسلامي المجاورة، واتّخذ من تعليم الصّبيان وتحفيظ القرآن و إلقاء الدّروس للنّاس سبيلا لخدمة المذهب المالكي، و رتّب مدوّنته أحسن ترتيب ممّا جعلها محطّ اهتمام الباحثين. وهو أوّل قاضٍ شرّد أهل البدع و الأهواء من الجامع الأعظم عقبة بن نافع ومنعهم من التّحلق فيه وإمامة النّاس في الصّلاة.و هو أوّل من أمر أعوانه بقتل الكلاب السّائبة في الأسواق حتّى لا ينتشر داء الكلب. و تميّز بالشجاعة و الصّرامة فكان لا يخشى أحدا في الحقّ و لو كان سلطانا.

5/ الفقيه العالم أبي عمران الفاسي زاوية بلا باب

تقع زاوية أبي عمران الفاسي (363هـ 430-هـ) على مقربة من جامع عقبة بن نافع ، و اسمه موسى بن عيسى بن أبي حاج أصله من فاس و جدّه أبي الحاج الفاسي عالم المغرب في زمنه . كانت رحلاته كثيرة في طلب العلم و الاستقرار و زادته تمسّكا بالدّين و زُهدا و شدّة في الحقّ و ميلا إلى التأمّل و العبادة. واستوطن القيروان و حصلت له رئاسة العلم ، و من أبرز أساتذته الفقيه الوليّ أبو الحسن القابسي و الباقلاّني ، وامتاز بحفظ المذهب المالكي مع حفظه الحديث النّبوي و دراية معانيه و كان يعرف الرّجال و جرحتهم و تعديلهم ، و تذكرُ المصادر أنّه كان يقرأ القرآن بالقراءات السبعة و يجوّده. وتخرّج به جمهور من العلماء و الفقهاء ، وهُمْ فاسيون وسبتيون وأندلسيون وقيروانيون ، وكذلك فئة من قادة الدولة المرابطية، وممّا لا ريب فيه أنّه رجل إصلاح وتدبير. إلاّ أنّنا اليوم نجد باب زاويته قد سُدَّ بالآجر و يستحيل الدّخول إلى الزاوية ، ولا يجد الزّائرُ إلاّ رخامة عليها اسمه و نافذة مستطيلة يطلّ منها على القبر جوف الزاوية ، فكيف يُمكن الدّخول إلى الزاوية و الباب تحوّل إلى جدار؟ كيف يُمكنُ إصلاح الحيطان والسقف و السطح والأبواب و النّوافذ ؟ إنّ إغلاق الزاوية بهذا الشّكل ينُمُّ عن تفكير سلبي ، و من سدَّ باب الزاوية بالآجر أعفى نفسه من واجب العناية بها ، فلماذا تواصل سدّ الباب بهذا الشكل الاعتباطي ؟ كيف تُغلقُ زاوية أبي عمران الفاسي في وجوه الوافدين وطلبة التّراث و الحضارة و الزّوار والباحثين من مختلف البلدان. و نطالب بتهديم الجدار الذي سُدّ به الباب الرئيسيّ ، و يعاد فتح الباب وتُكلّف السلطات حارسا يُعنى بالزاوية ، يفتحها لعموم الزائرين و يحرسها كامل الأوقات . كما نُطالبُ بإدراج زاوية أبي عمران الفاسي و كلّ المقامات المذكورة في هذا المقال في قائمة المزارات المسجّلة في صفحة وكالة إحياء التّراث و التنمية الثقافية التابعة لوزارة الشؤون الثّقافية. كما نُطالب الوكالة بصياغة مقالات إشهارية لكلّ المقامات ، فالمعالم في القيروان لا تقتصر على : جامع عقبة بن نافع ، و زاوية عمر عبادة ، وزاوية عبيد الغرياني و زاوية الصحابي أبي زمعة البلوي و متحف رقادة.

4/ الفقيه الوليّ عرفة الشابي، الزاوية في وضع خطير يتطلّب التّدخل

تقع زاوية الولي الفقيه عرفة بن مخلوف الشابي (868هـ/1463م) قرب مقبرة قريش، شيخ الطريقة وأمير الإمارة الشابية ، وهو الذي أنقذ القبائل التونسية من التناحر و ظلمات الكبائر وأقحمها في سياق التّاريخ، وقد كانت أشتاتا متناحرة منشغلة بالقوت و التجارة و مظاهر الحياة، فقادها لحماية وحدةَ إفريقية العربية المسلمة و نافح المحتلين الإسبان والأتراك، واستطاع أن يمزج بين قيادتين القيادة الدّينية الصّوفية و القيادة السياسية الاجتماعية وساهم في تعمير المجال، داخلَ واقع مملوء بالخيبات سقطت فيه غرناطة آخر قلعة إسلامية في الأندلس(898هـ/1492م). وليٌّ فقيهٌ و سياسيٌ محنّكٌ آمن بالخصوصية التونسية و استطاع أن يؤسّس نموذجا سياسيا واجتماعيا مختلفا أنقذ البلاد و العباد من ويلات الظلم والانقسامات رغم الصعوبات المختلفة. و قدّم أروع مثال للإصلاح الدّيني الاجتماعي. ولكن كيف حال زاوية عرفة الشّابي اليوم ؟ تأتيك الإجابة بسرعة عندما تقف أمام زاويته لترى سورا متهدّما و أجبالا من الفضلات و رائحة الدّخان تنبعث من الأزبال المحروقة اعتاد ناس إفراغ البقايا في هذا المكان لسنوات طويلة و استغلّوا غياب الزّجر و تعطّل إنفاذ قوانين البيئة ، و رغم ذلك فما تفتأ البلدية تبذل جهود التنظيف و الكشط و رفع الأوساخ ، ولكن صنائع بعض المتساكنين القبيحة لا تنقطع و تحتاج الزّجر و الرّدع ، كما يشاهد الزّائرُ المنحرفين يعاقرون الخمر و يتلصّصون بين القبور و أحيانا يتظاهرون بالتّسول ليذهبوا عنهم ظنّ المراقبين. و في سابقة خطيرة صار المنحرفون يمنعون زوّار ضريح الشيخ عرفة من دخول الزاوية و يرغمونهم على دفع المال للسّماح لهم بالعبور، بل إنّ امرأة القائمة بشؤون الزاوية تعرّضت للمنع من فتح باب الزاوية ومزاولة عملها عديد المرّات بتهديد من المنحرفين الذين اختاروا القبور مكانا لمعاقرة الخمرة و إخفاء أشياء غامضة. إنّ الوضع الذي أصبحت عليه زاوية الشيخ عرفة بالقيروان خطير ويدعو إلى تدخّل عاجل من السّلط الجهوية و السلّط الأمنية ، فمن غير المعقول أن يمارس حفنة من المنحرفين سلطة على الزّوار و على المقام ، و يجاهرون بمعاقرة الخمر و ممارسة الرذائل و سبّ الجلالة و يتظاهرون بالعنف الجسدي.

6/ الفقيه الوليّ أبو يوسف يعقوب الدّهماني (551هـ/1156م) و أبي الحسن القابسي(324هـ 403-هـ):

تقع زاوية أبي يوسف يعقوب الدّهماني قرب فسقية الأغالبة من الجهة الشرقية على مساحة واسعة تلاصقها غربا زاوية أبي الحسن القابسي، و تلوح ملامح الإهمال في الواجهة الخارجية لزاوية الدّهماني فالجدران متصدّعة تحتاج إلى التّرميم و الطّلاء و الباب الخلفي مخلوع ، أمّا زاوية القابسي فتحتاج إلى أجير حارس ، و ترميم الجدران و طليها و أن يُفتح بابها لعموم الزّائرين.و الحاصلُ أنّ هذه المعالم تنتظر تدخّلا إصلاحيا عاجلا يُنقذ هذه الثروات من الضّياع ، ويُعيد الاعتبار لأعلام تونس و يروّج لتاريخ البلاد و للمنجزات الحضارية التي ساهمت في صناعة المجال، بما يحقّق الأمن الثقافي وهو جزء من الأمن العام للبلاد.

تراث

«قعدة زمنيّة» في عمق القرى الجبلية - مطماطة

خيرة خلف الله

هى على حافة طريق إلى أعماق جبال مطماطة التي تنهض شامخة وشاهدة على زمن الأوّلينَ دار تستوقفك منقوشة بكد أهلها وحرّ قلوبهم تجعل لك من المسير إلى الهناك متّكأً ومفرشا يتشرّب عرقك فتقيك من حرّ وتهبك عمقا وتمنحك وهدة تأمّل مستفاض إنّها دار «بخيرها وخميرها» مجرّد أن تغادر مطماطة الجديدة ببضع الكيلومترات تجدها على يمينك بمنخفض «تيجمة» وقبل أن تدخل مطماطة القديمة ببضع الخطوات تومئ لك صاحبة هذا الحوش المحفور في أعماق الأرض فتغادر العالم المعاصر بضجيجه وضغطه وهرجه ومرجه لتجد نفسك في بهو هذا المنزل من تربة وتدخل الغرف هذي غرفة الجلوس ب»مرقوم» يحمل رموزا و طلاسم بألوان زاهية تسافر بك في ذاكرة مكان معتّق وهذه غرفة النّوم والتي كسيت صناديقها المتواضعة والمنقوشة بقلائد الصخاب المعدّت بالعنبر و كلّ ماجمعته الأمّ من لعب ومشدات شعر صغيرة مكسورة تجمعها لابنتها منذ الطفولة وحتى الصبا ثم تنظمها في شكل عقد هكذا درجت الأسطورة وأنهم لها لمتبعون

حتى إذا دخلت المطبخ تضوعت منه رائحة الخبز وكيف لا تحنّ إليه من يدين جمعت إلى لطافة العصر إبداعات الجدات أنعم به من إبداع أما عنصر الإبداع فإنّه مجرّد أن تجلس إلى مائدة الغداء وانت تقلب نظرك في الأدباش والمتاع تقابلك زاوية ملئت كتبا مترجمة وأخرى من شقيّ الإنسانيّة تقطف بالعودة إلى صاحبة المنزل أصيلة قرية «تاوجوت» وهي إحدى القرى الناطقة بالأمازيغيّة تجد نبعا من ثقافة وقاموس إمتاع وإبداع فهي وإن نهضت في مفترق طرق وحضارات فهي مغرمة بالمطالعة وتدعو كل محبّ للعمق والإبداع ان يعرّج على منزلها ويترك أثرا للذي يليه هناك فلم لا نسارع نحن المبدعين إلى تأثيث هذه المكتبة وكل منا يترك كتابه هناك؟!! لقد سبقنا كتاب دفاتر الوراق إلى هناك وغيره من الكتب المغامرة

قضيت يوما بهذا المنزل وعائلتي المصغرة .. غادرنا الزمن وحلقنا نحو البساطة والطبيعة المعطاء والعمق الإنسانيّ الجذاب وكان زادنا تعبيرات وجه هاجر تاوجوتي وعائلتها الكريمة وعسل وخبز وشاي وزيت زيتون من معصرتها التقليدية الشاهدة على الزمن والناس ودجاجاتها وكلبها «Black» إلذي سريعا ما ألفنا وألفناه.. كم استمتعنا وكم أمتعتنا الزيارة...

صورة تتحدّث

فرقة الإذاعة عند تأسيسها سنة 1956

* في الصفّ الأول الشيخ خميس الترنان (في الوسط) وعم حسن الغربي (الله يرحمو) على آلة القانون وبجانبه المرحوم عبد الرحمن المهدي والد المرحوم صالح المهدي ا .

* وقوفا : في وسط الصورة سلوي محمد (زعرورة)محمد ساسي وفي أقصى اليسار محمد الفرشيشي , يوسف التميمي ومصطفى الشرفي.

«الحوار التأويلي بين أزمة العلاقة بين الأشخاص والكتابة»

حوار مع هانس جورج غادامير.(*)
حاوره : إلفي بولان وجاك بولان

ترجمة وتعليق : عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

« هذا هو في النهاية فيم تتمثّل التأويلية . إنها تتمثّل في معرفة هذا الأمر البسيط جدّا: الكلمة الأخيرة ، حسنا ، لا ، لا أريد أن أملكها.»(غادامير).

«يتعلق الأمر(في البحث) مع ذلك دوما بمسألة معرفة إذا ما كنّا فعلا قادرين على آن نأخذ رأي الآخرين مأخذ الجدّ».»غادامير.

« ليس من المخجل ضرورة أن يفكّر الآخر على نحو مغاير لي . بل لعلّه غنم. بل ربّما على هذا النحو نفتح آفاقا لبعضنا بعضا. أعتقد أنّ المساهمة الأدنى لكلّ منّا في ثقافة العالم تكمن في نهاية الأمر في هذا. ومن الواضح أننا لا يمكن أ ن نجعل من هذا هدفا نهائيا، ومع ذلك قد أقول، بأنّ أمام أوروبا ما يجب عليها تعلّمه لتصبح يوما ما في مستوى بناء هذا النوع من مجتمع الحوار. غير أن العالم في مجموعه سينتهي إلى القيام بذلك، إذ سيكون مضطرا إلى فعله». غادامير

****

-مفهوم الهارمونيطيقا أو التأويلية

– سؤال : لقد عُرف عملك الفلسفي كثيرا بتطويره ما تسمونه منذ البدء « هارمونيطيقا « (التأويلية)« HERMÉNEUTIQUE ». . وبالرغم من أن جمهور المثقفين يجد أحيانا صعوبة في فهم ما تعنيه، فقد أصبحت التأويلية في هذه السنوات الأخيرة موضوع اهتمام متزايد ضمن النقاش الفلسفي العالمي. هل بإمكانك أن تدقق لنا من وجهة نظرك، ما الذي ساهم في إثارة هذا الاهتمام، وأن تفسر لنا لماذا خصّصتَ مؤلفك لتناول تطوّر الهارمونيطيقا أو التأويلية؟

– هانس– جورج غادامير:

بالتأكيد. كانت المهمّة التي آليتها على عاتقي في البداية هي تحديد مفهوم التأويلية. لقد اعترضتني العبارة في كتابات الرومنطيقية الألمانية، ثمّ في استخدامات المدرسة الفينومينولوجية مع هوسرل وهيدجر بمنظور مغاير. لابد بالفعل أن نستحضر دائما في الذهن أن الكانطية الجديدة التي هيمنت في ذلك الوقت، تنطلق دوما من أمر واقع: وجود العلوم. إنها الحجة الأولى والأخيرة لديها. أذكر جيدا ما تعلّمته من معلّمي بول نتروب PAUL NATORP أستاذ في ماربورغ، وهو الشيء التالي: « ما المعطى LE DONNÉ؟ إنّ المعطى هو ما يتعيّن تحديده بالعلوم.» لقد نظر إليه(أي المعطى) النقاش الفلسفي برمّته على هذا النحو ، متقلّصا ومحدود للغاية. بل إنّه ظاهر للعيان أيضا في منعرج الفكر الذي ارتسم بعد الحرب العالمية الأولى تحت تسمية الوجودية. يمثّل هذا المنعرج رد فعل وردّا على الكانطية الجديدة أكثر منه وسيطا لفكر مستحدث جذريا. لقد أصبحتُ أكثر فأكثر وعيا بهذه الوضعية بقدر ما تقدّمت في بحوثي الخاصّة وأثناء المقابلات التي أمكن لي إجراءها. أذكر بالخصوص رحلتي الأولى إلى ماندوزا، في الأرجنتين، بعد الحرب العالمية ومقابلتي لزملاء إيطاليين وفرنسيين وإنجليزيين بعد فترة انعزال طويلة بمناسبة إقامتنا في ألمانيا. وما أجده جديرا بالملاحظة لأهميته الكبيرة ، هو هذه الكتلة من الأشياء كلّها التي لا يمكن تطويرها إلاّ بشرط التكلّم مع أحد وبأن يكون معه تبادل حقيقي. نستمتع على نحو بعيد المنال أكثر بنقل خالص وبسيط لمعرفة أحادية ، لا تحدث إلاّ بمناسبة فرض حقيقتنا. هذه القناعة، تلك هي سرّ تبادل أصيل : لا يمنحني الغير في المقابل إلاّ ما يشغلنا نحن الاثنين. لقد كانت هذه الفكرة غير موجودة تماما في ألمانيا حينئذ، سوى في الحجاج الكاثوليكي واليهودي (أفكر هنا في مارتان بوبر) حيث لا تأخذ هذه الفكرة قيمة إلاّ في أسلوب شبه مسلسلاتي FEUILLETONESQUE. لكن لم يكن في الأوساط الأكاديمية ، حقيقة ، أي شيء من هذا. وعلى هذا الأساس ، لم يبق لنا إلاّ ضرب من المَغْلَمِ اللفظي. يتعلق الأمر بعبارة « الدرس» أو المحاضرة VORLESUNG 1)) . إنه من غير المعقول عمليا بالنسبة إلينا اليوم ، لكن يجب معرفة ، ودون أن نحسّ بلزوم أن نستدعيَ حالاً ماكلوهان MCLUHAN ، الوعي بما كانت عليه المناجاة التي أدخلها تطوّر العلوم في العالم الغربي. حينما تخلصت الرياضيات من الجاذبية التي كانت تكرّسها بوصفها معقولية جديدة لتصبح ضربا من أداة للتحكّم في الطبيعة، شكّل هذا نوعا من الحدث الخارق للعادة. قاليلي هو هذا. ويكمن العلم الحديث في هذا: يتمسّك بأن تصبح فيه اللغة أداة . طبعا لقد حدث في العلم إذن خلاف ما نفعل حينما نتماسك ونحن نتكلّم.

هانس جورج غادامير 1900– 2002

- النقد التأويلي للحداثة

– سؤال: هل يمكن أن نذهب إلى حدّ القول بأنّ التشويهات التي لحقت الفلسفة تبدأ مع هذا الالتزام الحازم للحداثة لصالح العلم؟

– هانس– جورج غادامير:

نعم صحيح تماما. علينا أن نستحضر دوما في أذهاننا بأنّنا نتكلّم هكذا ، في الجملة ، عن تصوّرات مجرّدة للغة وأننا اكتسبناها في أفق مفهوم علم العصور الحديثة. لا تأتينا هذه المفاهيم من الكلام ومن الحياة بالذات . وإذا كان اهتمامي قد انصرف إلى الفلسفة الإغريقية ، فلكي أعيد إحياء، من أجلنا جميعا، العناصر الإيجابية التي اختفت لتفسح المجال لهذا التدمير العلموي لتجربة التواصل. وعن السؤال المتعلّق بمعرفة ماهية التأويلية، فسأقول بأن التأويلية تكمن قبل كلّ شيء في فهم أنّنا لن نعثر أبدا عن كلمات تستطيع أن تعبّر عن شيء ما نهائيّ. ذلك أن ماهية الحوار تكمن في هذا. فليس لحوار ما ، مبدئيا، أي غاية، لكن على العكس، يمكن لعناصر جديدة أن تنبجس، و يمكن دوما أن يخطر ببالنا شيء جديد، أو ، كما نقول أيضا بالألمانية ES KANN EINEM ETWAS EINFALLEN « يمكن لأيّ شخص أن يتبادر إلى ذهنه». كل فكرة جديدة ، وكلّ حدس مفاجئ هو ، في هذا المعنى ، انفتاح. وهذا الفرق بين التصوّر الأداتي للغة وتصوّرها التأويلي (الهارمونيطيقي) شاسع جدّا. وإذا ما كنت قد اقتربت كثيرا من الفلسفة الإغريقية ، فليس ذلك بسبب الحوار السقراطي الذي كرسته معها: فذاك الحوار هو بعدُ شكلا أدبيا حيث يمتزج فيه هذين النمطين. ولكن ، لنفكّر مثلا في أرسطو. ألحّ عليه دائما: فلسنا أمام كتب نقرأها بل موادّ للحوار. فحينما نجهد أنفسنا ، كفيلولوجيين جيّدين، في استنباط الموقف الضمني والنهائي للميتافيزيقا الأرسطية انطلاقا من هذه الكتب، فإننا نمنح نقطة انطلاق غريبة تماما. ولكن ماذا نعرف عن ذلك؟ فهل يقصد أرسطو، حينما يقدّم نقده، الأوليّ بشكل لا يصدّق ، لأفلاطون، بأنّه كان كذلك فعلا؟ نحن مشبعون أدبا حتى نفهم ما يعنيه ، لوحده، كون لا أحد من القدامى، قبل راهب ميلان (القديس – امبرواز SAINT-AMBROISE)، قد توصّل إلى القراءة دون الكلام بصوت مرتفع.

– سؤال : لقد كانت الفلسفة التحليلية طويلا غير مبالية بالتأويلية، لا بل حتى معادية. هل يمكن القول بأنّها حاليّا بصدد تغيير سلوكها وإيلاء الحوار اهتماما جديدا؟

– هانس– جورج غادامير:

أنتم تعودون هنا بحقّ إلى المماثلة التي نجدها في تطوّر الفلسفة التحليلية وفي تطوّر التأويلية . يتناسب هذا تماما مع التجربة التي قمت بها في جامعة كوينز في أونتاريو، في كندا . لقد وجد هناك قسم مكوّن فقط في البداية من فلاسفة تحليليين . وقد استدعاني يوما إلى هذا القسم أحد تلامذتي القدامى وكان لنا نقاش جيّد. ثمّ استدعاني إليه من جديد بعد خمس سنوات. ونظرا لسنّي والإرهاق الذي يسببه بالمناسبة هذا السفر، فقد أعلمته بأنّه قد سبق أن أتيحت لي فرصة التعرّف على زملائه. غير أنّه ردّ علي :» لا، ليس الأمر كذلك، فقد أضحى الجميع في الأثناء، تأويليين «. لماذا؟ لقد أدركوا ببساطة بأنّ نفس العلاقة النقيّة ، ونفس الجهد في التحرّر من كلّ بناء نظريّ ، كان شغّالا في الشعار الفينومينولوجي في التوجّه نحو الأشياء ذاتها وفي التوجّه الذي اتخذته الفلسفة التحليليّة. فقد تقلّصت هذه الأخيرة بشكل لا يصدق إلى حدّ عجزت فيه عن الإشعاع على مجموع الثقافة. وهذا لا يعني بأنّ الفلسفة التحليلية لا تعالج مسائل جديّة. فمسائلها جدّية وقد حافظت على بقاءها إلى اليوم، بما أنّنا نستوردها حاليا إلى ألمانيا وبأنّ هذا النقل يمثّل فيها أكثر ما هو مستجدّ. لست ضدّها. ولكن ما يبدو لي أكثر أهميّة في هذا النقل هو وضعه حدّا للعزلة الثقافية التي أحدثتها ألمانيا،إذ تعني هذه العزلة أيضا بأنّ كل شيء يتأتّى من هيجل ، وأنه وحده المتهم ، وأن كل شيء يعود إلى التقليد المثالي للألمان. لقد أدركت بنفسي بانّ للفلسفة التحليليّة أهدافا شبيهة بتلك التي لهذا التقليد و بأنّه يجب على التخوم بين التقاليد أن تزول. لكنّنا نحن الألمان ، وكذلك الفرنسيين، لسنا في مستوى إحداث منعطفات دقيقة للغة الأنجليزية ، موضوعا للفلسفة. وحتى نتوصّل إلى ذلك، علينا أن نكون على إلف بالتعبيرات الاصطلاحية لهذه اللغة .

- شعريّـــــة اللغات

– سؤال: ألا يتّجه تركيز التحليل اللغوي على وصف قواعد نفترض أنّنا نتّبعها، إلى نزع ما تسمّونه البعد الشعري للغات؟

– هانس– جورج غادامير:

ما من شكّ في ذلك. أعتقد بالفعل بأنّ أكثر ما يحرّر وما هو أكثر حياة في كلّ اللغات ، هو قدرتها الشعرية ، قدرتها على

إثارة حدوس تكلّمنا حقيقة. وما تعلّمته من الفينومينولوجيا ، وبدرجة أولى لدى هوسرل ، هو الأمر التالي: إنّه يصف ويقدّم الأشياء الأكثر سذاجة بدقّة متناهية للغة إلى درجة يحصل لنا فيها انطباع بأنّنا نرى فيها حرفيا وبالفعل هذه الأشياء. وأنّه ليس لنا صدقا ، أيّ حاجة لكلماته. ندرك ذلك حينما نفكّر في الطريقة التي ولجت بها الفينومينولوجيا الأدب. يمكننا مع الأسف أن نلاحظ في هذا المجال بأنّنا عمليا قد اقتصرنا على الحديث عنها. لم يوجد قطّ أيّ أثر حقيقيّ انبثق عن المدرسة الفينومينولوجية لسبب بسيط هو أنه لا أحد عرف كيف يتخطّى هذا الخطأ في التقدير لدور الفلسفة. ومن الأشياء التي اعتزّ بها هو نجاحي في القيام بذلك بواسطة التأويلية.

- مسألة الخير والوحدة الفلسفية للعقل

- سؤال : تتحدثون عن تشوّهات أساسية حدثت للفلسفة . فيم تتمثّل تحديدا؟ وهل يجب أن نفهم التأويليّة بوصفها طريقة في جلب الانتباه إلى هذه التشوّهات والتوجّه صوب تحريرها؟ هل علينا أن نقرأ على هذا النحو كتابكم «الحقيقة والمنهج» ؟ (2)

- هانس- جورج غادامير:

تكمن إحدى التشوهات المحدّدة التي سببتها الحداثة في الفلسفة، في الفصل المبدئي المطروح بين عقل نظري وعقل عملي . ظهر هذا الفصل أوّلا عند أرسطو، وفُهم طبعا ، بطريقة مدرسية جدّا. لقد كانت إشكالية أرسطو محايدة بعدُ ، فيما يتعلّق بهذا الفصل بين عقل نظري وعقل عملي. ولكن إذا ما تساؤلنا عمّ خطر ببال الإغريق وخاصة أرسطو،حينما طرحوا على أنفسهم السؤال عن الخير ، فمن الضروري أن نلاحظ أنّ هذا الفصل لم يوجد لديهم تحديدا. لا يمثّل إلغاء نظام العالم من جهة ، والجهد من جهة أخرى في بناء نظام داخل عالمنا الإنساني في مجموعهما سوى مهمّة واحدة هي نفسها. وهي المهمّة التي علينا أن نعود إليها لتجاوز كلّ هذه التشوّهات الناتجة عن الحداثة. إنّها بالتأكيد إحدى النقاط التي سمحت لي بتعلّم شيء عن أرسطو ، بالرغم من أنّ أرسطو لم يتناول أبدا بشكل مباشر هذه المسألة لذاتها. فهو لم يتحدّث عنها إلاّ أحيانا وبصورة غير مباشرة، مثلا حينما تساؤل عمّا تصنع الآلهة بحقّ. لقد كانت الآلهة بالنسبة إليه» كائنات نظرية خالصة». ولكن ماذا يعني وجود» كائن محض نظريّ»؟ يعني ذلك أنّها كائنات تهب نفسها بكلّ كيانها للمهمّة التي كرّست نفسها لها والتي تمثل أمام أنظارها. لهذا أهمية قصوى عمليا. جميعنا تقريبا يقوم بنفس التجربة حينما نحسّ أنفسنا باحثين. إنّ عبارة « باحث CHERCHEUR»هي أيضا إلى حدّ ما مضلّلة، باعتبار ما توحي إليه من معاني جغرافية وبيوغرافية ، تعطينا الانطباع بأنّ قارات أخرى مجهولة في انتظارنا دوما. ليس الأمر حقيقة على هذا النحو، لكن يتعلق الأمر مع ذلك دوما بمسألة معرفة إذا ما كنّا فعلا قادرين على نأخذ رأي الآخرين مأخذ الجدّ. لكن، أليس هذا ما يعنيه أولا وقبل كلّ شيء بالنسبة إلى هيجل، حينما يبحث عن الجواب عن السؤال: ما الثقافة؟

- الحوار بين الثقافات ضمن صيرورة العالم

- سؤال: ألا تخلق اللقاءات والحوارت التي تتضاعف في أيامنا هذه بين مختلف ثقافات كوكبنا ، شروطا جديدة لفهم متبادل حيث يمكن أن تتطوّر طرق جديدة للتفكير ؟

- هانس- جورج غادامير:

أنت تضع إصبعك على ما أعتبره بمثابة غاية غايات التأويلية. إذ ليس من المخجل ضرورة أن يفكّر الآخر على نحو مغاير لي . بل لعلّه غُنْم. بل ربّما على هذا النحو نفتح آفاقا لبعضنا بعضا. أعتقد أنّ المساهمة الأدنى لكلّ منّا في ثقافة العالم تكمن في نهاية الأمر في هذا. ومن الواضح أنّنا لا يمكن أ ن نجعل من هذا هدفا نهائيا، ومع ذلك قد أقول، بأنّ أمام أوروبا ما يجب عليها تعلّمه لتصبح يوما ما في مستوى بناء هذا النوع من مجتمع الحوار. غير أن العالم في مجموعه سينتهي إلى القيام بذلك، إذ سيكون مضطرا إلى فعله. فلأوّل مرّة فعلا تجد كل الثقافات الكبرى للعالم بما في ذلك تلك التي تنبع من ديانات غير ديانتنا، إن جاز التعبير، ملتحمة بعضها ببعض بواسطة الاقتصاد العالمي. بالإضافة إلى أنّه علينا آن نتعلّم من الآن فصاعدا التفاهم مع بعضنا بعضا. لم يكن الأمر هكذا أبدا . ننظر بإعجاب اليوم إلى الزميل الياباني الذي يتوصّل إلى الإقامة في عالم مفاهيمنا. غير أن هذا لا يكفي، وإلى حدّ بعيد، ليحملنا خارج لغتنا ومن وراء حواجزنا المفاهيميّة الخاصّة . ويمكن على الأكثر ، ربّما ، أن نُظهر للملأ، بمهارة ، الطريقة التي نعبّر بها حينما نحاول الخروج من ذواتنا دون أن نقدر على التفكير على نحو إبداعيّ. وينسحب هذا بالطبع على الجهتين. ويُمثّل الخروج من هذه الوضعيّة بالتأكيد مهمّة الجميع، وإذا ما توصّلنا لحسن الحظّ، إلى تقديم حلول ملائمة للمشاكل البيئيّة كما للمشاكل التي يطرحها تنظيم العالم. غير أن ما علينا، قبل كل شيء، تعلّمه أكثر فأكثر، هو أنّ الغير موجود هنا، وأنه، هو أيضا يعتبرنا آخر. ربّما يجب علينا أن نقبل أكثر فأكثر تعايشا فعليّا لمختلف اللغات. أكافح باستمرار عندنا في ألمانيا، من أجل فكرة أن نقدر بأنفسنا على أن نتكلّم بلغة ثانية إذا ما أردنا قدرة على الفهم حيث تعجز كل ترجمة، أي في مجال الشعر.

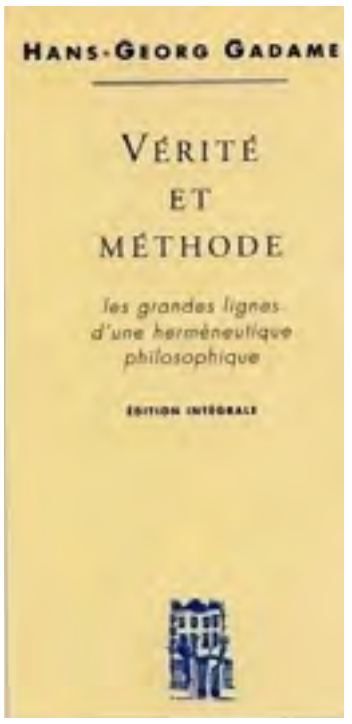

هالة الحقيقة بوصفها خاصّة الفنّ الشعريّ والتواصل

سؤال: ألا يستهدف الحوار الذي تتطلّع إليه التأويلية أوّلا وقبل كلّ شيء، تقاسم قوّة الإيقاظ هذه،التي تختصّ بها اللغة والكامنة بدرجة أولى في التجربة الشعريّة ، لكونها تجعلنا دوما نتجاوز التقسيم، الموروث من الحداثة ، بين عقل نظري وعقل استيتقي أو جمالي؟ ألا يظلّ التواصل الشعري، منظورا إليه من هذه الزاوية، نموذجا يسعى كلّ تواصل إلى تملّكه؟

- هانس- جورج غادامير:

يقينا. أعتقد من ناحيتي، أنّنا فعلا كذلك منذ أن أحسسنا ، ولو قليلا، بأنّنا نقيم في لغتنا. لقد بحثت دائما بالفعل عن إثارة جزء الحقيقية الكامن في تجربة اللغة الشعريّة وفي الفنّ عموما مثلما هو أيضا في تأويلية التواصل. فالموسيقى مثلا منظورا إليها من هذه الزاوية ، تمثّل أيضا إحدى الوعود الأساسية للمستقبل. لقد انفتح العالم الآسيوي ،و معه، العالم كلّه ، على الموسيقى الغربية وصار يحيا في هذا العالم. نحن هنا إزاء ظاهرة لم أتوصل أنا ، إلى فهمها في كل مداها، وربّما قد لا يوجد أحد بعدُ بإمكانه ذلك. لكن يوجد أكثر أيضا. لا نكتفي بأن نحيا ذلك. من الواضح أنّنا نبحث أيضا عن تجاوزها بخوض ا لمغامرات الموسيقيّة الأكثر جرأة . يكمن سرّ كل فنّ في هذا: ما نسمّيه فيه « تقدّما» هو أيضا باستمرار شكل من « العودة». هكذا تنكشف لأعيننا أشياء جديدة . لنفكّر مثلا ، في فن النحت الإفريقي وقد تعلّمنا كيف نجده رائعا في بداية هذا القرن. ولو تجرّأ أحدهم للتعبير عن إعجابه قرنا من قبل، لاعتبرناه مجنونا وحشرناه في مصحة عقلية. لقد أثارني موضوع الموسيقى بشكل مخصوص، لكن أقرّ بمحض إرادتي أنّ الأمر هو ذاته بالنسبة إلى فنّ الرسم. لقد منحتني باريس فرصة اختبار ذلك. فبعد عدّة سنين، أتيحت لي فرصة ، سنة 1993، بأن أقضّي من جديد بعض الساعات في المتاحف.و، حيث أنّ ذلك غالبا ما يحدث في باريس، و بعدما اطلعت على تشكيلة جدّ غنيّة ، انتهينا إلى الاطلاع على أحدث تطوّر الفنّ التصويري. نبدأ بحالة دهشة . وعلينا أن نستعيد ذواتنا حتى ينغرس ذلك فينا، ثمّ ، حينما نعود إلى الوراء، يضفي علينا الفنّ السابق بدوره أثرا يجعل ملامحنا مصفرّة. يمكننا أن نقطع كلّ هذه السبل في معنى أو في آخر. إنّها سبل الفنّ، الميزة الحقيقية للفنّ. إنّ تزامن التجربة الذي نعرف كيف نبنيه هو الذي يأخذ هنا قيمة جديدة . ليس لها بالمرّة مثيلا سوى تلك التي يدّعيها لنفسه بواسطة الدين، إنّ لها قيمة الإلهام.

لوحة «غارنيكا» GUERNICA لبيكاسو

سؤال: يمكن للحياة الاجتماعية ، العادية لو تُركت لشأنها ، أن تصير عملا فنيّا، لكن يمكن تنهار في انحطاط ثقافي أضحى عُمْلة يومية حينما نستغلّ دون تبصّر الاكتشافات العلمية والتكنولوجية المعاصرة لغايات مناقضة للفهم المتبادل. أليست التأويلية عاجزة عن أن تعطّل هذه الكوارث الحضاريّة؟

هانس- جورج غادامير:

هذا المصير الخاص بثقافتنا التكنولوجية وهذا التنظيم التكنوقراطي الذي يتّسع بصفة قويّة على كل الكرة الأرضية ، يوقظنا ويرفع من درجة وعينا مع ذلك و في نفس الوقت بالحريّة. يوجد في هذا الصدد مثال جيد، أستعمله بأريحية. لقد عثرت عليه في مؤلف لوالتر بنجامين بعنوان «العمل الفنّي زمن إنتاجيته التقنية»(3). يبين الكاتب أنّه في العالم الحديث، تحد ث مجانسة HOMOGÉNÉISATION اجتماعية جديدة مرتبطة بنظام عقلي جديد للعالم الاجتماعي. ويقول الكاتب بأنّ هذا العالم الاجتماعي لا يمكنه عندئذ أن ينتج ذاته إلاّ بإعادة إنتاجها بما أنّ الهالة الخاصّة بالفنّ ستختفي. هذا تنبؤ رائع خلاف ما يحدث ، ذلك أن ما نراه ، هو أنّنا نحسّ من جديد بهذه الهالة. إنّنا نرى الناس يندفعون قدما نحو الأشياء الأصيلة رغم كل الغزو الذي نلاحظه للمعاد إنتاجه. كان لابدّ من أن تُفهم هذه الهالة أحدهما الآخر(الأصيل والمعاد إنتاجه).انظروا إلى هؤلاء الزوّار الذين يتوقّفون ربع ساعة أمام لوحة قارنيكا GUERNICA. لماذا يظلون هناك ربع ساعة إلاّ إذا كانوا قد أحسّوا بهذه الهالة؟ لماذا سيتوقّفون إذا لم يستشعروها، يمكن لما هو جزئي حتّى في حياتنا، أن يصل إلى أن يعلن عن نفسه بفضل ملكتنا في الفهم التأويلي؟

لقد خضت التجربة بنفسي ، في كل مكان أكون فيه، عن الأهمية القصوى في الحفاظ على هذا الانفتاح. فنحن لا نحافظ عليه حقّا إلاّ حينما نصبح واعين بالعجز الجذري الذي سنكون فيه دائما أصحاب الكلمة الأخيرة. هذا هو في النهاية فيم تتمثّل التأويلية . إنها تتمثّل في معرفة هذا الأمر البسيط جدّا: الكلمة الأخيرة ، حسنا ، لا ، لا أريد أن أملكها.»

(هايدالبورغ 15 نوفمبر 1994)

مجلة: (GERMANICA 22- 1998)
ELFIE POULAIN ET JACQUES POULAIN
- المصدر: HTTPS://JOURNALS.OPENEDITION.ORG/GERMANICA

* - يمثل هذا النصّ الصيغة الأصلية للمحادثة مع هانس - جورج غادامير التي قام بها إيلفي وجاك بولان . وظهرت مقتطفات منه في جريدة لوموند ليوم 3 جانفي 1995 وفي FRANKFURTER RUNDSCHAU ليوم 11 فيفري 1995.

- الهوامش:

- -1 ملاحظة المترجم : عبارة VORLESUNG تعني « درس» ، « محاضرة»، غير أنّ دلالتها الاشتقاقية تحيل إلى فعل قراءة خطاب أمام مستمع.

-2 هانس- جورج غادامير « الحقيقة والمنهج»، باريس طبعة SEUIL ترجمة أ. ساكر وبول ريكور، 1973.وترجمة جديدة ل[. فريشون وج. قرودان ، باريس طبعة SEUIL 1995.

-3 الترجمة الفرنسية للمؤلف تعود إلى م. دي كوندياك في « الانسان واللغة والثقافات، باريس دونيال 1971ص 145 وبعدها.

من الذاكرة

حكايتي مع عم صالح القرمادي أو عمّ صالح كما كان يحلو لأصدقائه وطلبته مناداته

°الحلقة الأوّلى من الحكاية°

زهرة الحواشي

عندما نشرت مجموعاتي الثّلاثة الأولى وكانت تحتوي كلّ واحدة منها على ثلاثة مصاريع : عربية فصحى، تونسية فصيحة وفرنسية لفتت طريقة النّشر هذه انتباه بعض الأصدقاء الشّعراء وسألوني لماذا لم أنشر كلّ نوع لغوي على حدة .

فوضّحت لهم الأمر بأنّي قصدت هذه الطّريقة وفاء واعتزازا بتونس المتعدّدة المناطق والألسنة وبمنشئي حيث لغتنا الأمّ اي الدّارجة المحكية منذ الولادة وحتّى قبلها فالجنين في بطن أمّه يستمع إلى كلماتها وما يدور حوله .

ثمّ نحن نتكلّم اللغة الدّارجة في أوساطنا العائلية والإجتماعية والمدنية طوال أعمارنا .فهل منّا من ترك هذه اللغة وتكلّم مع أمّه أو أبيه أو أصدقائه لغة غيرها ؟

وأشير هنا إلى أنّ المؤدّب الذي عرفنا على يديه اللغة العربية الفصحى كان أيضا يتكلّم قليلا الفرنسية وكانت عديد الألفاظ والعبارات الفرنسية متداولة في أوساطنا العائلية وهي طبعا مخلّفات المستعمر.

ثمّ تأتي مرحلة التّعليم وفي مدارسنا نبدأ بتعلّم لغة الأدب وهي العربية الفصحى إلى أن نبلغ مرحلة معيّنة وندأب على تناول اللغات الحيّة وأوّلها اللغو

الفرنسية وبعدها الأنغليزية وغيرها.

إذن هذه الألسن الثلاثة كانت الأبجديات التي اعتمدناها في حياتنا ومن هنا جاءت قناعتي بأن أنشر كتبي بهذه الطّريقة.

وفي هذا الخضمّ علمت عن طريق الأستاذ سوف عبيد أنّ ما من أحد نشر أشعاره بثلاثة أقلام سوى أستاذه صالح القرمادي الذي نشر باللغتين العربية والفرنسية وكان يطعّم نصوصه من حين لآخر ويقحم ألفاظا تونسية بحتة يوردها في النّصوص العربية والفرنسية على حدّ سواء وحدّثني عن مجموعة اللحمة الحيّة التي تحتوي على جزءين جزء عربي وجزء فرنسي.

ومن هنا بدأت أبحث عن هذا الشّاعر الذي وجدتني أقتفي أثره دون أن أعرفه. - يتبع -

صورة تتحدّث

المنتخب القومي

تقولوشي الرجال وقتها ما عندهمش غرام بالرياضة و التشجيع و المتابع
كانو يتبعو في المنتخب (كي كان عندنا منتخب)
و يسميلك الملاعبية واحد واحد كيما هاذم
والمونديال ثمنية وسبعين والحماس و الجو إي عملوه
وقتها كانت كورة و كانت ناس تبع في الكورة

تونس أيام زمان

الخلود في الرسالات السماوية وأساطير الشعوب

الناصر التومي - كاتب

الخلود مطمح وجودي من يوم نزول خلق آدم، فقد أغرى إبليس آدم وحواء وهما في جنة الخلد، بالأكل من الشجرة المحظورة، وأن الله ما نهاهما عن ثمار تلك الشجرة إلا للحيلولة دونهما والخلود في الحياة، وأكلا منها لكنهما ما أصبحا خالدين، ولا ملكين، والأنكى من ذلك أطردا من الجنة لينزلا إلى منزلة المكابدة والعناء ليعيشا بعرق جبينيهما، وهكذا بقي الخلود أمنية وغاية وحلما، فالإنسان بطبعه ميال إلى الحياة، كاره للموت، فالحياة يعرف مزاياها، بينما الموت مجهول يكتنفه الغموض وهو يرى الخلائق توارى تحت التراب، ولم يعد أحد من الموت.

في العهد القديم وسوست الحية لحواء بأن الله ما نهاهما عن الأكل من ثمار الشجرة المحظورة إلا لمنعهما من معرفة الخير والشر- ويكونان شبيهين بالله في بعض مزاياه كالخلود مثلا، لكن حواء أعجبتها ثمر الشجرة فهو شهي وبهيج في العيون فتناولته وكذلك فعل آدم.(سفر التكوين/ الإصحاح الثالث)

قصة آدم وحواء وإبليس في القرآن

وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)(الأعراف).

الخلود في الأساطير السومرية(1)

يعتبر « أدبا « ابن الإله « أيا « ملك « أريودو « السومرية، أول الحكماء لكنه لم يكن خالدا، حاصرته الرياح فكانت لعنته أقوى منها فكسر أجنحتها، فاستدعي « أدبا « إلى السماء ليقف بين يديه والده « أيا « ونصحه بعدم أكل أي طعام في السماء، واستقبل من الإله « تموز» وعفا عنه الإله « أنو « ومنحه غذاء وماء الخلود، وتروي أسطورة أخرى اكتشاف « أدبا « أن نصيحة والده بعدم الأكل والشرب في السماء كانت تهدف لمنعه من الحصول على الخلود، وهي محاكاة تقريبا لقصة النبي آدم، حيث علم « أدبا « أن مصير الإنسانية سيكون المرض والموت.

(2)- أعطى الإله « أيل « للملك « دانيال « قوسا طرفاه يشبهان الأفاعي وقام ملك الحدادة «كوثار» بتسليم هذا القوس ل»عقت « وأرادت الآلهة « آنات « القوس على أن تجعله خالدا فرفض ذلك بتعلة أن مصير الإنسان الموت، فانتقمت منه الآلهة وقتلته وسقط القوس في المياه مع السهام الثمينة.

غلغامش يبحث عن نبتة الخلود(3)

غازلت الإلهة « عشتار»» غلغامش» لكنه رفضها فأرسلت ثورا سماويا للفتك به لكن «غلغامش « قتله بمعية صديقه « أنكيدو « الذي جرح وتوفي، فحزن عليه « غلغامش» فهام على وجهه في البراري عساه يجد طريقة للخلاص من الفناء، وقرر أخيرا اللجوء إلى جده الأكبر أوتانا بشتم» الذي أصبح من الخالدين ويسكن أطراف البحار المحيطة بالعالم، وحاولت الغانية « سيدوري» إغواءه ليشرب الخمر وهي تمثل إحدى صور» عشتار»، لكن «غلغامش» رفض، لكنه أصر أن يعرف من السيدة السماوية « سيدوري» مكان سكن «أوتانا بشتم» وزوجته في مكان سكناهما الأبدي، فعلم أنه يسكن خلف مياه الموت، وسافر إلى هناك بمساعدة الملاح « أوسانبي» بعد أن بنى قاربا وعبر المياه السامة، ووصل في نهاية المكان إلى مصب الأنهار وهو المكان الذي خصصته الآلهة « لأوتانا بشتم»، وبعد مغامرات عديدة تمكن «غلغامش» من الحصول على النبات من قاع البحار، وبدأ في طريق العودة إلى « أور» لكن غالبه النعاس في الطريق قرب حفرة ماء، وشمت أفعى الرائحة الزكية للنبات فسرقته وابتلعته وفجأة حصلت الأفعى على قوة خلع جلدها وأفاق « غلغامش» ليعرف أن مصيره سيكون الموت.

(4)» يما» في الأسطورة الفارسية يعتبر نفسه أصل العرق البشري، لكن «زرادشت» اعتبره خاطئا إذ قال - لإرضاء شعبه أعطاهم لحم الثور ليأكلوه - وقدم الضحايا لآلهة آخرين في مملكته بجانب الإله الحكيم « أهورا مازدا « وكان ثمن خطيئته أنه منح الخلود وكذلك أحفاده.

الخلود لدى قدماء المصريين

(5)كان الاحتفاظ بالجسد هاما عند المصريين القدامى للحصول على الخلود، إذ اعتقدوا بأن الاحتفاظ بالجسد هو الضامن لحياة بعد الموت، كما يؤمنون بوجود « البا» الروح وهي تأخذ شكل طير ورأس بشري أما « الكا» فهي حارسة الجسد ومزدوجة معه إذ تولد معه وتبقى تصاحبه في عالم الموتى.

الخلود لدى الهنود

(6)» أمريتا» ماء الحياة في الأسطورة الهندوسية وتم الحصول عليها بانحسار المحيط عندما قام « راهو « الشيطان بالحصول على رشفة من ماء الخلود فقام الإله « فشنو « بقطع رأس « راهو» لمنعه من الوصول إلى مرحلة القدرة التي لا تقهر. ولهذا الرأس المقطوع جزء من الخلود ويصور بشكل بشع له قرون وعين جاحظة وفكّان عريضان. وقد تم تبني ماء الحياة على اعتبار أنه طلسم ليحمي الناس من الشرور وتجد هذا الرأس في المعابد الهندوسية مثل « الغورغويل» التي تزين الكاتدرائيات في أوربوبا وتحمي من الشرور.

- يعتقد الهنود أن شراب « أمريتا « مثل شراب السوما وهو مشروب شعبي للإله « أندرا» ويعود صدى هذا الشراب إلى عهد الغزو الآري، أما « السوما» عصير الحليب الذي يستخرج من شجرة متسلقة كان يخمر كمشروب للآلهة والبراهميين، وذكر في « الفيدا مايلي « لقد شربنا عصير السوما وأصبحنا خالدين.

ويؤمن الهنود أن الخلود أيضا يخرج من سم الأفعى « أنانتا» ذات الألف رأس الساكنة في عمق المحيط وتخرج كل دورة حياتية « كالبا» بواسطة الالهة والشياطين الذين يلفون الأفعى حول جبل « مندارا» ويخرجون منها أكسير الخلود.

الخلود في الأساطير النرويجية القديمة

ورد في الأساطير النرويجية القديمة ذكر ثمار تفاح ذهبية، تمنح الخلود وتمكن الآلهة من الحفاظ على شبابها وحياتها الأبدية، إذ يرجع أصل هذه الأسطورة إلى إلهة الربيع « إيدون»التي كانت تحرس بساتين التفاح الذهبي، وفي إحدى المرات سرقت الثمار بعد أن خدعها أحد الأعداء، فبدأت الإلهة تزداد شيخوخة وتنحسر قوتها لكنها في النهاية استجمعت ما تبقى لها من قوة وخاضت معركة مع أعدائها تمكنوا على إثرها من استرداد ثمار التفاح واستعادة شبابهم وقوتهم.

الخلود في الأساطير الصينية(7)

تروي الأساطير الصينية قصة «صن ووكونغ « الملك القرد الذي اختير لحماية ثمار الخوخ التي تمنح الخلود لمن يأكلها، وفي إحدى المرات أثناء حراسته تطلع الملك إلى الثمرات وتناول إحداها فمنحته العيش ألف عام، ويقال أن أحد الأباطرة وزوجته هما من زرعا شجرة الخوخ التي لم تكن تطرح ثمارها سوى كل 3 آلاف عام مرة لذلك اعتاد الأمبراطور وزوجته إعطاء تلك الثمار للآلهة من أجل الحفاظ على خلودهما.

كما أشارت بعض النصوص الصينية القديمة إلى فطر الخلود بوصفه عنصرا رئيسيا يدخل تركيبة إكسير الحياة، وقيل إنه ينمو في مكان سري على قمة جبل « بينغلاي».

---

1) قاموس أساطير العالم ص 16.
2) قاموس أساطير العالم صفحة 22.
3) ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، ملحمة غلغامش(رحلة غلغامش في البحث عن الخلود).
4) موقع حراس الحضارة - عقيدة الموت عند قدماء المصريين. - أحمد السنوسي.
5) موقع معابر، الأساطير الهندية وأثرها في المنقول الثقافي الهندي.
6) موقع الصين اليوم - الملك القرد -

«فردة ولقات أختها» أو بيضة الديك التي لم تتكرر..

هل يمكن الحديث عن سينما تجارية في تونس؟

صالح سويسي

سنة 1978 أطلق المخرج التونسي علي منصور فيلمه الكوميدي الذي حمل عنوان «فردة ولقات أختها» وتقاسم بطولته لمين النهدي وأحمد العربي السوري.

وحقق الفيلم وقتها أرقاما قياسية غير مسبوقة من حيث عدد المشاهدين والمداخيل، ما يجعله أول شريط سينمائي تونسي يمكن اعتباره فيلما تجاريّا بكل المقاييس بما أنه حقق مداخيل كبيرة ولفت إليه الأنظار بشكل كبير ومازالت التلفزة الوطنية التونسية تَبُثّه من حين إلى آخر حتى الآن.

ورغم بساطة قصة الفيلم أو حتى سذاجتها حسب بعض المهتمين بالشأن السينمائي إلاّ أنّه شكّل علامة بارزة في تاريخ السينما التونسية التي قلّ وأن رسخ أحد أعمالها في الذاكرة الشعبية.

ومنذ ذلك التاريخ انتظر التونسيون سنوات طويلة ليشاهدوا أفلاما أخرى يمكن أن تستوطن الذاكرة لكنّها لم تنجح ذات النجاح.

قلة الإنتاج واندثار قاعات العرض

خلال الأشهر الماضية شهدت قاعات السينما في تونس إطلاق أعمال سينمائية جديدة وصفها صنّاعها بأنها تجارية، حتى أن أحد المنتجين قال إنّ فيلمه هو أول شريط سينمائي تجاري في تاريخ السينما التونسية وهذا طبعا غير صحيح باعتبار «فردة ولقات أختها» أول فيلم تجاري تونسي.

ولكن، هل يمكن الحديث عن تصنيفاتٍ مثل هذه في بلد لم ينتج على امتداد قرن من الزمن أي منذ فيلم «زهرة» لألبير شمامة الشكيلي سنة 1922 وإلى اليوم أكثر من 250 فيلما طويلا؟

وهو الرقم الذي أكده المدير الفني للمكتبة السينمائية التونسية هشام بن عمار الذي يشير إلى أنّ الأرشيف الوطني يتضمن حوالي 205 فيلما طويلا وألف فيلم قصير تم إنتاجها في تونس منذ سنة 1960.

وهل يمكن الحديث عن سينما تجارية أو غيرها من الأشكال السينمائية في بلد تقلّص فيه عدد قاعات العرض بشكل لافت جدا دون أي تدخل أو محاولات للإنقاذ من قِبل السلط المعنية؟

بين الخمسينات إلى التسعينات من القرن الماضي، كانت تونس تعدُّ أكثر من 120 قاعة عرض سينمائي في العاصمة والمدن القريبة منها فقط، دون اعتبار القاعات المنتشرة في مختلف جهات البلاد، فيما بدأ العدد يتقلص بشكل متسارع مع بداية الألفية ليصل إلى 15 قاعة تقريبا وربما أقل من ذلك.

ويكفي أن نعرف أن المدن التونسية الكبرى مثل سوسة وصفاقس لم يعد فيها قاعات سينما، ويلجأ الموزعون والمنتجون إلى قاعات دور الثقافة أو بعض الفضاءات الخاصة لعرض الأفلام.

كما أن الفُرجة عبر المنصّات المختصة التي تُتيحها مواقع الإنترنت لم تصبح بعدُ جزءًا من ثقافة التونسيين، والأهم من كل ذلك عدم توفّر إحصائيات رسمية تؤكد عدد مرتادي قاعات السينما أو منصات العرض في تونس، وهنا لا أدري إن كان من حقنا أن نتساءل عن دور المركز الوطني للسينما والصورة؟؟؟

الحديث عن سينما تجارية في تونس يتطلب الحديث عن التراكم، وهو عنصر غير متوفر بحكم أن الأعمال السينمائية التونسية محدودة رغم بداياتها المبكرة، وذلك راجع لعدة أسباب لعل أهمها عدم تعويل الدولة على هذا الفن واعتباره صناعة يمكن أن تساهم في الحركة الاقتصادية كما هو الشأن في الهند أو أمريكا أو مصر، رغم أن الدولة التونسية الناشئة إثر الاستقلال اشتغلت على تأسيس مؤسسات للتكوين والإنتاج، فضلا عن تأسيس واحد من أهم المهرجانات السينمائية على مستوى العالم وهو أيام قرطاج السينمائية التي تأسست سنة 1966.

الناقد السينمائي حسن عليلش

الناقد السينمائي منير الفلاح

وقبل ذلك بسنوات وتحديدا سنة 1957 تمّ تأسيس الـ«ساتباك» وهي الشركة التونسية للإنتاج والتنمية السينمائية، والتي كانت مسؤولة عن إنتاج وتوزيع واستغلال الأفلام التونسية واستيراد الأفلام الأجنبية، وفي العام 1983، تمّ إحداث مختبرات جديدة لسينما الألوان، بهدف إسداء خدمات تقنية للأفلام الأجنبية، التي وقع حلّها عام 1992، بسبب المشاكل المالية التي كانت تعانيها.

«فردة ولقات أختها» أو بيضة الديك

يؤكد الناقد منير الفلاح أن شريط المخرج علي منصور كسر كل الأرقام القياسية من حيث عدد المشاهدين والمداخيل، رغم أنّه لم يقم بدورته التجارية العادية لقلّة عدد القاعات وعدم انتشارها بكامل جهات الجمهورية».

ويواصل الفلاح «الكل يحكي على انتعاشة سنيمائية وحضور دولي مشرّف في المهرجانات العالميّة ويتحدثون عن أرقام قياسيّة للإنتاج والحال أنّ هذه الأفلام لا يشاهدها إلّا بضع الآلاف من المتفرّجين في عروض متناثرة هنا وهناك لغياب قاعات سينما جرّاء الغلق أو البيع...».

ويرى الفلاّح أنّ «السّينما في تونس «تمشي على رأسها» تنتج لجمهور افتراضي ومناسباتي لا غير، وهي اليوم تلفظ أنفاسها الأخيرة، هذا إذا سلّمنا أصلا بوجود صناعة سينمائيّة أصلا في البلاد، لأن الأمر لا يعدو أن يكون بعض أفلام (بمعدل شريطين أو ثلاثة في السنة) بالإضافة إلى مجموعة من الأفلام القصيرة تبقى حبيسة رفوف منتجيها ولا يشاهدها الجمهور إلّا في بعض المهرجانات».

ولعل ما جاء على لسان منير الفلاّح يؤكد مرة أخرى أنّ السينما التونسية، سينما مناسبات ومهرجانات تعوزها الإرادة الحقيقية لدى المسؤولين، فوزارة الشؤون الثقافية تكتفي بالمساهمة في الإنتاج من خلال الدعم الذي توفّره كل عام، لكنها لا تملك سياسة واضحة تجاه قطاع هام وحساس كالسينما، فضلا عن عزوف المستثمرين أو تخوّفهم من خوض تجارب إنتاجية قد تؤول إلى خسارات متتالية.

ويتّفق الناقد السينمائي ورئيس مهرجان سوسة الدولي لفلم الطفولة والشباب حسن عليلش مع الفلاّح فيما ذهب إليه ويضيف «ليس لدينا تقاليد فيما يسمّى سينما تجارية باستثناء شريط «فردة ولقات أختها» ولا أرى لها مستقبلا أيضا أمام تقلّص عدد القاعات وشُحّ القنوات التلفزيونية التي تبثّ الأعمال السينمائية، ليس لدينا سوق تضمن الجمهور والربح، رغم أن بعض المخرجين والمنتجين يتبنّون هذا النوع من الأفلام».

ورغم أنه يرى أن السينما ليست في عداء مع التجارة إلاّ أنّه يقول «بما أنّ كلفة الإنتاج السينمائي باهظة، فمن الطبيعي أن يطمح صنّاع الأفلام إلى تغطية المصاريف والربح أيضا وهو ما سيمكن من إنتاجات جديدة، وهذا لا يتمّ إلاّ إذا جمع الشريط موارد كافية من مداخيل القاعات إلى بيع حقوق البثّ في القنوات التلفزيونية إلى الاستشهار...»

ويعتقد عليلش أنّ «نعت السينما بأنها تجارية نعتٌ سلبي، يخص نوعا محددا من الأفلام التي يُعطي صنّاعها الأولوية للربح المادي بطرق تضمن الربح مسبقا من خلال اختيار ممثلين مشهورين، فضلا عن البحث عن الإثارة والمشهدية ووضع العلامات الاشهارية وذلك على حساب الهاجس الفني والخطاب السينمائي».

وفي كل الحالات، يسعى كثيرٌ من صنّاع السينما في تونس إلى تقديم أعمال تقترب أكثر من المتلقّي ويحاولون قدر المستطاع تجاوز فقدان القاعات وانحسار السوق التونسية، وبالمقابل لم تسعَ المؤسسات الرسمية إلى تشريح واقع السينما التونسية والوقوف عند ما آلت إليه والبحث في سبُل إنقاذ هذا القطاع الهام والذي يمكن أن يصبح صناعة تُسهم في الدورة الاقتصادية لو توفرت الظروف والقوانين والنوايا الطيبة.

البورتري في الفن التشكيلي المعاصر بين دلالات الوجوه وتباين التمثلات

إيمان بن ناجم (باحثة دكتورا)

يطرح موضوع «البورتريه» جزءا من تاريخ الثّقافة العربيّة، التّي تحلّل بعمق سيرة هذا الفنّ وأنماط حضوره وتطوّراتها، والتّأثيرات التي أثّرت وتأثّرت بأفكار مبدعيه من الفنّانين القدامى والمحدثين، فعادة ما يختلف الواقع الذي يراه الفنّان عن الواقع الذي يرسمه.

كثيرا ما نرى الوجه المرسوم حسب المنطق الدّاخلي للفنّان وحسب ألوانه المرتبطة بشخصيّاته، لا حسب الموضوع الشّخصيّة. وربّما لكثرة هذه الممارسات التّشكيليّة وقلّة الحديث عنها وتحليلها،

فكّرت في التّطرّق إلى هذا الموضوع. إذ لا يزال فنّ البورتريه يقتضي توضيح العديد من الجوانب الاصطلاحية والمفهوميّة، والاشكاليّات المتّصلة به وتقنيّاته وعلاقة ذلك بمفهوم المعاصرة التي ما انفكّت تستثمر العديد من المفاهيم كالتّشخيص، والتّشويه والغرابة... والدّلالات المرتبطة ب البورتريه. فتدفعنا جملة من التّساؤلات حول فنّ البورتريه في عالمنا العربي المغاربي عموما، ولدى بعض الرّسّامين خصوصا، لفكّ رموز بعض التّجارب والكشف عن خفاياها، بما أنّها تجارب لها خصوصيّاتها وكينونتها.

ولأنّنا نعلم أنّ تاريخها غير مدوّن بشكل منهجي واضح المعالم وفق قراءة تحليليّة أو نقديّة دقيقة، إذ لا نكاد نظفر إلاّ بالقليل من المقالات والبحوث حول تجارب بعض الرسّامين دون غيرهم رغم أهميّة التّجربة.

إنّ فنّ البورتريه هو لعبة ثنائيّة يتقن فيها الرسّام الحوار المتبادل بين واقعين: الواقع الذّي ينقله الرسّام، والمتمثّل في تقديم الشّخصيّة عبر ملامح الوجه، الذّي يحاول إظهارها من خلال واقع ثاني تخفيه الصّورة الشخصيّة، والمتمثّل في ذاتيّة الفنّان ووعيه بالبحث عن الشّخصيّة المقصودة الكامنة في شخص الموضوع.

في هذا الإطار سنعمل على رصد مفهوم البورتريه وتناولاته في هذا العصر، لينفتح الحديث فيما بعد عن التّقاطعات والتّفاعلات الجماليّة لفنّ البورتريه في الممارسة التّشكيليّة المعاصرة رغم أنّ الحركة التشكيلية المغاربية شهدت تدفّقا منذ أواسط الخمسينات، وحضور العديد من الأسماء المعروفة في الأواسط الفنيّة العالميّة، إلاّ أنّ البحوث في ميادين الفنون التّشكيليّة مازالت متواضعة نتيجة نقص المراجع وغياب المتاحف المختصّة بالفنون التّشكيليّة الحديثة في الكثير من البلدان العربيّة.

وبما أنّ الفنون هي امتداد للإنسانيّة فالفنّ هو فعل تتمّ به عمليّة النّقل أو النّسج من المادّة... هو انعكاس للعالم الخارجي أو العالم الدّاخلي، أو الاثنين معا...

إنّ عالم الفنون التّشكيليّة وما يتضمّنه من دلالات متحرّكة، لا يقف عند قوانين وقواعد محدّدة، فقد جاءت التّيّارات الفكريّة والتّقنيّات الجديدة للتّحرّر من الأنماط والقوالب الجاهزة، واستطاعت الرّؤى العقلانيّة أن تبدّل المعارف والنّظريّات، فتطوّرها بما يتماشى مع قضايا الإنسان ومشاغله، إذ ابتعدت الفنون التّشكيليّة عن النّموذج، لتقدّم لنا نماذج، تعبّر عن إدراك الفنّان لعالمه وعن قدراته الكبيرة على إعادة صياغته وتغييره. نتيجة لهذه التّحوّلات خاصّة على السّاحة العربيّة، أردت أن أطرح مسألة البورتريه، لا لتكون نتيجة لهذا التّفاعل وإنّما التّفاعل نفسه، هذه اللّحظات التّي تجمعنا، أي زمن الملاحظة والتّفكير، لحظة التّفاعل بين اللّوحة وما حمّلها صاحبها من أفكار في مواجهة لطريقة قراءتي لها.

أن تكون الوجوه في بحثي ناقلة قضايا عصرها ومجتمعاتها العربية المغاربية وأفكار صاحبها، أن تحاول الطّرح والتّساؤل للتّغيير، فما دام الإنسان مستمرّا، مادامت الأفكار متدفّقة عبر الوجوه. هكذا أردت أن تعكس الوجوه أفكار أصحابها وأن ترتبط الملامح بقضاياها.

فقد اتخذت الممارسات التّشكيليّة العربيّة لفنّ البورتريه آليات مختلفة للبناء التّشكيليّ، وأسّست نسيجا مفاهيميّا خاصّا بها.

فمميّزاته وخصائصه المتحوّلة في التجارب الفنية المغاربية تجعلها قابلة للعرض والتّأمّل في كلّ مكان وزمان.

كلّ هذه الأسئلة حيّرت العديد من الفنّانين فجمعهم هاجس قراءة الوجوه تشكيليّا، وباتت ملامحها ودلالاتها شغلهم الشّاغل، فكان لكلّ منهم قضاياه وأسلوبه الخاصّ، رغم وجود بعض التّقاطعات في تجاربهم. إذ يبقى هاجس الرّسّام الدّائم هو البحث عن التّفرّد والخصوصيّة في أسلوبه للخروج عن السّائد المألوف، فظلّ في حوار متواصل بين ذاته وذات الموضوع لتلتقيا في عمل فنيّ.

فاللّوحة بالنّسبة للرّسّام لا تقتصر في كونها وجها، بل هي تجربة بنائيّة لونيّة تمكّنه من الابحار في تفاصيلها للوصول إلى

غموض سمير بن قويعة 2018 50/40 صم

حميمية 30/40 صم سمير بن قويعة

الحالة التّي أرادها، والبورتريه يصبح هنا بوابة تسمح الدّخول في أعماق الشّخصيّة بمنطق تعبيريّ وأفكار متعدّدة على امتدادها الزّمني، فتحاول الملامح دغدغة تصوّراتنا العميقة والهروب بنا نحو قوى خفيّة نحاول اختراقها.

على عكس ما قد يوحي به الحيّز الضّيّق، فالوجه هنا بمثابة النّصّ البصري، لكلّ قارئ قراءته الخاصّة به. إذ يعتبر جيل دولوز، أنّ هدف الفنون التّشكيليّة هو «بناء مؤثّرات جماليّة غايتها التّأثير في الرّأي لإدراك أبعاد كانت غائبة عنه، وبالتّالي فالفنّ هنا ليس مستقلاّ بدوره، بل يكمّل الاطارات، العلم والفلسفة، حيث ينصهر الثّلاثة في بوتقة واحدة للإجابة عن سؤال واحد «ما الحقيقة»، السّؤال الذّي سعت كلّ نشاطات الإنسان من فجر التّاريخ للإجابة عليه»(1)

فالفنّ هو انطلاق تحرير المعاني عبر تشكيل انفعالات وأحاسيس تقاتلت لكشف حقيقة الأشياء في سبيل ذلك، يجعل الفنّان من الاّ مرئي والماورائيّ فنّا تشكيليّا مرئيّا، هذا ما وصفه دولوز في كتابه «ما لفلسفة» بأنّه المرور عبر اللامتناهي لاستعادته، فنرى من خلال فكره أنّ اللّوحة هي انفتاح على الأمريّ والماورائيّ من قضايا وتساؤلات ودلالات خفيّة، يحاول الرّسّام إيصالها عن طريق المساحات الملوّنة، وللبورتريه في هذا البحث قدرة لا محدودة على كشف دواخل النّفس وتحقيق التّواصل مع الآخر من خلال الالتقاء المتفاعل في الأفكار والقضايا الإنسانيّة لبلوغ المعنى.

هذا ما سنحاول كشفه من خلال التقاطعات الإنشائيّة والتّفاعلات الجماليّة لفنّ البورتريه في الممارسة الفنّيّة المعاصرة، هؤلاء الفنّانين الذّين جمعتهم الجرأة والتّحدّي، فكانت ممارساتهم التّشكيليّة المغاربية وفق تمشّي منهجي. فرغم تناولاتهم وثراء أساليبهم التّعبيريّة تبقى المساءلة المطروحة: ماهي الخصوصيّات الأسلوبيّة والتّمثلات التّعبيريّة الفكريّة التّي ساهمت في تحوير البورتريه؟ وإلى أيّ مدى حضيت هذه التّجارب التّشكيليّة بالقبول في المشهد الفنّي العربي المعاصر؟

إنّ أساليب الرّسّامين المتجدّدة المبتكرة أخرجت البورتريه من السّكون إلى الحركة، أو من مرحلة الحالة الصّامتة، إلى الحالة النّاطقة، فمع التّغيّرات التي يشهدها العالم العربي المغاربي، والمواقف التي يعيشها الإنسان العربي جرّاء هذه المتغيّرات، حاول الرسّام التّعبير عن مواقفه الإنسانيّة ورؤاه الفكريّة وخوالجه، لتعرف تعابير وجهه تنوّعا من خلال فنّ البورتريه فيتجاوز الرّسّام ملامح الوجه والخطوط الأساسيّة المكوّنة له إلى نقل قضايا عصره بأسلوب عميق. فاستطاع أن يعبّر عن حالات الاغتراب والعزلة، والانتظار، والملل، فيكون الاحساس ملامسا للمشاهد، ويصبح البورتريه مجالا لوصف الحالة، فيكون التّواصل لا فقط بشكل خارجي، وإنّما تواصل يعيش من خلاله المتلقّي حالة الرّسّام وواقعه.

ولكثرة الحروب والأزمات السّياسيّة والإنسانيّة بالعالم العربي حاول بعض الرّسّامين أن ينقلوا ذلك برؤيا فريدة للتّعبير

تكوين بشري 30/20 صم سمير بن قويعة

عمّا تعيشه الأمّة العربيّة من معاناة. ودفاعا عن حقوق الإنسان سعى الرّسّام العربي إلى التّفاعل مع قضاياه واستخدم كلّ آليّاته البصريّة لاستفزاز العقول بطرح تساؤلات، وتبنّي قضايا فكريّة من خلال البورتريه سعيا إلى التّغيير والتّأثير لا فقط على المنطقة العربيّة، بل رغبة في العالميّة، ممّا شكّل علاقة متينة بين التّوجّهات الفكريّة والسّياسيّة من جهة وبين التّجلّيات والممارسات التّشكيليّة من جهة أخرى، إذ استطاعت الفنون التّشكيليّة عامّة وفنّ البورتريه خاصّة أن يتحدّى الوضع الرّاهن ويخاطب العقول باعتبار أنّ الفنّان كائن متفاعل مع واقعه ومتغيّراته. فارتباط الرسّام بواقعه وتأسيسه لعلاقة متينة معه، قائمة على التّحليل بأساليب فنّيّة مبتكرة، يقترب من خلالها إلى تفاعل الإنسانيّة والبحث عن حلول لتطوير الوعي البشري.

يحاول الفنّان العربي تقديم رؤية معاصرة للبورتريه يستطيع من خلالها ابتكار صياغة تشكيليّة حديثة محافظا عن هويّتها العربيّة، ومثيرا حواسّ المشاهد، دافعا إيّاه إلى التّفكير بنفسه وبقضايا الإنسان ليكون فاعلا من أجل التّصدّي والتّعبير واستطاعت الثّورات العربيّة أن تنسج منوالها الفنّي. وهذا ما طرحته النّدوة الفنّيّة العالميّة الثالثة بمعهد الفنون والحرف بصفاقس في موضوعها العام الممارسات التّشكيليّة والثّورة.

«Si l'art se pose effectivement dans ce dialecte qui la relie infiniment à ses temps présent». (2)

أراد الرّسّام العربي الابتعاد عن الممارسة الكلاسيكيّة في فنّ البورتريه فاسحا المجال أمام التّعبير عن الانفعالات والرّؤى المعاصرة، لإعطاء حرّيّة مطلقة لتعابير الوجه الإنسانيّ، ليصبح قضيّة حوار متبادل يلتقط فيه الرّسّام حقيقة الواقع من خلال وصوله إلى عمق الشّخصيّة.

ففي البداية بعد أن كان القصد من البورتريه إظهار التّشابه بين الشّخصيّة واللّوحة في حوار متبادل بين الرّسّام والشّخص المرسوم (الموضوع)، ويقول الرّسّام السّوري طلال معلاّ في حديثه عن فنّ البورتريه «إنّ ما يراه الرّسّام ليس الواقع الذّي يرسمه، إذ يعتبر كلّ من اللّوحة والأصل كيانين مختلفين وإن تشابها، إلاّ أنّهما يتعايشان في اللّوحة، ويحاول كلّ منهما أن يبرز المعنى المقصود، فاللّوحة لا تشبه كلّ تفاصيل الشّخص المقصود الموضوع، بل تأخذ سيمات الفنّان وخصائصه الإبداعيّة إلى جانب الموضوع الأساسي»(3)

بالتّالي فإنّ لكلّ رسّام أسلوبه وتقنيّاته في نقل الصّورة الذّاتيّة، فلحظة الرّسم هي لحظة تخطّي الواقع المرئي للرّسّام، وقوفه أمام لوحته هو وقوف أمام كلّ اللّحظات لاستحضار قضايا عصره، فللّوحة كيان داخلي يخفيه الوجه الخارجي على المتلقّي كشف جوهره، وقد استطاع البورتريه في الفنّ العربي أن ينقل لنا صور السّياسيّين والفلاسفة والفنّانين والعلماء، والقادة والشّهداء، نقلت ملامحهم وصفاتهم على مرور الحقبات الزّمنيّة المتتالية، وربّما ما يميّز البورتريه العربي هو اعتباره بمثابة طريقة لتصعيد ما يعانيه الفنّان من تقييد وكبت للحرّيات، وظلم الحكّام واستبدادهم.

والحقيقة التّي تؤكّدها مختلف المراحل أنّ البورتريه في الأصل، هو تمثّل لذاتيّة الرّسّام التّي تظهر في وعيه بالبحث عن شخصيّاته، وطرح أفكاره من خلال قدرته النّقديّة. ففي حين مثّل القرن التّاسع عشر ضرورة الارتباط بملامح الشّخصيّة، إلاّ أنّ الفترات المتتالية وما عرفتها من توتّرات سياسيّة واجتماعيّة، اتّجهت نحو نفي الموديل من حضوره.

فاعتمد العديد من الرّسّامين على قدراتهم التّخيّليّة المتّصلة بمجالاتهم التّعبيريّة، ممّا سمح بقراءة بصريّة عميقة على صلة بالحركة وعدم الاستقرار الذّي يعيشه الرسّام، نابعة من تجاربه ومتابعته الفلسفيّة.

هذه التّجارب التّشكيليّة التي لم تكفّ عن طرح الأسئلة في محاولة منها للبحث عن أجوبة. فمن خلال البورتريه أراد الرّسّام أن ينبّه إلى التّفكير وإعادة النّظر في العديد من الأحكام والمفاهيم التّي سيطرت على الفنّ العربي ومثّلت عائقا دون تقدّمه.

جاءت هذه الممارسات التّشكيليّة العربيّة الحديثة لفنّ البورتريه لتمتّن العلاقة بين الأسس الجماليّة الماضية والقوى الفكريّة الحاضرة، فتشكّل له ملامح جديدة في الفنّ التّشكيلي العربي المعاصر. فإن عمل البورتريه في الفنون التّشكيليّة الغربيّة على فضح القيم الجماليّة المزيّفة، فإنّه يتوجّه نحو البحث عن الشّخصيّة الجماليّة الذّاتيّة في الفنّ التّشكيلي العربي، فيعمل الرسّام على استجلاء البورتريه داخل البنية الفكريّة العربيّة بطرح أسئلة وقضايا وجوديّة معاصرة للارتقاء إلى مستوى عالي من البحث والنّقد.

فهل تكون الوجوه مجرّد تعبير عن اتّجاه تشكيليّ تعبيريّ في اللّوحة؟ أم أنّها أداة للتّعبير عن اتّجاه فكريّ فلسفيّ؟ فيعتبر البورتريه كيان يسعى إلى الانعتاق والتّحرّر من ملامح وتفاصيل الشّخصيّة، ليعبّر بجنون الإبداع وأفكار المبدعين وأساليبهم التّعبيريّة الثّريّة، فيمثّل عمليّة انبثاق من الوعي المقيّد إلى الفكر الحرّ، لتصبح المادّة فلسفة يعشقها الوجود الإنسانيّ ويبحر في تفاصيلها، ويصبح الوجه مغامرة يقودها الرّسّام من أجل مواقفه وأفكاره.

---

(1) qu'est-ce que la philosophie, édition Minuit, 1983, p 23-Delleuze (Gilles -

(2) - «Pratique artistiques et révolution : Nouveaux contextes, nouveaux paradigmes «, troisième colloque international de l'ISAMS, 13, 14,15 Avril 2012

(3) - معلاّ(طلال)، الصّورة الشّخصيّة دار خطوط وظلال الأردنيّة، 2022 4241

«الحكمة» في الشّعريّة الشّعبيّة الشفويّة التونسيّة:
نماذج ومحطات

منذر العيني

إنّ التجربة الإنسانيّة في الحياة تُدوّن خلاصتَهَا الأشعارُ والأمثالُ والأحجياتُ الدّفينةُ. فالعلامةُ اللّغويّة فيها تختزلُ التّأويلَ في بيان السّيرةِ وتشريح الواقع تستوجب آداء الفطنة وبديهة الإصغاء والتقبّل.

لقد دأبت الشّعريّة الشّعبيّة التّونسيّة الملحونة على الإستغراق في التّقكّر وصقل مفرداته حتّى تباشر الإتّصال بالمتحوف من اللّفظ والمحفور من الملائم حتّى ينفذ بسرعة البرق إلى المتلقّي وقد تماهى مع تجربة المتلفّظ الشّاعر الّذي إذ ينظر إلى تجربته في ترسيخها عبر إسناد الموعظة وقضاء الحكمة وهو في الآن نفسه يناظر وجههُ الآخر المنصت حتّى يُعلّمَهُ وَيُدنيهِ من تلك التجربة ويحذّرَهُ وينبئُهُ . والمواضيعُ إذ تتوزّعُ أو تتنوّعُ تقفل على النّبوءة الحدسيّة وتختم بالدقّ في نغميّاتٍ تكون في الإستهلالِ في المطالع أو في العتباتِ في وزنيّة «الموقف» أو على الأعراف بين ثنايا «الملزومة» أو غائرة في جرسيّات «المسدسيّات» أو مشرفة على تخوم «القسيم» أو «العروبيّات».

غرضٌ لا يكون مستقلاّ بنفسه إلاّ في ما ندر بقدر ما نجدهُ مندسّا شاهرا ضوءهُ بين الأعطاف أعطاف السّرديّات المقتضبة للرّحلة أو المغامرةِ لأنّ من خصوصيّة المنزع الحكمي أن يتظافر مع مردوديّة النسق الحكائي المخصوص في الحيّز الشّعري فيرفد التجربة بالمثال ويعزّز الصّوت بالبرهان ويغرز الإبرة في التّماس حتّى تنغلق دائرة لتنفتح أخرى حتّى يصدق المسرح ويعلو الإنفعال في ملحميّة مخصوصة لا يفهمها إلاّ ذوُو البصائر ولا يتغذّاها إلاّ ذوُو فهم عميق ولا يتلقّاها إلاّ ذوُو إنصات رصين وفي هذا عين وجارحة وفي هذا أذن وصائغة.

في سياق معرضنا لهذه الضروب من الأقوال الحكميّة تتآلف جملة من الصياغات البنيويّة المشتركة في تكوين القول الحكمي آنطلاقا من معجميّات مشتركة يدور سجلّها حول»الحياة والموت والإنسان والوفاء والخيانة والحدود والصروف والإعاقة والزّمن والمعاشرة ...»شظايا تنويعات للمواضيع فرّعت أدوات بلاغيّة حفزّت «الأمر والطلب والأسئلة الإنكاريّة والتحضيض والتحذير والإستدراك والوصل والفصل والتعجّب والإلتماس..»للهيمنة على المجال الخبري ليغدو إنشاءً اتخييليّا من شأنه أن يوسّع طاقة الإنتباه ويرسّخ مراسم الأخذ والتقبّل قد زادتها المحسنات البديعيّة زخرفة حيث ينثني القول على القول بالجناس والطّباق والتورية والسّجع والكناية فتدور الإبرة على نفسها لتعقد أوشاما بارزة رائقة شعارها العقل الّذي تحرّر من غواية النّفس بلسان الإيقاظ في أجراسٍ تتدحرج لمّاعة تشربها الآذان وتداعبها القسمات.

نموذج من الـ»العروبي» قول لمحمّد التّونسي

أصلْ الكلام ليه تمييز
والحرّ يعطي الحزازه
والزّيت ما يجيشْ م القيز
والصّوف فيه الفرازه
والجري ماهواش تنقيز
المبّكر ياخذْالبرازه
مآهواش كالحارث قفيز
كالصّاع وسط حوازه
الكلام مثل الدّرابيز
مهبولْ يعفس قزازه

الكلام لم يكن صعبا على الكلام ليحدّد معالم الطّاقة الماثلة للعقلنة في آداء الحالة التواصليّة .

في موضوع الصّبر : يقول الشّاعر في طالعه»الجريدةْ» :

الصّبر فيه نْجاحْ
والّي صبرْ ينالْ
بعدْ الشّقاءْ ترتاحْ
ما يدومْ حتّى حالْ
في «القسيم» لأحمدْ ملاّكْ

إلّي ما يعرفشْ كيف يساوي
يفسّد شغلهْ بيهْ هبالْ
ترخص نفسهْ بِحْسبوهْ دعاوي
لا عادْ يسوى سومْ بين رجالْ
خيارْ المعلّمْ تشبحهْ صنعاوي
وفي صنعته يتبرّموا الأشغالْ
خيارْ الطّبيبْ لكلْ مرض يداوي
يكونْ عارفْ ينفع المعلالْ
فوق المواجع بالمحاور كاوي
يجلّي على القلب العليلْ اهوالْ

في «المحدور» كانّه ماخوذ من الإنحدار شبهوا إيقاعه بالسير المنحدر يقارب إيقاعه إيقاع الحمروني نسبة لقبيلة الحمارنه : عيفْ الدّنيا
الّي تبيّنْ صَدّها لا ياتيكْ غيارْ بعدْ صدودها
احمدْ ملاّك الذّي ملك الحكمة حتّى غدا مشهورا في أشعاره يشرع في طالعٍ :

آشْ كلّفكْ يا الإنسانْ
علْ شيءْ ليسَ تطيقهْ
باب الادب ليه كهّان
يحبّوه أهل الحقيقة
وإلّي حواليهْ كتّانْ
باطلْ يخشْ الحريقهْ

يستمرّ ملاّك في هذه الملزومة الأسطورةْ التّي نأت عن مالوف الحدث الحكمي وذلك بآستقلاله كغرضٍ نابٍ ضارب في الوصفيّة الدّامغة كشأن تعليميّ مستقلٍّ مجاوزا للمساحة المخصوصة ومجاورا لتراتب السلوكات الأهداف مُحاورا الذّات وهي تخوّض في الذّات أمام المرآة والضّمير.

أليفْ أوّل بدايهْ بآسمِ
الإلهْ بدينا
يا سامعينْ الحكايهْ
زيدوا الصّلا على نبينا
نرجع نردّْ الوصايهْ
تجلّي النّكدْ والغبينهْ
والّي خطاتهْ القرايهْ
راكبْ سفينهْ غريقهْ

الباءْ بَدْوْ فتْحْ الأبوابْ
ساسْ الأدبْ والصّوابهْ
تعرف الرّاجلْ بالاصحابْ
تلقاهْ مثيلْ صحابهْ
ومن كثّرْ جمع الأحبابْ
توقّعْ عداوة عقابهْ
يولّي مع البعض يخيابْ
وتصيرْ الاعداءْ قرابهْ
إذا تبدّلْ طريقْ الألعابْ
كلّ لعب تبّع طريقهْ

التّاءْ تركْ السويّاتْ
هِمّة بنادمْ سكاتهْ
والرّخص للعبدْ ذلاّتْ ..
لِأهلْ العقولْ الثّباتهْ
والضّحكْ من غيرْ عجباتْ
قلّةْ ادبْ في حياتهْ
وإلّي ما يقراءْ العاقباتْ
ما يِسْلموا عاقباتهْ
ومن خالطْ جمعْ الازْفاتْ
عمّل على ليثْ ريقهْ

الثّاءْ ثلّثتْ الاثلاثْ
الأَيْمانْ جاب الثّلاثهْ

ومن ياكلْ أرزاقْ ورّاثْ
تقعدْ أرزاقهْ وراثهْ
ومن عاشْ فيها بالأخباثْ
منها خرجْ بالخباثهْ
ومن كانْ بالسرّ حدّاثْ
تظهر عليهْ السّريقهْ

الجيمْ جوّدْ الأزواجْ
تطلعْ أولادكْ نتاجهْ
باري الطّمعْ كيفْ تحتاجْ
العبدْ للّهْ احتياجهْ
لا ينفعكْ بحثْ ولْواجْ
على شيءْ ما يجيبْ حاجهْ
القسمْ ما يجيشْ بِهراجْ
استقنعوا باشْ ما جا
يفوزوا أهلْ الاستدراجْ
يبقوا على فرْدْ سيقهْ

الحاءْ حرْكاتْ الأرياحْ
ريحْ الفلكْ فيهْ راحهْ
ساعاتْ بالخيرْ يباحْ
وساعاتْ تكثرْ شحاحهْ
ومن كانْ في النّاسْ جرّاحْ
في القلبْ تنفذْ أجراحهْ
اتْفكّرْ المــوتْ ترتاحْ
تنسى الهمومْ الغميقهْ

الخاءْ اَخْطَ جميعْ الاوساخْ
على الجلدْ يظهر سباخهْ
ومن كانء في الجمرْ نفّاخْ
في الرّاسْ يوقّع دواخهْ
ما اهبلْ هواديق الأشياخْ
يترقبوا في الشّياخهْ
ومن كانْ ع النّاسْ فيساخْ
لازمْ يجي من يعيقهْ

ويكمل احمد ملاّك ملحميته الوعظيّة إلى حرف الياء متبّعا خطّه الفريد في التدّرج الأبجدي في صياغة تنظيم الطلب التنكريّ الّذي يعتمد فيه على المركب الموصولي شأنه في ذلك بما تُذكّرنا به الشّعريّة الجاهليّة ما أتاه زهير بن ابي سلمى «ومن ....ومن....»

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
وإن يرقى اسباب المنايا بسلّم
ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذمّا عليه فيندم

حكم وعبرٌ تواترتْ عبر المدوّنة الشّعبيّة نواصل عرضها وآقتفاء أضواءها إذ كيف لها أن تحيط الخواتيم وأن تزخرف المساحة ضاربة في العمق وجدان المتلقّي وهو يتابع سيرة الشّاعر أو سيرة شخوصه تمثيلا متواريا أو ضمن آستعاريّة كبرى تروي الحادثة المفردة لتكرّرها أداءا تعبيريّا للجماعة حيث الأديبُ يتوسّط («سعفاه» :المردّدان) مردّدَيْهِ وهما يتلقّفانهِ باللّازمة المشروطة بينما الحِكمُ مرصّعةٌ في تداوُلٍ مستمرٍّ داخلّي يغري بالمتابعةِ والإيجابِ حياةً داخليّةً ودروسا خلاّقةً تلزمُ بالخبرَ والطّلبِ أخلاقيّاتٍ جديدةً في التصرّف الحياتي تجاه المصاعب والاتعابِ على مشارف المستقبلِ نظرا وتحقيقا مبنيّا بالمفردات المختارة الرّاسمة للشّخصيّة المأمولةِ وقد أخذت الخبرةَ ووعتْ الملاطمَ والمشكلات في ترادفٍ تأثيريٍّ بالغ بين الشّاعر والمنصتين أو ليسَ هو لسانُ قبيلتهِ أليسَ هو ديوانُ حياتهم. حياتهُ حياتهم وتجربتهُ ملخّصاتهم لذلكَ يركن غصن الحكميّات بين أعراف شجرة أقواله أو أبياته وهمْ شهودٌ وعيانٌ يسبقهم فيلحقونهُ بالتّرداد حتّى ترسخ الحكمة وتجري على الألسن فيحفظها الزّمان ويرثها التّاريخ.

مثال: بورخيص الدّغاري ولد بتطاوين وصف الملاحم حتّى اضحى من فحول الشّعراء فآستلهم من الخبرات والمطبّات .يقول:

يا قلْبْ هابْ الهمّ والهلواسْ
بالكْ فجاجْ الرّيحْ تنزلْ فيهْ
من ينزلهْ يقعدْ بغيرْ لْباسْ
لازمْ يشرّكْ جُبّتهْ وحواليهْ
خوذْ الثنيّهْ وتبّعْ الكيّاسْ
كيفْ يعْرضكْ كافْ الوعرْ حاذيهْ
اعملْ روحكْ مثلْ بوغطّاسْ
المنقارْ لوطهْ والظّهرْ عليهْ

شاعرٌ آخرٌ كانت له صولات في الشّعر الحكمي هو العربي النجّار من مواليد العالية بنزرت اهتم بالمعارضات فأجادها .

اعطي الغلبْ وسلّم
لا تذوق سرب عذابْ
إذا كنتْ عارفْ وخّر
لا يضيمكْ الهزبْ
ونسالكْ خبّرني
على شيءْ فيهْ تجرابْ
تعرفهْ الموالي
آشْ فيهْ ينسحبْ

أصغى قولْ في المحبوكْ
خوذَهْ تقضي بيهْ من حاجهْ
اسمعْ قولي وآحسبْ أنا بوكْ
وصّيتْ ووصايتي نتّاجهْ

اتّصنّتْ هذا الطّريقْ
وشوفْ صنوفْ غريبهْ
ثمّة في النّاسْ اللّبيقْ
متحذّر ذرّ من غِيبْتَهْ
يلعبْ لعبهْ يجيهْ سيقْ
وحدهْ حدّدْ رِيبتَهْ
وثمّة في النّاسْ الزّليقْ
يفوتْ الحدّْ بخيبتَهْ

على هذا النّحو يحذّر الشّاعر من مغبّة الرضوخ للطّمانينة والسّلامة وبذلك يوّلد منحى آخر للتّجربة الشعريّة الحكميّة يقول

الْ ما يفهمْ ما يقرّي درسْ
والمتفطّن يفهمْ بالعينْ
مع صاحبكْ ما تكبّرْ نفسْ
حتّى تِلْقى للدّخولْ منينْ
خُلطةْ سارقْ من شروطْ الحبْسْ
وخلطةْ عالمْ من علومْ الدّينْ
أرضْ السّيخهْ ما تنبّتْ غرسْ
وأرضْ البكْرهْ يجي شغلها زينْ
الذّهبْ الصّابي ما يجي م النّحس
والفرفوري ما يجي م الطّينْ

مازالت الخزينة الشّعريّة الحكميّة التونسيّة زاخرة تلوّن مقاماتها من وتر إلى آخر تعيد حياة المجرّبة في مسار العالم المتغيّر فتُرسِب الوقائعُ أحجارها في مجاري الثواني والاوقات متفقّاتٍ حول المواضيع تلك هي محاورة الحياة للذات المفكّرة الشّاعرة في آن تتفكّر الهزائم وتعتبر من الدّروس فتصدق العبارة ويتنامى الأخضر الحكميّ بين الأحراش الحكائيّة للسّير الذّاتية والتجارب الجماعيّة ضمن تدقيقات للقوليّات مختصرة مكثفّة في آن تمهل حالة الإنصات مقامها في اللّهو والحدثان ولا تهمل ساعتها أو نواقيس إتيانها عند المتلقي وهو يجاسر نفسه سرّا «هذا ما يحدث فعلا هذا ما يحدث فعلا» .

معجزات دقيقيّة طريفة في منابتها المقاميّة أحاطت باللّغة حياة وكينونة وطوّقتها من داخلها الإختياري للملفوظات فتجانس خارجها وداخلها وصدقت فأضحت معادلة رياضيّة تجابه الزّمن وتحتويه .تلك هي دروس الشّعر الإعتياريّة منحى تعليميّا خالصا من شعريّة شعبيّة تعلو ويعلو آنفعالها في المجالس والمحاججات .

نختم في معرضنا هذا بالعودة لأحمد ملاّك في ملزومته : الصّبر عجرم مرّ في ذوقانهْ

الصّبر عجرم مرّ في ذوقانه
وماذا تحلو عقوبة التّصبير
العبد مفتاحْ الضّميرْ لسانهْ
الصّمتْ حكمهْ والعقلْ تدبيرْ
الرّزق عمرو ما يجي بشطانهْ
ولا يجيبوش الحوز والتغويرْ
ابنْ آدمْ يديرْ النّاسْ في ميزانهْ
ويفرّزْ الفضّهْ من القصديرْ

مازالت الدّراسة لا تفي بالإحاطة دائما في هذا المشغل المحفّز للإستقراء :شعريّة شعبيّة زوّجت الطّرافة بالتفكير وراكمت التجارب بالتعبير فكانت حصيلة ثريّة لا ينالها الصّدأ ولا تبليها المواقيت. صداها فازع دائما بين الأرجاء واثقة هذه الشّعريّة بين الاغراض تعطي اللّمعان والعيار.

فضاء الإبداع

شعر

مرثية حلّاج البلاد

زهرة حواشي

الفقيد العزيز علّالة حوّاشي
رحل الحلَّاج
من يرتدي جبّة الله !!
ها قد نزعتّ الجبّة
وملصتَ عن كفّيك أعنّتك
وتلحّفت الخلود
خبّرني حلاّجَ البلاد
كيف عبَرتَ الرّحلة
هل هدوء وسلاما
ام ضرّك كسرُ القيود
رأيتك حين تدثّرتَ
و الفصل صِبًا بهيّا
كنت تزرع حبّاتِ المعاني
فتزهر قبل ميعاد الورود
و في كفّيك تطعمُ الطّير
تسقيه من المجد العتيد
و رأيت جبّة الله
حثيثة الخطوِ إليك
كانت كساءَ النّور
لتسابيحِ الوجود
خبّرني حَلاجَ البلاد
لم استعجلت الرّحيل
لو تمهّلت قليلا
نمشي بالدّرب قليلا
فلمْ نسر إلّا قليلا ...
أبِكَ الجبّةُ ضاقت
ام ترى باتتْ هباءً
أم هو زيْف الرّفاق
و انتكاسات الآماني
بعد نُكثان الوعود
لمَ أودعتَ الرّسائل
في متاهات الصّدى
في كهوف تتلاغى
بأعاصير الجُحود ....
ها مآقيّ تجود
اغرقت ماء السّبيل
سأل أحقّا؟
أمزاحٌ أم رحيل ؟
قلت بل أغسلُ عيني
من قذى رمل دخيل
ههنا بين ضلوعي
صرحُ حلّاجي الجميل
دونه خفقانُ قلبي
إذ بِنبضِه مستقيل
يمرحُ كالطّفل يرنو
لرُبى شمس الأصيل
يتهادى في ابتسام
يزرع الودّ الأثيل
شامخ الهامة شمسا
بات يخشاها الأُفول
حالما حلم إلاهٍ
عاشقٍ ليلى البتول
يذرو مِن طيبِه ريحا
و بَخورا لا يزول
يملأ كأس الشّهيد
برواءٍ سلسبيل
و يطوفُ الليل نجما
ساطعا شهما أصيل
حاملا زيْن الهدايا
تبهجُ القلب العليل
من قطوف قد سقاها
لجّة العينِ الأسيل
أي حبيبي يا ابنَ أمّي
طبْ مقاما ومناما
أوَ تمحو لحظاتٌ
رحلةَ العُمر الطّويل !.

تقوى

عثمان بالنائلة

كلّ أيام الله موعظة
خير غالب و سوء منزلة
تبارك المولى
و سيئت أهواء
و لُطف و إن تعدّدت
ذنوب و زلّات
لا شرّ يدوم
و إن تلفّح بخيرات
فذكر العزيز
حظٌّ و تبجيل
كلٌّ مُبتلى
فطوبى لمن صبر
و اِتّقى المولى
ذاك وكيل الصالحين
وتبرئة
تقدّس النور
وتقدّست أسماءه الحسنى
فهو النصير
إنّا له و إليه الرجعى
طوبى لمن نال الرضا
و فاز بمقربة
فالله شفيعه
يوم لا شفيع يطاع

ثبات

سامي مسلماني

في الاغلب
لا اريد ان اترك الدوائر
بيد
الغيب.
اشتهي،دائما،ان اكون
لونا من الوان
حقل
يهدهد فان غوغ،
استهتر بالغيم الخجول
يرى الشرف في المحاولة
واتطلع كطفل الى تلك الحسناء
الثابتة وراءه،
كعبّاد الشمس
اراها واوجه وجهي نحوها
حتى وان غطتها
الظنون.
الغيب كالليل
يتربص ببقايا
ضوء
يلاعب نهرا
نصف مائه
دموع مجهولة،
لذلك ارتب الكلمات
على صفحات من هواء
اتنفّسها كمشعوذ
وانفثها كملاك
قبل
اللهاث الاخير.
انا لست هنا،اقول للغيب،
واحمل راسا بين كتفيّ
واضع اخر على رفّ مهجور
بين الكتب،
يمكنني،في اي لحظة
ان اعوّض المحمول
بالمهجور
كي اخاتل الغيب
واتحيّل عليه،
ساسخر منه حين
يقطف راسي
المقطوع
عوضا
عن راسي
المعلّق
في شجرة.

ماذا لو ؟

نصر العماري

ماذا لو عُدنا كعصفورين
كما كُنّا؟
ماذا لو رجع الزّمان بنا
حيث كُنّا؟
كشحرورين «نُسَوْسِي»
بِألفِ غُنّةو غُنّه
نسبح في سماء الله كيف نشاء
نلوّن قوس قزح
نرسمه باقة قُبل تحت
زخات الشّتاءْ
ماذا لو تُلقي النّسائمُ عطر
قميصك على عيون الذكرياتْ؟
كُنّا نتعانق كمرجانتينِ
نتدحرج كمحارتينِ
على كفّ الرّبيع صباح مساءْ
وكان الخريف
يتراجع خجلا
من مسبحة الفصولْ
وجبينه يتصبّب اعتذارا وحياءْ
ماذا لو ؟
نلتقي دون انْ نرتّب اللّقاءْ ؟
ماذا لو نُراوغ كتّاب التاريخِ ؟
وحرّاس المرورْ
ماذا لو نمتلك تذكرة العبورْ
كُنّا نخترق الفضاءْ
كُنّا نحترق كفراشتينِ
نذوب كما قمرينِ
في رحيق النّقاءْ
ماذا لو حين تضحكينْ
تُعانق سنابل الشّمالِ
نخلات الجريدْ
كانت مياه مجرده
تُطهّر الايادي
ويختفي اللّصوص من بلادي
ماذا لو ؟
نستفيقُ من أحلامنا
ونبقى كعصفورين
كما كُنّا
ويعود بنا الزّمان حيث كنّا

نص لن يكتمل

وليد عبد الحميد العياري

أنا لست شاعرا ولآ كاتبا
أكره باعة الوهم
وشيوخ الفتن
وتجار الدين
وأذيال المستعمر...
أنا ابن رجل شريف عاش كريما ومات عزيزا...
لا أهاب شرذمة من المنافقين والحاقدين
وعبدة النصب...
من جيل نفرح للحلوى ومن اللعب بالكجات وبالتراب لا نتعب...
حين أكتب نصا فهو غنيمة وفكري ينتعش بمعاقرة الكتب...
في كهف التجلي أرتل آيات من بديع الكلم على مسامع الملائكة..
أنا رجل مجنون أعشق وحدتي وفيها أكتشف مكامن فطنتي...
مازلت أبحث عن ذاتي داخل بواطن النفس والفكر...
كل ليلة أنسج تفاصيل حلمي وأحتفي في منامي....
لا تهمني خزعبلات ولآ تفاهات ولا ترهات ولا حماقات...
من رحيق عباراتي أتعطر ومن رائحة الطين المبلل بماء زلال أنتشي...
أيلول ولدت فيه وفيه أتنفس شعرا وإلى عالم القداسة أرتحل...
أنا عابر سبيل...لا أتسول حضورا في مهرجانات الأدب...
يكرهونني أو ربما لا يروق لهم ما تخطه انامليِ
أنا لست شاعرا ولآ كاتبا وكل الحروف تحررت من سجني...
وكل الكلمات هجرت قريحتي وبقيت أسبح في منتجع من العدم..
أنا لست مروضا للقوافي ولا نبيا أطبق رسالة البحور الخليلية..
لا ألتزم بعامود ولا برنات عود ...
موسيقاي مزيج من سمفونيات الوجع
وأنات ناي أعيته الثقوب...
معذرة سادتي....الشعر معبدي وآياتي إحساس وليست مواثيق وعهود...
لست في صراع مع أحد ولست عدوا لأحد ولا أنافس أحدا...
لست نبيا ولا شيطانا ولا ملاكا...